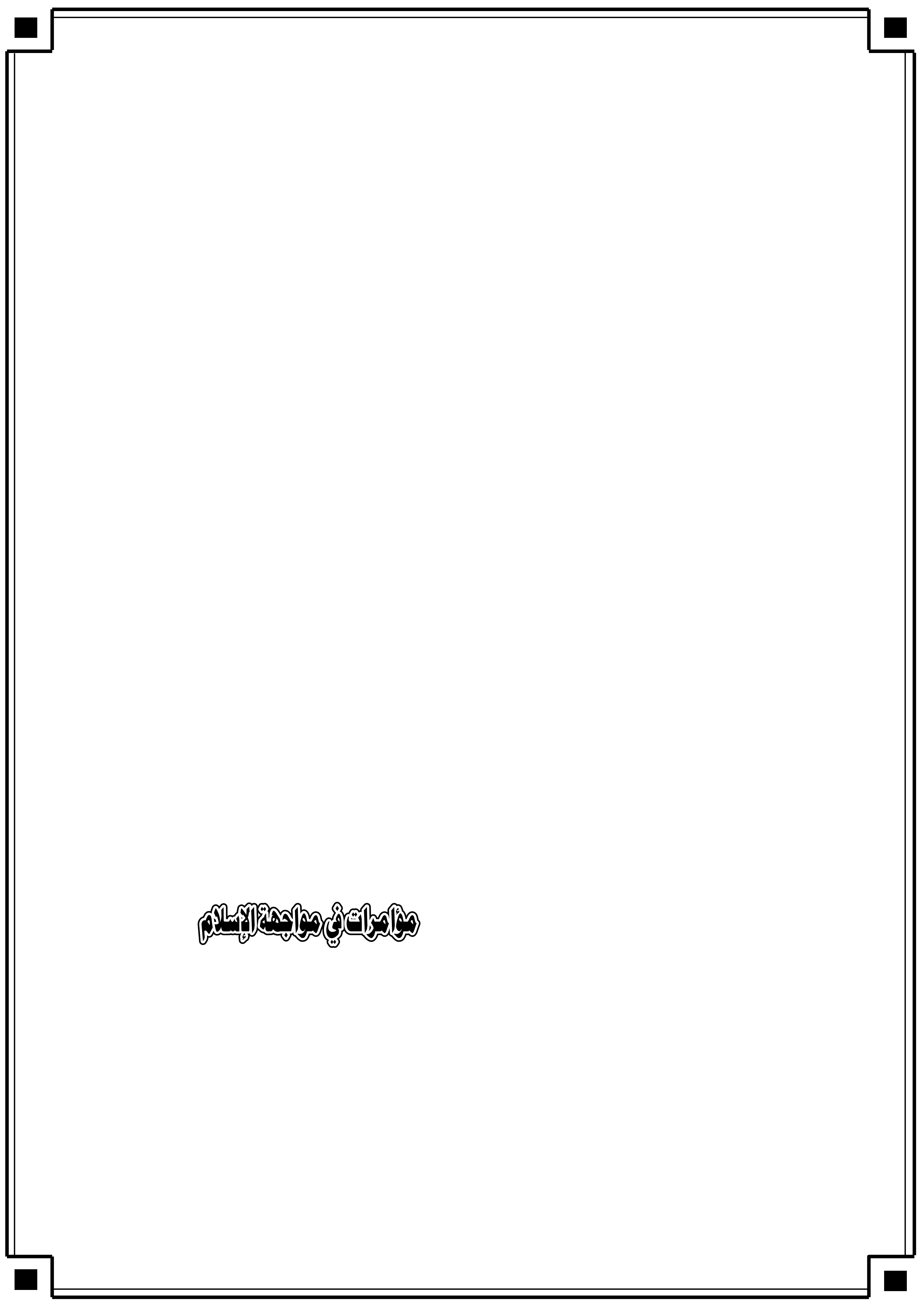


مؤامرات في مواجهة الإسلام

الطبعة الأولى

١٤٣١ - ٢٠١٠

إبراهيم النعمة



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمت به الشرائع وأرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمدﷺ، وعلى آله وصحبه الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك إلى الناس كافة! اللهم صلّ على محمد وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنّك لا تخلف الميعاد.!

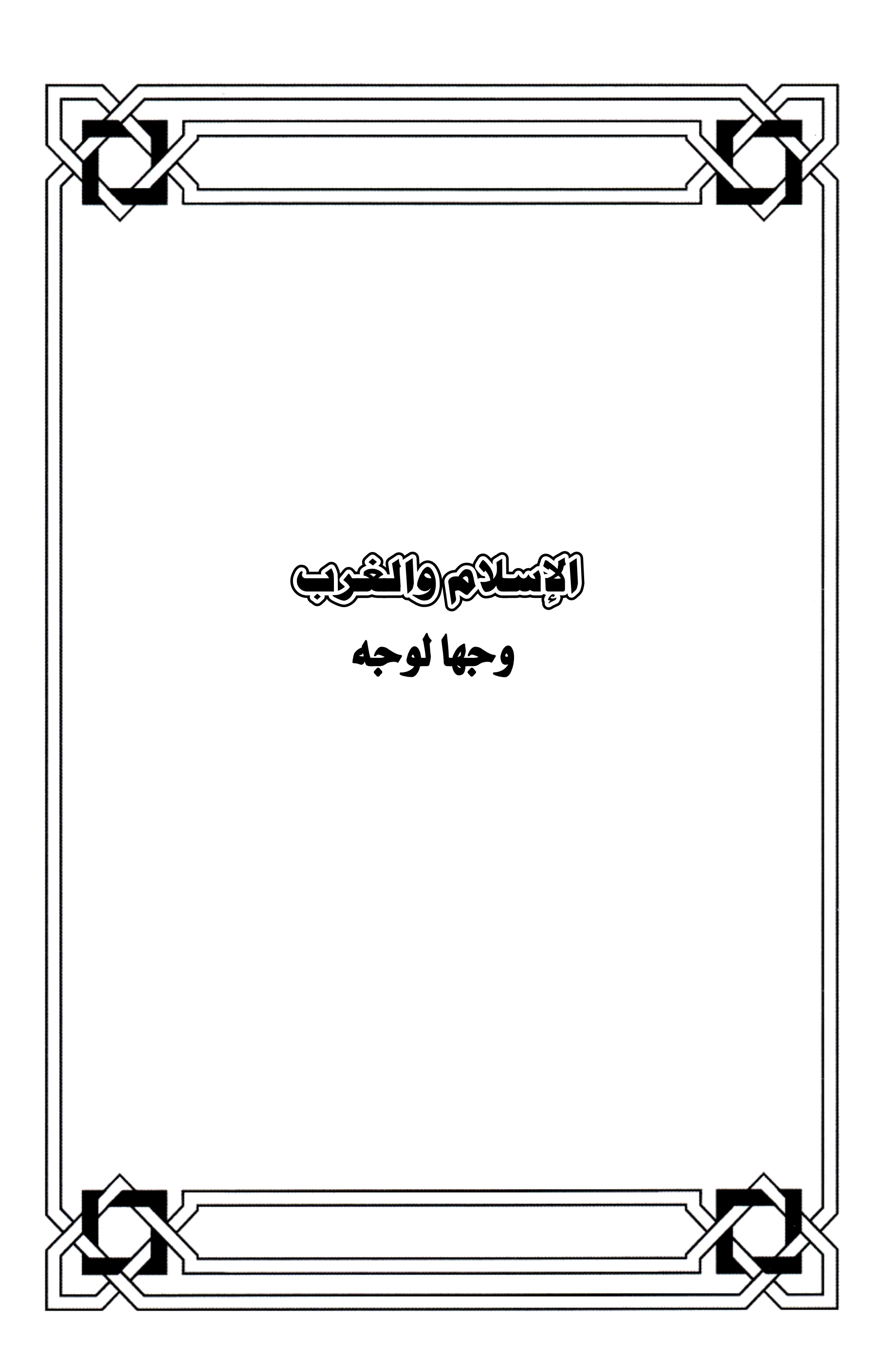
أما بعد:

فهذه مجموعة رسائل كنت قد أصدرتها في أوقات مختلفة، لعلها تأخذ طريقها في الانتشار بين الناس؛ ليدركوا حقيقة ما يُحاك لهذه الأمة من مؤامرات تبغي تشويه مصادر قوّتها وعظمتها، ولكن لم يُكتب لأكثر تلك الرسائل ما أردت: فلم تُوزّع في المكتبات، ولم تُنشر في أوساط المثقفين من الناس بسبب الأحوال القاسية التي كان يعانيها بلدنا الصابر المصابر –وما زالت كذلك– من قتل ونسف وتخريب وتفجير وتدمير وانتشار للفوضى العارمة التي تركت الناس يئنون من ويلاتها...! حدث هذا كله بسبب احتلال بلدنا العزيز من المحتلين.! والقارئ لهذه الرسائل يرى أنّها تميط اللثام عن مؤامرات نسج خيوطها الغرب ضد ديننا الحنيف. وقد كثرت (تلك المؤامرات) كثرة هائلة بغية تشويهه وصد الناس عنه –وبخاصّة في هذا العصر– بعد أن علم الغرب أنّ الإسلام هو دين المستقبل، وأنّ المثقفين ومن يريدون أن يدينوا الدين الحق سينضوون تحت لوائه، وبدت بوادر ذلك في دخول عدد ليس بالقليل من المثقفين الغربيين في هذا الدين...! لذلك صار كشف تلك المؤامرات أمام أبنائنا أمرا مهما لابد منه؛ لئلا يُخدعوا بذلك التضليل الإعلامي الذي صار علما واسعا

فُتحت له الكليات والجامعات في دول العالم، وصارت له مناهجه الخاصّة به، وقد تولى كِبر ذلك الإعلام الظالم الغاشم: العالم الغربي، متخذا أساليب خدّاعة، تستطيع بما أوتيت من مكر أن تُصوّر الحق باطلا والباطل حقا. وهذا أمر رأيناه بأعيننا ولمسناه بأنفسنا، فقد انطلت من قَبْلُ على عدد غير قليل من المسلمين تلك المؤامرات، فانطلقوا من غير وعي منهم يدعون إلى القوميات: الطورانية، والفينيقية، والفرعونية، والآشورية، والبربرية، والعربية، وأخيرا الدعوة إلى القومية الكردية، غافلين عن حكم الله ورسوله في التعصب لها، وغافلين أو متغافلين مرّة أخرى عن الدُعاة الأُول لتلك القوميات.وانطلت على قسم آخر من المسلمين مؤامرة الدعوة إلى الكتابة باللهجات العامية أو الحروف اللاتينية التي دعا إليها وحمل لواءها المستشرقون من غير المسلمين، وقلّدهم قسم من المسلمين بذلك.. وهناك دعوات كثيرة أُخرى تعددت ألوانها، وكثرت مصادرها وتباينت مناهجها، وكلها تبغي تشويه شريعة الله رب العالمين.!

وليعلم القارئ الكريم أنّي لا أريد في كتابي هذا ولا في غيره من الكتب أن أسيء إلى أحد، بل أريد أن ينتبه المسلمون إلى ما يُراد بهم وبدينهم، ذاكرا ما يدل على ذلك من الوثائق الغربية التي صاغها دهاقنتهم. وقد أبقيت تلك الرسائل على ما كانت عليه من غير زيادة عليها، مبتهلا إلى الله أن يوقظ المسلمين؛ فيدركوا ما يراد بهم وبإسلامهم من شر وفساد، وفرقة وشتات، وأن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصا لوجه الله الكريم، وينفع به كل من يقرؤه، وأن لا ينساني القارئ من الدعاء. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

إبراهيم النعمة



الإسلام والغرب

وجها لوجه

مقدمة

الحمد لله حمدا يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين!.

أما بعد:

فيستطيع القارئ للتاريخ الإسلامي وتاريخ الغرب أن يجد صفحتين مختلفتين: إحداهما بيضاء ناصعة، والأخرى سوداء قاتمة. ومن الضروري للشباب المسلم أن يطّلع على كلتا الصفحتين؛ ليعرف شيئا من تاريخ أمته، بقراءة ما كان عليه الأسلاف من السماحة مع غير المسلمين، وتاريخ غيرنا على حقيقته، من خلال مواقفهم من المسلمين على مرّ العصور وإلى وقتنا الحاضر؛ كي يفخر المسلم ويعتز بتاريخه المجيد، ويفعل مثلما فعل السلف، ويقارن ذلك بمواقف غيرنا منا؛ كيلا نُخدع بالكلمات المنمقة التي تسطّر في دوائر الاستشراق والتبشير، ونغفل عمّا يراد بنا وبتاريخنا وبديننا وقد قال الشاعر:

من لم يع التاريخ في صدره   لم يدر حلو العيش من مرّه

ومن وعى أخبار من قد مضى   أضاف أعمارا إلى عمره

وإذا كانت كل دولة من الدول تدافع عن حصون بلدها وقلاعه، وتحميها من الاعتداء عليها بكل ما تملكه من دم ومال، فإنّ من الضروري أن نحمي نحن تاريخنا وثقافتنا ومقوماتنا من عبث العابثين، ومن أي غزو كان، والمحافظة على ذلك قد يقدّم على المحافظة على الأرض.

ومما دعاني إلى كتابة هذا المقال شيئان:

الأول: الشبهات التي يحملها كثير من أبنائنا الذين يدرسون في دول الغرب عن الإسلام، وبخاصّة أولئك الذين لم يطّلعوا على تشريعات الإسلام ولا على تاريخه.

الثاني: إنّ أعدادا ليست بالقليلة من شباب المسلمين المتدين، يتهاون في قبول عدد من المسائل المتعلقة بالتاريخ الإسلامي؛ متأثرا بكثرة ما يسمعه من المستشرقين وما يقرؤه عنهم.

ولا نريد في هذا المقال أن نسيء إلى غيرنا، ولا أن نقف موقف العداء من العالم الغربي، وكل ما ذكرناه هنا أقل من القليل مما ذكره المؤرخون الثقات، مسلمين وغير مسلمين؛ ليعرف المسلم تاريخه، ويتمسّك بأصالته الأصيلة، ويعرف مكان أمته في الأمم.

والله أسأل أن يجعل أقوالنا وأفعالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يسدد خطانا، ويهدينا صراطه المستقيم، ويبصرنا بما ينفعنا في الدنيا والآخرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

صور من السماحة في الإسلام

كل من يقرأ ديننا وتاريخنا بإنعام نظر، من غير تعصب، يجد أن المسلمين كانوا متسامحين كل التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى، فلم يضق ديننا صدرا بالأديان المخالفة له، ولم يتعصّب ضدّ الناس من ذوي المذاهب المتعددة. وقد نصّ القرآن الكريم على علاقة المسلم بغير المسلم في قوله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾سورة الممتحنة.

وهاتان الآيتان نزلتا في قُتيلة ابنة عبد العُزّى والدة أسماء بنت أبي بكر الصديق، فقد جاءت بهدايا إلى ابنتها أسماء وكانت قتيلة مشركة، فأبت أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبيﷺ، فأنزل الله ﷻ هاتين الآيتين﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ... ﴾ فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها[1].

وواضح في سبب نزول هاتين الآيتين أنهما نزلتا في شأن المشركين من عبدة الأصنام والأوثان، ونجد القرآن الحكيم قد شرع البر بالمسالمين منهم والعدل

---

(١)رواه الإمام أحمد ٤/ ٤، والحاكم وصححه ٢/ ٥٢٧- ٥٢٨، وابن جرير ٢٨/ ٦٦.

فيهم، وذلك بأن يُعطوا حقوقهم كاملة، بل يُعطوا فوق حقوقهم كأن يتنازل المسلمون لهم عن بعض حقوقهم اختيارا منهم وكرما، وهذا يُفهم من قوله تعالى ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾.

وإذا كانت هذه المعاملة شرعها الله في شأن الوثنيين من عبدة الأصنام والأوثان، فإنّ أهل الكتاب أكّد القرآن وأكّدت السنّة على حسن معاملتهم أكثر؛ لأنّ معتقداتهم أقرب إلى معتقدات المسلمين من غيرهم، وقد سماهم القرآن (أهل الكتاب) تكريما لهم وتفضيلا على غيرهم، ولم يذكر القرآن رسولهم وكتابهم المنزّل إلا بكل تقدير وإجلال، وقد نصّ القرآن الكريم على عدم التفرقة بين رسل الله، فلا يكون المسلم مسلما إلا إذا آمن بموسى وعيسى وسائر أنبياء الله ورسله قال الله تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة

ولم يكتف القرآن بهذا، بل ميّزهم بمعاملة خاصة، فأجاز التزوج من نسائهم، وأكل ذبائحهم، وأعطاهم الإسلام حرية الاعتقاد، وإقامة شعائرهم، وإعلان طقوسهم في بيعهم وكنائسهم وأحيائهم ومحلاتهم...كما نصّ القرآن الحكيم على أن النصارى أقرب مودة للمسلمين من غيرهم، فقال تعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ

﴿ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة المائدة.

أما رسول الله ﷺ فقد قال:

[أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة][1].

ومن مبادئ ديننا أننا لا نكره أي إنسان كان على الانضواء تحت لواء الإسلام، لأنّ العقيدة لا يجوز الإكراه فيها. فمن أراد أن يدخل في الإسلام فليدخل إذا كان مقتنعا به وراضيا في الدخول فيه، قال تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾ سورة البقرة/ ٢٥٦.

ومن مبادئ ديننا: أنّا إذا وقع جدال بيننا وبين أصحاب الديانات الأخرى، فنجادلهم بأحسن أدب الجدال، مقيمين الحجة والبرهان على ما نقوله، فإذا كان هناك طريقان حسن وأحسن فإنّا نجادلهم بالتي هي أحسن، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ سورة العنكبوت/ ٤٦.

ونهى القرآن عن مسبة الذين يدعون من دون الله فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ سورة الأنعام/ ١٠٨.

ولقد طبّق النبي ﷺ مبادئ التسامح مع غير المسلمين، فكان يتعاهد جيرانه -من غير المسلمين- ببره وإحسانه، ويقدم لهم الهدايا ويقبل منهم هداياهم. ولما جاءه وفد نصارى الحبشة أكرمهم النبي ﷺ وأنزلهم في مسجده

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث٣٤٤٣، ومسلم في الفضائل حديث ٢٣٦٥.

وقام هو صلوات الله وسلامه عليه على خدمتهم، وكان مما قاله:

إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين؛ فأحبّ أن أكرمهم بنفسي[1].

ولما جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ قام النبي الكريم بإنزالهم في مسجده- أيضا- وسمح لهم أن يقيموا صلاتهم فيه، فكان رسول الله ﷺ والمسلمون معه يصلون في جانب من جوانب المسجد، وكانوا هم يصلون في الجانب الآخر[2].

وعلى هدي النبي الكريم ﷺ سار خلفاؤه الراشدون ومن جاء بعدهم. فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاء ليتسلّم مفاتيح بيت المقدس، وحانت صلاة العصر -وهو بجوار كنيسة القدس الكبرى- أبى أن يصلي فيها، خشية أن يأخذها منهم المسلمون -فيما بعد- ويتخذوها مسجدا ويقولون: ههنا صلى أمير المؤمنين.

ويحدثنا التاريخ أنه ((لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم- وإن كانوا على ديننا- أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا

---

(١) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٧٨. الطبعة الثانية ١٣٨٨- ١٩٦٨، دار الإرشاد، بيروت.

(٢) المصدر نفسه ص٧٨.

وعلى منازلنا))[1].

ولقد أعطي أهل الكتاب وظائف عالية في دولة الإسلام: فقد أسند معاوية بن أبي سفيانﷺ وظيفة الإدارة المالية في الدولة لأسرة مسيحية، وظلّ أبناء الأسرة يتوارثون تلك الوظائف مدة طويلة من الزمن. وأسند -أيضا- جباية خراج حمص-وهي وظيفة مالية- إلى طبيبه(ابن آثال)[2]. واتخذ عبد الملك بن مروان (أثناسيوس) – وهو عالم مسيحي من مدينة الرها- مؤدبا لأخيه عبد العزيز[3]، وكان الخليفة العباسي المعتصم بالله قد اتخذ أخوين مسيحيين بوظائف الدولة: أحدهما يُدعى (سلمويه)، وكانت وظيفته كوظيفة الوزير في العصر الحديث، ولا تنفذ الوثائق إلا بعد توقيعه عليها، كما عهد إلى أخيه (إبراهيم) بحفظ خاتم الخليفة وخزانة بيوت الأموال[4].

ولا يتمثل العدل الذي طبّقه المسلمون في معاملاتهم لأهل الكتاب، بل تعداها إلى إنصاف المظلومين من الظلم الذي وقع بين أهل الكتاب بعضهم مع بعض: فقد كانت مصر محتلة من الرومان الذين أرهقوا المصريين بمصّ دمائهم بكثرة الخراج الذي فرضوه عليهم، فلما فتحت (مصر) بقيادة عمرو بن العاصﷺ، تنفّس النّاس الصعداء، وعاش المسيحيون في ظلّ الإسلام في أمن

---

(١) الدعوة إلى الإسلام تأليف: سير توماس. و. أرنولد ص٧٣، ترجمه إلى العربية وعلّق عليه حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين الطبعة الثالثة. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

(٢) تاريخ العرب تأليف: فيليب حتّي ٢/ ٢٥٩. الطبعة الثانية. ١٩٥٣.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص٨١.

(٤) الدعوة إلى الإسلام ص٨٢.

وأمان. وقبل أن تفتح هذه البلاد كان المقوقس يضطهد القبط المسيحيين؛ لأنهم كانوا على مذهب(اليعقوبية) الذي يصطدم مع مذهب الدولة الرومانية. وحسبنا أن نذكر هنا أنّ (بنيامين) كان على رأس كنيسة الإسكندرية، وقد أصابه ما أصابه من الاضطهاد، حتى اضطرّ إلى الاختفاء في أحد الأديرة، فلما فتحت مصر، دعاه (عمرو بن العاص) إلى العودة إلى كنيسته ليمارس شعائر دينه بكل حرّية، وعاد البطريرك ليرعى كنائسه بعد ثلاثة عشر عاما قضاها مختفيا .! لقد عاد مكرّما في ظلّ دولة الإسلام التي أعطت الحرّية الدينية لأتباع الأديان الأخرى[1].

التعددية الدينية والمذهبية بين الفكر الإسلامي والغربي

اتضح لنا مما سبق أنّ التعددية في الفكر الإسلامي كانت سمة واضحة من السمات التي اتسم بها المسلمون في العصور الإسلامية، لكننا لا نجد شيئا من تلك التعددية في دول الغرب، سواء كانت التعددية الدينية أم التعددية المذهبية في ظلّ الدين المسيحي، وإن ينس الناس شيئا فلن ينسوا الحروب المذهبية التي استعرت في الغرب، وكيف كانت الاحتفالات تُقام هنا وهناك؛ شكرا لله على الانتصار على المذهب الديني الآخر.

أمّا عن موقف الغربيين من الإسلام، فقد اشتد الصراع معهم في أوائل القرن الخامس الهجري، وبلغ قمته في القرنين السادس والسابع، وانتهى ذلك

---

(١) الإسلام دين السلام للدكتور عبد الصبور شاهين ص١٥-١٦، الطبعة الأولى ١٤٢٥- ٢٠٠٤، دار السلام، القاهرة.

الصراع بمأساتين للمسلمين: الأولى مأساتهم في الأندلس، والثانية مأساتهم فيما أصابهم في الحروب الصليبية. وحسبنا أن نعلم أنّ (فرديناند وإيزابلا) أصدرا أمرا جاء فيه:

((إنّه لما كان الله قد اختارنا لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها، فإذا كان بها بعضهم، فإنّه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم؛ خوفا من أن يتأخّر تنصيرهم، أو بأولئك الذين نُصّروا لئلا يفسد إيمانهم، ويعاقب المخالفون بالموت، وبمصادرة الأموال))[1].

أمّا بابا روما، فقد أصدر سنة ١٥٢٤ مرسوما يطلب فيه الإسراع بتنصير المسلمين، وأن يطردوا من يأبى منهم التنصير من اسبانيا، وأن يعاقب من يأبى ذلك بالرق مدى الحياة، ثم صدر المرسوم الآخر الذي طلب فيه البابا أن تؤخذ مساجد المسلمين منهم وتقلب إلى كنائس. وتوالت المراسيم الواحدة بعد الأخرى التي تضطهد المسلمين لتخرجهم من دينهم، فصدر الأمر الملكي بأن يضع المسلمون شارة زرقاء على قبعاتهم، وأن يسجدوا إذا رأوا كبير الأحبار، وألاّ يقيموا شعائرهم الدينية[2].

ولم يكتفوا بهذا، بل قاموا بحرق المسلمين في المدينة أمام الناس، أولئك الذين ظلوا مستقيمين على دينهم، وأخذوا أطفالهم، وجعلوهم في المدارس

---

(١) العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين للدكتور بدران أبو العينين بدران ص٣٢٨، دار النهضة العربية ١٤٠٤- ١٩٨٤، بيروت.

(٢) العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين ص٣٢٩.

النصرانية؛ لينشئوهم على ذلك.

وبهذه الأساليب انتهى أمر الإسلام في الأندلس، ولم يبق فيه من يوحد الله، وقاموا -أيضا- باستئصال أكثر الآثار الإسلامية منها.

وشهد شاهد من أهلها

وقد شهد بمعاملة المسلمين لغيرهم بالتسامح غير المسلمين فقال (ول ديورانت):

((إنّ أهل الذمة من المسيحيين والزردشتيين واليهود والصابئين كانوا يستمتعون في عهد الخلافة بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام..كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم..وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، والذين كانوا يلقون صورا من الاضطهاد على يد بطارقة القسطنطينية وأورشليم والإسكندرية وأنطاكية أحرارا آمنين تحت حكم المسلمين، بل إنّ والي أنطاكية (المسلم) عيّن حرسا خاصا؛ ليمنع الطوائف المسيحية من أن يقتل بعضها بعضا))[1].

وقال المستشرق الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون):

((إنّ الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحا

---

(١) شبابنا وقضايا دينهم للدكتور عبد المنعم النمر ص١١٤- ١١٥، مؤسسة مختار، القاهرة، نقلا عن كتاب قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ٢/ ١٣٠.

مثل دينهم))[1].

وبعث البطريرك النسطوري (ابشويان الثالث) إلى (سيمون) أسقف (أردشير) الرسالة الآتية:

((العرب الذين أعطاهم الله ملك العالم برمته هم بينكم كما تعلمون، لم يهاجموا العقيدة المسيحية، بل إنهم يعطفون على ديننا، ويكرمون قديسنا، ويساعدون في بناء الكنائس والأديرة))[2].

إنّ سماحة المسلمين مع أهل الكتاب خاصة، وإكرامهم، وإعطاءهم مناصب مهمة في دولة الإسلام أضحت من الحقائق المسلّم بها. ويحقّ لكل أحد أن يسأل بعد ذلك: في أي عهد من العهود استوزر الكاثوليك بروتستانتيا؟.

---

(١) من روائع حضارتنا ص٨٨.

(٢) باقات الورود النضرة من حكايات المسلمين العطرة للمؤلف ص٢٧٦. الطبعة الثالثة ١٤٢٣-٢٠٠٣، دار النفائس، عمان، الأردن.

مع الحروب الصليبية وسقوط بغداد

الحروب الصليبية: هي سلسلة من الحروب، شنها المسيحيون الأوربيون لاستعادة الأراضي المقدسة -وبخاصة القدس- من المسلمين[1]، أو للمحافظة على الإمارات الصليبية التي تكونت في البلاد الشامية، وهي تمثل الصراع بين الشرق والغرب، واستمرت مدةَ قرنين من الزمن[2]. وتعددت وجهات النظر في أسباب قيامها، لكن الذي تطمئن إليه النفس أنّ من أسبابها: ذلك الانتشار الواسع للإسلام، وفتحه لكثير من المناطق في آسيا وإفريقيا وأوربا، وقد كانت تلك المناطق من قبل تحت النفوذ المسيحي. وقد أثار هذا حفيظة الغربيين، فتأجج الحقد في قلوبهم، وتأصلت نار العداوة في نفوسهم، وغلا الدم في عروقهم، فصاروا يتحينون اهتبال الفرصة المناسبة، ليستردوا مجدهم الضائع أولا، وليشفوا حقدهم من المسلمين بعد ذلك.

من هنا كانت البداية

كان من أوائل من دعا إلى الحروب الصليبية البابا (سلفستر الثاني) سنة١٠٠٢م. ومع الجهود الجهيدة التي بذلها لم يجد آذانا صاغية له، وذهبت جهوده أدراج الرياح.

وجاء من بعده (جرجريوس السابع) سنة ١٠٧٥م حاملا الدعوة نفسها:

---

(١) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة بإشراف: محمد شفيق غربال ص٧٠٩. مطبعة الشعب، القاهرة.

(٢) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب تأليف: محمد العروسي المطوي ص١٩، الطبعة الأولى ١٣٧٤-١٩٥٤، الشركة التونسية، تونس.

فقد نظر إلى العالم المسيحي من حوله، فرأى الفرقة قد دبّت بينهم، فأراد أن يجمع كلمتّهم، ويوحد جهودهم ضد المسلمين في الأندلس، وقد نجحت دعوته في ذلك : فجيشت الجيوش الأوربية ضد مسلمي الأندلس! لكن اللهﷻ هيأ لهم أميرا عظيما وقائدا شجاعا هو: (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين في المغرب ، استطاع ان ينتصر عليهم في معركة (الزلاقة)، ويردهم على أعقابهم خائبين، وذلك سنة ٤٧٩هـ.

أما البابا (اوريال الثاني)، فقد دعا إلى حرب صليبية عامة ضد المسلمين، وذلك في سنة ٤٨٩-١٠٩٥، داعياً الأمراء إلى نبذ خلافاتهم لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين: ((وأعلن انه سيغفر ذنوب كل من يشترك في هذه الحرب وخطاياهم! ودعا كل من يذهب في الحرب أن يحمل شارة الصليب على صدره...))[1].

معركة ملاذ كرد[2]

---

(١)حاضر العالم الإسلامي- الآلام والآمال- للدكتور : توفيق يوسف الواعي ص٤٢، الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار عمار، الأردن- عمان.

(٢)ملاذ كرد: معركة وقعت بين الجيش الإسلامي وتعداده خمسة عشر ألف مجاهد -كما ذكر ابن الأثير- والجيش الروماني وتعداده مائتا ألف مقاتل، وانتصر المسلمون فيها على الروم. وقبيل أن تنشب المعركة صلى(آلب أرسلان) بالمسلمين يوم الجمعة، فبكى وبكى الناس لبكائه، ودعوا الله أن ينصرهم. ولبس(آلب أرسلان) البياض، وتحنط، وقال لهم: إن قتلت فهذا كفني، وكتب الله النصر للمسلمين؛ فانهزم الروم على الرغم من كثرتهم وكثرة سلاحهم، وقتل منهم من لا يحصى، وأسر ملك الروم، وأطلق سراحه بفداء، وأطلق سراح جماعة من البطارقة معه، على أن يطلق كل أسير في بلاد الروم.

يذكر المؤرخون معركة تسمى (ملاذ كرد) وقعت بين الجيش الإسلامي بقيادة السلطان السلجوقي (آلب ارسلان) من جهة، وبين الجيش الروماني بقيادة (رومانوس) من جهة أخرى، وذلك سنة ٤٦٣هـ، وكان الجيش الروماني يقدر بمائتي ألف أو يزيدون. وأبلى المسلمون بلاءاً حسنا في المعركة، تمثل فيه الجهاد الإسلامي في صورة من أروع صوره في الاستبسال والشجاعة، وانجلت المعركة عن اندحار الجيش الروماني، وأسر أعداد كثيرة منهم . ولكن ما ان انتهت المعركة، حتى أعد الغرب عدته للقيام بالحرب الصليبية، وقد باشرها بعد ثلاثين سنة؛ فابتدأت سنة ٤٩٤هـ، ولم تتوقف الا في سنة ٦٩٠هـ، بعد أن حرر (السلطان الأشرف) مدينة (عكا) ممن بقي من الصليبيين.

دور بطرس الناسك في الحروب الصليبية

كان لبطرس الناسك دور مهم في تجييش الجيوش في الحملات الصليبية، حيث ذهب الى بيت المقدس، وغاظه ما رأى من السيادة الإسلامية على الأماكن المقدسة، وأذهله –في الوقت نفسه– ما رآه من ضعف المسلمين، وتشتت شملهم، وتفّرق كلمتهم، وكثرة النزاعات بين أمرائهم، فعاد إلى موطنه (فرنسا) أولاً، ثم إلى عدد من دول الغرب -ومنها روما– واجتمع بالبابا، واتفق معه على أن يكون داعية للحروب الصليبية، بعد أن بيَّن أن الفرصة قد حانت للإنقضاض على المسلمين ، الذين يعانون من الوهن و الضعف؛ لاستخلاص بيت المقدس وكنيسة القيامة من أيديهم، وأشاعوا في العالم الغربي لدى الشعوب المسيحية: أن بيت المقدس في خطر؛ فلا بد من العمل لاستخلاصه من أيدي

المسلمين...!.

وهكذا حشدت أوربا الحشود، وجمعت الجموع منطلقة نحو بيت المقدس. واستمرت هذه الحروب التي عرفت باسم الحروب الصليبية قرنين من الزمن: تذهب حملة وتجئ أخرى بقيادة ملك من ملوك أوربا، على الرغم من الخسائر التي منيت بها هذه الحملات. وانكشفت الحقيقة للناس بعد ذلك، وتبين لهم أن القدس لم تكن في خطر، وذلك حين عادت بقايا من الحملات الصليبية، وأعلنوا ذلك أمام الناس، فما كان من الكنيسة الا أن قامت بقتلهم؛ خشية أن ينتشر الخبر بين الناس أكثر. ولما لم تحقق هذه الحملات ما تصبو إليه، فقد أعدت العدة لإخراج المسلمين من الفردوس المفقود (الأندلس)، وقد نجحت في ذلك بما اتبعته من قتل وتنكيل وإرهاب بالمسلمين؛ حتى أخرجوهم منها. وسل محاكم التفتيش تنبئك عما اجترحته من جرائم لم يشهد التاريخ لها مثيلا، فقد صارت مضرب الأمثال في الوحشية من أجل استئصال الإسلام من البلاد، والكتاب الأوربيون هم الذين اعترفوا بذلك!.

موقفان متباينان بعد النصر

ونحب هنا أن نقف وقفة قصيرة أمام ما فعله الصليبيون حين استولوا على بيت المقدس، وما فعله المسلمون حين قاموا بتحريرها منهم.

أما الصليبيون ، فقد استعملوا كل أسلوب من أساليب الهمجية والتدمير والسلب والنهب، وكانوا يتسلون بقتل الأطفال وتقطيع أوصالهم وشيّهم على النار. يقول الدكتور غوستاف لوبون:

((...واقترف هؤلاء (الصليبيون) من الجرائم نحو المسلمين والنصارى ما لا يصدر عن غير المجانين، من الأعمال الوحشية، وكان من أحب ضروب اللهوِ إليهم: قتل من يلاقون من الأطفال، وتقطيعهم إِرباً إِرباً وشيهم كما روت آن كومنين))[1].

ويقول:

((ويدل سلوك الصليبيين في جميع المعارك على أنهم من اشد الوحوش حماقة: فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء، والأهلين العزل والمحاربين، والنساء والشيوخ والأطفال، وقد كانوا يقتلون وينهبون على غير هدى))[2].

ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير مما ذكره (لوبون)، مما تشيب لهوله الولدان.

ويقول غليوم الصوري:

((إن الصليبيين كانوا من السفهاء الفاسدين، والملاحدة الفاسقين، ولو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية، لخرج من طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجي))[3].

---

(١) حضارة العرب تأليف غوستاف لوبون ص٣٢٤، نقله الى العربية: عادل زعيتر، مطبعة: عيسى البابي الحلبي، القاهرة

(٢) حضارة العرب ص٣٢٥.

(٣) المجتمع الإسلامي للدكتور: أحمد شلبي ص ٢٧٧، الطبعة الثالثة ١٩٦٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

وأما المسلمون، فقد كان موقفهم على العكس تماما. فهذا صلاح الدين الأيوبي بعد أن حرر القدس الشريف بذل للصليبيين الأمان لأنفسهم وأموالهم، وسمح لمن يريد الخروج أن يخرج لقاء مبلغ زهيد يدفعه الأغنياء منهم، وأطلق سراح الفقراء من غير فدية، وعامل النساء أفضل معاملة، وسمح للبطريرك الافرنجي أن يخرج ومعه أموال البيع، والصخرة، والأقصى، والقيامة...[1].

الصليبيون يستعينون بالمغول وتسقط بغداد

لقد تعبت الزحوف الصليبية في قتالها ضد المسلمين، وأصابها الضعف، وانهارت نفسية كثير منهم، ولم تحقق حملاتهم ما كانت تصبو إليه من استئصال الإسلام، والسيطرة على كثير من أجزاء العالم الإسلامي، وقد توقف قسم من ملوك أوربا عن مدهم بالقوة، وهم يرون قواتهم تتهاوى أمام المسلمين. ونظر أمراؤهم، فرأوا المغول يزحفون على العالم الإسلامي، متخذين الهمجية والتدمير منهجا لهم؛ فرأوا أن يعقدوا معاهدة معهم للتعاون فيما بينهم لغزو العالم الإسلامي. وهكذا كان. فما إن بدأ المغول باجتياح قسم من البلاد الإسلامية، حتى قام الصليبيون بحملتهم على مصر، ونجحوا في احتلال (دمياط). ولولا الغزو المغولي لبغداد لما تمكنوا من ذلك.

وبعد ذلك الحلف غير المقدس، انطلقت قوات المغول نحو بغداد، ونجحت في احتلالها، وقد سهل لهم الاحتلال (ابن العلقمي) وزير المستعصم

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ١٠٠-١٠١ فصل: أخلاقنا الحربية.

بالله، ذلك الذي خان الله ورسوله ومن بوأه منصب الوزارة: فكاتب التتر، وأطمعهم في احتلال بغداد . وهكذا سقطت بغداد بأيديهم، وغرقت بالدماء، وقتل العلماء والزهاد، وهتكت الأعراض، وتعطلت الصلاة في المساجد، وأحرقت الكتب، وخربت البلاد، وقدَّر المؤرخون أن من قتل من المسلمين يربو على المليون. واستمرت الجرائم مدة أربعين يوما هكذا، وخلت الطرقات الا من جثث القتلى...! وكان هذا ثمرة من ثمرات تحالف بين الصليبيين والمغول، وقتل آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم بالله). ولم يقف الزحف المغولي عند حدود بغداد، بل واصل مسيرته ليجتاح الشام ومصر، ولكن الله هيأ رجالاً قادوا المعركة الفاصلة في (عين جالوت) التي اندحر فيها الغزو المغولي أيّ اندحار!. وقد وصف السيوطي فاجعة بغداد بقوله:

((حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغّر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض، وتملأها ما بين الطول والعرض)).[1].

حقا لقد كان للصليبيين الدور الكبير في هذه الفاجعة، وهذا ما اعترف به مؤرخوهم ودهاقنتهم، فقال(الأسقف دي سيسل).

((لقد كانت الحملة على الإسلام والعرب، حملة صليبية بالمعنى الكامل لها، وقد هلل لها الغرب، وارتقب الخلاص على يد (هولاكو) وقائده المسيحي (كتبغا)، الذي تعلّق أمل الغرب عليه؛ لتحقيق القضاء على المسلمين، وهو

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٧٣، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية، ولم يعد للغرب أمل في بلوغه الا على يد التتار خصوم المسلمين))[1].

خدعة اليهود للصليبيين

ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن الصليبيين ربما خدعوا بأحابيل اليهود ومكرهم وتحريضهم لهم على شن تلك الحملات الصليبية؛ فخسر الصليبيون خسارة عظمى، وهذا ما اعترف به الكتاب المسيحيون أنفسهم، فقال (الأميرال كي):

((إن الحروب الصليبية لم تكن حروبا مسيحية، إنما كانت تدبيرا يهودياً؛ لوضع العالمين: المسيحي والإسلامي في حرب عامة مدمرة، دامت أكثر من عصرين؛ تمهيدا للوصول إلى فلسطين))[2].

واقعنا المعاصر

إن حديثنا في الحروب الصليبية واحتلال بغداد، ليذكرنا بواقعنا المؤلم الذي نعايشة في العراق في القرن الواحد والعشرين. فقد دار الزمن دورته، وأصيب المسلمون بالداء الذي أصيبوا به من قبل، فتركهم يتقلبون على جمر الغضى: داء التفرق والتشتت والتمزق، فتكالبت الدول على احتلال العراق بقيادة أمريكا، وقامت بتخريب المصانع فيه، وقتل الناس الآمنين، وإشاعة الرعب والفوضى، وتشجيع العنصرية والطائفية فيه من وراء ستار، والعمل على تقسيم العراق!

---

(١) الضربات التي وجهت للإنقضاض على الأمة الإسلامية تأليف أنور الجندي ص٩٨ الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

(٢) الضربات التي وجهت للإنقضاض على الأمة الإسلامية ص٤٦.

أجل العمل على تقسيمه على الرغم من إعلامها المضلل الذي ينفي ذلك..! كل هذا في ظل القوة الأحادية في العالم في النظام الدولي الجديد، المتمثلة بالسياسة الأمريكية وتطلعاتها إلى الهيمنة على العالم؛ حتى صارت العلاقة بين الشرق والغرب تقوم على الصراع والمجابهة وخوض المعارك التي لا نهاية لها، ولا تقوم على التعاون وتبادل المصالح والمهادنة؛ ذلك لان أمريكا تعتمد اعتمادا ليس بالقليل على نفط العرب، وعلى الكنوز الكبيرة المتوافرة فيها ولو ضحت بمن ضحت من أبنائها؛ لان الهيمنة على مصادر القوة في الشرق الإسلامي هو الأصل الأصيل أولا، ولان الخطر الإسلامي هو الذي تراه مهدداً لها، ولأنها ترى مستقبلها القريب والبعيد يقتضي ذلك.

وبعد

فيحق لكل أحد أن يسأل -وهو ينظر إلى الحرب الظالمة الغاشمة التي شنها الغرب بقيادة أمريكا على العراق: هل صرنا نعايش اليوم في القرن الحادي والعشرين الحروب الصليبية التاسعة في ظل النظام الدولي الجديد، وبقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ولكن بثوب جديد؟

إذا كان قسم من الساسة الغربيين يدفعون عن أنفسهم هذه التهمة، ويدَّعون أنهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فان ساسة آخرين وقادة لهم مكانتهم في دولهم، لم يستطيعوا أن يتملكوا أنفسهم وهم يشنون الحرب على العراق سنة١٩٩١؛ فأعلنوا أنهم يخوضون الآن الحرب الصليبية التاسعة. وقد جرى مثل هذا الكلام على لسان الرئيس الأمريكي (بوش) بعد تفجيرات الحادي

عشر من ايلول ٢٠٠١م. ولا تسل عما جرى في احتلال العراق وما يجري.

أثر الحروب الصليبية في الفكر الغربي

كل من يتأمل بثقافات المجتمع الغربي، يرى ظاهرة العداء للإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه واضحة بينة، يبدو ذلك جليا في المناهج الدراسية التي يأخذها الأطفال والدارسون في المدارس، وهي مليئة بالطعن في الإسلام، وتشويه صورة النبيﷺ. وكان هذا بسبب ما توارثه القوم من عقابيل الحروب الصليبية، والدماء الكثيرة التي سفكت بسببها. فالطالب والدارس يقرأ المفتريات الكثيرة على الإسلام التي تدرس في المدارس والجامعات، ويقرؤها في الموسوعات ودوائر المعارف، وفي المحاضرات والندوات... يقول الدكتور مراد هوفمان:

((في مدارس ألمانيا يدرّس الإسلام مشوها في ٦٠٠ كتاب بطريقة مرعبة))[1].

ويقول م. كويت:

((وقد شبّ أغلب الغربيين على كراهية الإسلام، بينما شبّ المسلمون على حب المسيح والإنجيل المنزّل عليه))[2].

ولقد شنت أوربا ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي، وكان

---

(١) ربحت محمدا ولم أخسر المسيح تأليف د. عبد المعطي الدالاتي ص٨٤ الطبعة الثالثة ١٤٢٣-٢٠٠٢، دار الشهاب، سوريا، دمشق.

(٢) مقدمات العلوم والمناهج تأليف أنور الجندي ٨/ ١٦٦. وربحت محمدا ص٣١.

المسلمون لها بالمرصاد؛ فأخفقت الواحدة بعد الأخرى، ومنيت بهزائم منكرة، وقد تبيّن لدهاقنة الرأي فيهم وقادتهم أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين، ولا تحقق لهم نصرا؛ إذ الاستشهاد في سبيل الله أمنية من أعزّ الأماني لدى المسلم، ففكر القديس (لويس التاسع) قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا، أن تقوم أوربا بتغيير منهجها في حرب المسلمين، فتعمد إلى تشويه فكر المسلمين، وتضع الشبهات والشكوك أمام عقيدة الإسلام وشريعته، بعد دراستهم للإسلام عن كثب. وبهذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر، فكثرت الطعون الموجهة من العالم الغربي للقرآن الكريم والسنة النبوية وشخصية النبيﷺ، وقد اعترف (ميجل كروت ايرناندث) وهو من كبار رجال لاهوت الأسبان بذلك فقال:

((ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرّض للتجريح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمدﷺ، وكذا لا نكاد نجد اتهاما أساسه السياسة-لا الدين-مثل تلك الاتهامات التي وُجّهت للإسلام))[1].

وقال الدكتور (ايبالسا) وهو باحث مسيحي:

((إنّ شخصية النبي محمدﷺ مقدمة إلى العالم المسيحي بصورة مشوهة إلى حد كبير، حولها نسجت العديد من الافتراءات والأكاذيب والخرافات التي

(١) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم إعداد سور حمن هدايات ص١٥١، الطبعة الأولى ١٤٢١- ٢٠٠١، دار السلام، القاهرة، نقلا عن مجلة العربي العدد ٢٢٣، الصادرة في حزيران ١٩٧٧ ص٤٦.

نشأت كلها من الفكر المتعصّب الذي ساد الغرب منذ بدأ الإسلام يدخل أوربا. مثل هذه الافتراءات إحدى وسائل تعبئة الجماهير ضدّ المد الإسلامي))[1].

وقال عالم الاجتماع الأمريكي (نيكولاس هوفمان):

((لا توجد ديانة أو قومية او ثقافة كثقافة العرب والمسلمين تتعرّض في الولايات المتحدة لمثل هذا التشويه الفظيع))[2].

وقال (ليوبولد فايس) وقد أسلم وسمى نفسه محمد أسد:

((إنّ روح الحروب الصليبية ما تزال تتسكّع فوق أوربا، ولا تزال تقف من العالم الإسلامي موقفا يحمل آثارا واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال))[3].

وقال (جون وبستر):

((يظهر أنّ الغرب المسيحي قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة))[4].

ولقد عاد الهجوم العسكري على العالم الإسلامي مرّة أخرى حين دخل (نابليون بونابرت) مصر سنة ١٨٣٠، ثم احتلت عدن بعد ذلك، ثم تونس، ثم مصر، ثم ليبيا، ثم المغرب، وكانت الطامة الكبرى في اتفاقية (سايكس بيكو)

---

(١) تقرير المؤتمر المسيحي الإسلامي الثالث بقرطبة سنة ١٩٧٧ يُنظر مجلة العربي ص٤٢ العدد ٢٢٣حزيران ١٩٧٧.

(٢) ربحت محمدا ولم أخسر المسيح ص١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ص١٠٠.

(٤)ربحت محمدا ولم أخسر المسيح ص٨٣.

التي قسمت فيها ما تبقى من عالمنا العربي، وكان ذلك سنة ١٩١٦، ثم كانت خاتمة الخطوب ونهاية الطامّات: سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤، فقسمت الأمة الإسلامية في استعمارها بين انكلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا.

وهكذا يبدو جليا واضحا أن صراع الغرب مع العالم الإسلامي قد بدأ منذ ما يقرب من خمسة قرون.

ولقد ظلّ الاستعمار الغربي ببلاد المسلمين يفعل الأفاعيل بتشويه تاريخها وحضارتها ونهب خيراتها، لكن الشعوب المسلمة لم تقف أمامه مكتوفة الأيدي، بل قامت بمقاومته، وأبلت بلاءا حسنا قلّ نظيره في تلك المقاومة..!! فعلت الشعوب المسلمة ذلك بدافع من دينها الذي يأمر بمقاومة الغزاة المستعمرين المحتلين بكلّ ما تيسر لهم من أسباب القوة، حتى استطاعت بعد جهد جهيد من طرد المستعمرين، وكان آخر تلك الدول العربية: الجزائر، التي ظلّت تقاوم وتقارع الاستعمار الفرنسي قرنا وثلث القرن من الزمان، وكان ثمن تحررها مليونا أو أكثر من الشهداء، وعادت الجزائر بلدا عربيا إسلاميا، بعد أن أرادت فرنسا أن تسلخها من هويتها العربية الإسلامية[1].

---

(١) الصراع على الهوية من أخطر أنواع الصراع في العالم قديما وحديثا،؛ ذلك أنّ أية أمة كانت من الأمم قد تنهزم في معركة من المعارك، لكنها إذا ظلّت محتفظة بهويتها، فانها تستطيع أن تجمع شملها، وتوحد صفها لتحرير أرضها ومقاومة عدوها، أما إذا فقدت الأمة هويتها، فإنها تذوب في بوتقة المحتل، وتستسلم له، ولا تقوم لها قائمة بعد ذلك، والمعركة على الهوية بدأت طلائعها منذ سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤، ولا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا.

وظلّ العالم الغربي يرقب الأحداث عن كثب، ويستغلّ الفرصة المناسبة ليعاود سيطرته على الشرق الإسلامي.! ويمر الزمن، وتقع حوادث الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١ التي رسمتها السياسة الامريكية التي دلّت عليها وثائق وتقارير ليشنّ الغرب حربا على الإسلام وديار الإسلام باسم محاربة الإرهاب. ولم ينس الغرب عقابيل الحروب الصليبية، فقد أراد أن يعيدها جذعة على العالم الإسلامي، فصرخ (بوش) انّ هذه الحرب حرب صليبية طويلة الأمد من غير حياء ولا خجل، ولما نبهه خبراؤه إلى خطورة هذا التصريح الذي سيترك أثرا سيئا في نفوس المسلمين الذين يزيد عددهم عن المليار والثلث، تراجع عن تصريحه، معتذرا بأنها كانت (زلة لسان)، وما هي بزلة لسان، ولكن التصريح يُعبّر عما يدور من مخططات رهيبة ضدّ العالم الإسلامي في البيت الأبيض، وقد قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: غش القلوب يظهر على صفحات الوجوه وفلتات الألسن.

الإسلام والغرب وجها لوجه

كثرت الوثائق والتصريحات من قادة الغرب التي تنص نصا صريحا واضحا على ان الغربيين عملوا - وما زالوا يعملون كذلك- على تشويه صورة الإسلام، ومحاربة المسلمين هنا وهناك، وانهم يتعاملون ويتعاونون مع الوثنيين والبوذيين والهندوس وسائر الاديان والملل والنحل الا مع المسلمين اعدائهم التقليديين. ويتجلى شئ من ذلك بما فعله الانكليز لما احتلوا الهند ، فقد قربوا غير المسلمين من الهنود، وتعاونوا معهم، ورجحوا كفتهم على كفة المسلمين. وظل موقفهم ظاهر العداء من المسلمين وقضاياهم، وقد قال (اللورد النبرو):

((لا يسعني ان اغمض نظري على حقيقة لا شك فيها: وهي ان العنصر الإسلامي عدو اصيل العداوة لنا، وان سياستنا الحقة ينبغي ان تتجه الى تقريب غير المسلمين من الهنود))[1].

وليست تصريحات الانكليز وغيرهم من المستعمرين اقوالا يقولونها بافواههم ثم تذهب ادراج الرياح، بل كانت تجد التطبيق العملي، فقام الانكليز باضطهاد المسلمين، وقتلوا اعداداً كثيرة منهم، وحسبنا هنا ان نذكر ما قرره السيد (سجار حيدر) سفير باكستان في القاهرة، فقد قال:

((إن اضابير التاريخ تشهد بالاعمال الوحشية والقسوة التي تعرض لها المسلمون على ايدي البريطانيين؛ اذ كانوا يشنقون الناس بعد محاكمات سريعة،

---

(١) فصل المقال فيما بين العلمانية والماسونية من الاتصال. اعداد: سامي عطا حسن ص٥٠ الطبعة الأولى ١٤٠٨- ١٩٨٨. الناشر دار السلفية، الكويت

ويطلقون عليهم النار لاسباب تافهة، ويسلطون عليهم ضغوطاً سياسية واقتصادية مرهقة...))[1].

ولم يقتصر عداء الانكليز للمسلمين في الهند وحدها، بل وجد في كل دولة تمكن المستعمرون من الهيمنة عليها، فقد وجد في جزر (اندونيسيا) و(الخليج العربي) و (سواحل زنجبار)، ورأيناه في روسيا بما فعلته في (القفقاس) و (اذربيجان) و (اسيا الصغرى)، ووجدناه بما فعلته فرنسا في (افريقيا الشمالية) و (افريقيا الغربية)، ورأيناه بما فعلته ايطاليا في غزوها لطرابلس والمغرب... إنه العداء الذي توارثه القوم جيل عن جيل، وان ينس الناس شيئا فلن ينسوا نشيد الجندي الايطالي الذي كان يرتدي ملابس الحرب، قادما لاستعمار بلاد المسلمين وهو ينشد قائلا:

((يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن...))[2].

وقال فيليب فونداسي:

((إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج

---

(١) حصاد الغرور للشيخ محمد الغزالي ص٢٩٧-٢٩٨. الطبعة الأولى١٩٧٠، دار البيان الكويت.

(٢) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب ارسلان ص٣٢. الطبعة الرابعة دار الفكر. بيروت ١٩٦٥.

سياسةً عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره))[1].

وقال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس (جونسون) لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧:

((إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي.. بفلسفته وعقيدته، ونظامه ... وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الآخر من تاريخ العالم الشرقي. بفلسفته، وعقيدته المتمثلة في (الدين الإسلامي) وليس في وسع أمريكا التنكر لانتمائها للعالم الغربي؛ إذ إنها بذلك إنما تتنكر للغتها ودينها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها))[2].

وإذا كان الاستعمار قد عمل ليل نهار وبأساليب شتى من أجل تثبيت وجوده في الدول التي تمكن من السيطرة عليها، فإن هذا الاستعمار أو ذاك لم يركز في محاربة أمة من الأمم كما ركز في محاربة الأمة الإسلامية. ولم تستعر تلك العداوة من أجل أسباب سياسية أو اقتصادية وحدها، بل استعرت - فوق ذلك– لتحطيم الوجود الإسلامي وذلك بتذويب شخصية المسلم، والانحراف بمقومات وجوده، ليتقبل الثقافة الغربية بكل ما تحتجنه من شر وضلال، وفساد وانحلال، وبذلك يكون المستعمر قد تمكن من إطفاء الجذوة المتقدة التي تدعو

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله تأليف جلال العالم ص٤٥. الطبعة الثانية ١٣٩٥–١٩٧٥ نقلا عن: الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء تأليف فيليب فونداسي ص٢.

(٢) المؤامرة ومعركة المصير تأليف سعد جمعة ص٨٢. الطبعة الثالثة ١٩٦٩. دار الكاتب العربي.

المسلم إلى مقاومة كل لون من ألوان الاستعمار.

لقد تطلع المستعمرون إلى القارتين: الأسيوية والأفريقية، وطمعوا فيهما. وفي هاتين القارتين يقطن مئات الملايين من المسلمين. هؤلاء المسلمون لا يمثلون قوة سياسية وحدها، بل يمثلون – فوق ذلك – قوة روحية إذا اندفعت لا يقف أمامها شيء؛ لذلك قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

((إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية: فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم))[1].

وقال (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا السابق:

((ما دام هذا القرآن موجوداً -في أيدي المسلمين- فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان))[2].

وهذا (انطوني ناتنج) يقول في كتابه (العرب):

((منذ أن جمع محمدﷺ أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربي، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص٣١.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق تأليف محمد أسد ص٤١ ترجمة الدكتور عمر فروخ. الطبعة الرابعة ١٩٦٢. دار العلم للملايين. بيروت.

كقوة دائمة وصلبة تواجه عبر البحر الأبيض))[1].

لقد بدأت تصريحات قادة الغرب في التحذير من الإسلام والإسلاميين قبيل تفكك الاتحاد السوفيتي. فهذا (نيكسون) رئيس الولايات المتحدة الأسبق قال لـ(غورباتشوف) حين زيارته لواشنطن سنة ١٩٨٥:

((يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الأصولية الإسلامية))[2].

وينصّ (نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) على أنّ العدو الأكبر في العالم الثالث هو الأصولية الإسلامية[3]. فقد ذكر في كتابه هذا: أنّ في العالم ثلاثة تيارات: التيار الأول: سماه التيار الرجعي (القومي)، والتيار الثاني: التيار التقدمي العلماني بنظره، أما التيار الثالث: فهو التيار الأصولي المخيف، وقد قال فيهم: ((هؤلاء الأصوليون ينطلقون من الماضي، لكنهم لا يعيشون في الماضي، بل عيونهم على المستقبل، هؤلاء ليسوا محافظين، بل هم ثوار، يريدون الإسلام دينا ودولة، ويريدون تطبيق الشريعة الإسلامية، ويريدون بعث الحضارة

---

(١) القومية والغزو الفكري تأليف محمد جلال كشك ص٢١. مطابع دار الغد الناشر: مكتبة الأمل. الكويت.

(٢) وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج تأليف د. سفر عبد الرحمن الحوالي ص٧٢. وقد جعل الدكتور أحمد شلبي في كتابه (الحرب الصليبية) عبارة (نيكسون) هذه تصديرا لكتابه المذكور.

(٣)المصدر نفسه ص٧٢.

الإسلامية من جديد))[1].

وتكتب مجلة (شؤون دولية) في عدد كانون الثاني سنة ١٩٩٠ فتقول:

((إنّ الغرب والفكر الشائع في الغرب-وليس مجرد دائرة من دوائر الغرب-يرى أنّ العدو الجديد هو الإسلام؛ لأنّ الإسلام أثبت أنّه حالة استثنائية في مقاومة العلمنة، فرغم العلم الحديث والتصنيع، استعصى الإسلام على العلمنة، ولا يزال الإيمان الديني عند أهله قوي السيطرة، بل إنّه اليوم أشد مما كان منذ ١٠٠ عام، ومن ثم فإنّ الثقافة الإسلامية هي التحدي الوحيد للحضارة الغربية التي تتصف بالشك والتحلل واللاأدرية))[2].

وبعد تفكك (الإتحاد السوفيتي) كثرت تصريحات دهاقنة الغرب بوجوب الوقوف بوجه الحركات الإسلامية التي تريد العودة بالناس إلى تحكيم شريعة الله، فيقول(جيمي كارتر):

((والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف. ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية-أيضا-والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة))[3].

---

(١) الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين للدكتور محمد عماره ص١٥- ١٦. الطبعة الأولى ١٤١٧- ١٩٩٧، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

(٢) الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ص١٥.

(٣) وعد كيسنجر ص٨١.

وهذه هيئة الإذاعة البريطانية تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي:

((إنّ الجهد الرئيس للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبّا لمراقبة إمبراطورية الشر-يعني الإتحاد السوفيتي- سيتجه أساسا لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العقبات والعراقيل أمامها))[1].

ويعلن (ميتران) الرئيس الفرنسي_ الأسبق عن موقفه من الإسلام والإسلاميين اثناء انتخابات الجزائر فيقول:

((إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر، فسوف أتدخل عسكريا كما تدخّل (بوش) في بنما))[2].

وهذا وزير خارجية إيطاليا-وهو في الوقت نفسه رئيس المجلس الوزاري للمجموعة الأوربية ويتحدّث باسم أوربا- يسأله سائل: ما المبرر لوجود حلف الأطلنطي بعد انتهاء حلف وارسو؟ فيجيب:

((المواجهة القادمة مع العالم الإسلامي)).

ويسأله السائل: وكيف السبيل لتجنب هذه المواجهة؟ فيرد عليه قائلا:

((أن يُصلح الغرب من شأنه، وأن يقبل الآخرون النموذج الغربي، وإلاّ فسيكون العالم في وضع شديد الخطورة))[3].

وكلام هذا السياسي واضح وصريح وهو يعني: أننا إن لم نتنازل عن هويتنا

---

(١)وعد كيسنجر ص٦٩- ٧٠.

(٢)المصدر نفسه ص٧٠.

(٣) الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ص١٤.

وثقافتنا وحضارتنا إلى الغرب، فإنّ حلف(الأطلنطي) هو الذي سيقوم بمهمة مواجهة الإسلام. يقول الإستاذ الدكتور مراد هوفمان الذي تسنّم عددا من المناصب المهمة في ألمانيا، وكان سفيرا لها في المغرب، وقد هداه الله للإسلام، وقد ألّف عددا من الكتب في الإسلام، يقول هذا الرجل:

((لقد أمضيت أربع سنوات من عمري، مديرا إعلاميا لحلف الأطلنطي، ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته))[1].

الكيل بمكيالين

عداء الغرب للاسلام والمسلمين يبدو في قضايا كثيرة، ومنها: ما يظهر في نشرات الاخبار ووسائل الاعلام التي كان فيها ذكر الارهاب والارهابيين هنا وهناك، بل يأتي حتى في مسائل الارهاب المتعلقة بقضايا تاريخية. ويتجلى شئ من ذلك حين تذكر تلك الوسائل (هتلر)، فانها لا تقول: هتلر المسيحي الكاثوليكي، وحين تذكر (ستالين) لا تقول: ستالين المسيحي الارثذوكسي، ولكن اذا امسكت بعربي يحمل السلاح تقول: الارهابي المسلم، حتى لو كان غير مسلم من اية ديانة كانت من الديانات؛ لان المهم ان يقرن اسم المسلم بالارهاب. والامثلة على كيل الغرب بمكيالين اذا تعلق الامر بالمسلمين اكثر من ان تحصى. فهذه امريكا حين قامت بجرائمها الكبرى باسقاط القنبلة الذرية على

---

(١) الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات الإعلامية المعاصرة د.عبد الستار فتح الله سعيد ص٤٥ نقلا عن كتاب (حضارة العصر، الوجه الآخر) فقرة: التخدير بالحوار الديني ص٦٢ وما بعدها.

(نجازاكي) و(هيروشيما) وقتلت من قتلت من الناس الابرياء، وشوهت من شوهت، لم يسم العالم الغربي هذه القنبلة بالقنبلة المسيحية، لكن اذا ارادت دولة اسلامية ان تملك القنبلة الذرية نجد وسائل الاعلام الغربية والسياسيين الغربيين تقوم قيامتهم، ويكثرون من تحذير العالم من ذلك، ويظلون يدقون على هذا الوتر، حتى لقد سموا هذه القنبلة بالقنبلة الإسلامية. ان اسرائيل في عرف الغرب من حقها ان تمتلك القنبلة الذرية، ولكن لا يجوز لباكستان ان تمتلك شيئا من ذلك! اوليس ذلك كيلا بمكيالين؟. يقول الدكتور مراد هوفمان وهو يتحدث عن وسائل الاعلام الغربية كيف كانت تتعامل في اعلامها في الحرب التي استعر نارها في البوسنة والهرسك فيقول:

((سمى الاعلام الغربي ضحايا المسلمين بالمسلمين، لكنه اغفل ديانة المعتدين؛ فخلت وسائل اعلامهم من الاشارة الى ما يدين به الصرب القتلة، فقد كانوا مسيحيين ارثذوكس، او ما كان يدين به الكروات، فقد كانوا مسيحيين كاثوليك، وذلك بالرغم من علم الجميع وادراكهم لاسباب جرائم الصرب، وان تعطشهم المجنون للانتقام من معركة دارت رحاها قبل ٦٠٠ عام في kosovo polje ويذكيها ويضرم نيرانها كل من بطريركي الصرب الارثذوكس واليونان الارثذوكس))[1].

ونستطيع ان نرى ذلك -ايضا- على مسرح التاريخ الحديث، فان (هاييتي)

(١) ينظر: رحلة إلى مكة تأليف الدكتور مراد هوفمان ص٢١٧ بتصرف، الطبعة الثانية ١٤٢٣-٢٠٠٢ مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

حينما اجريت الانتخابات الديمقراطية فيها، وكان من المقرر ان يتولى الحكم فيها رجل مسيحي قام انقلاب عسكري ليجهض الممارسة الديمقراطية، وطار صواب امريكا وهيئة الامم المتحدة؛ فتدخلت امريكا على الفور؛ فانزلت قوات المارينز على ارض (هاييتي)؛ حرصا منهما على بقاء الحكم المسيحي ان يمس بسوء، اما في الجزائر، فقد اجريت الانتخابات فيها، وكان من المحتمل ان يتولى الحكم فيها ناس يسوسون الامة باحكام الشريعة الإسلامية، ولكن الانتخابات اجهضت فتنفست حكومات الغرب الصعداء، ولم تستنكر ما حدث! ولا بأس بالوقوف بوجه الديمقراطية اذا كان العمل بها يؤدي الى وصول دعاة الإسلام الى الحكم يقول المستشرق الامريكي والخبير بشؤون الباكستان (و.ك.سميث):

((إذا اعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل انظمة ديمقراطية، فان الإسلام ينتصرفي هذه البلاد وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

وينصح رئيس تحرير (مجلة تايم) في كتابه (سفر اسيا) الحكومة الامريكية ان تنشئ في البلاد الإسلامية دكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام الى السيطرة على الامة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته))[1].

الغرب قاعدة لليهود

لم يكن لليهود أن تقوم لهم دولة، لو لم يقم العالم الغربي بمدّهم بكل أسباب

---

(١) باقات الورود النضرة من حكايات المسلمين العطرة إعداد: كاتب المقال ص٣٠١ الطبعة الثالثة ١٤٢٣-٢٠٠٣، دار النفائس، عمان- الأردن

القوة المادية والمعنوية. فقد قام بارساء دعائم الكيان الصهيوني مستعملاً اساليب المكر والخديعة والكذب، وبدأت طلائع ذلك التآمر في حملة (نابليون) على الشام؛ فقد قام بتمويل اليهود، واعلن ذلك على رؤوس الاشهاد امام اسوار عكا في ٤/ ٤/ ١٧٩٩ عن قيام وطن قومي لليهود، فقد خاطبهم بقوله: (يا ورثة فلسطين الشرعيين)!! ولكن الله خيب حملته فأخفقت. وبعد ذلك اتجهت انظار الحركة الصهيونية الى بريطانيا، وحدث (وعد بلفور) المشؤوم في ٢/ ١١/ ١٩١٧، وصدرت -بعد ذلك- تصريحات للمسؤولين الانكليز تسير على وفق (وعد بلفور) وتؤيده، فصرح وزير المستعمرات البريطاني (ونستون تشرشل) سنة ١٩٢٢ قائلا:

((ان بريطانيا ملزمة بتنفيذ وعد بلفور، وليس في وسع العرب منع تنفيذه، وليس امامهم الا ان يقبلوا به))[1]

وهكذا تمت المؤامرة حتى قامت دولتهم سنة ١٩٤٨. وكان لفرنسا الدور المهم في مساعدتها، فقد أمدتها بالمفاعلات الذريّة التي تمثّل أسلحة الدمار الشامل، وأما أمريكا، فقد قامت بحمايتها ورعايتها منذ الأيام الأولى لتكوينها، وظلّت تمدّها بالمال والسلاح، وتدافع عنها بالباطل في هيئة الأمم، ومجلس الأمن، والمحافل الدولية...وقد قال(كندي) رئيس الولايات المتحدة الأسبق في خطابه الانتخابي في (نيويورك) في ١٥/ ٨/ ١٩٦٠:

---

(١) شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني تأليف الأستاذ: حسني ادهم جرار ص١٦ الطبعة الأولى ١٩٩٢، دار الفرقان/ عمان- الأردن.

((إنّ إسرائيل وُجدت لتبقى، وهذا التزام لا يقبل النقاش والنقض، وإنّ الصداقة بين هذه البلاد وإسرائيل ستنمو وتزدهر على الدوام. وإذا كان الرئيس(ترومان) هو أوّل من اعترف بخلق إسرائيل، ومنحها الدعم والمضمون الواقعي في المجال الدولي، فأنا أزيد على ذلك بأنّي أؤمن، وألتزم بصورة قاطعة، باستمرار هذه السياسة، وبأنّ واجب البيت الأبيض أن يرعاها ويؤكدها في كل مجال))[1].

وقال (كيسنجر) وزير خارجية أمريكا الأسبق:

((إنّ ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو جيد لإسرائيل ومصالح إسرائيل، والولايات المتحدة تتناسب مع بعضها البعض؛ لأنّ وجود إسرائيل قوية هو لصالح المصالح الأمريكية))[2].

وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات والتبرعات إلى الكيان الصهيوني. وحسبنا أن نعلم أن تلك التبرعات والمساعدات وصلت إلى ٣٠٪ من إجمالي ميزانية المساعدات الأمريكية. ففي سنة ١٩٨٧ صادق الكونكرس الأمريكي على منح إسرائيل مساعدات سنوية ثابتة تُقدّر بـ ٣ مليارات من الدولارات، وقدّمت لها -أيضا- عام ١٩٩١ معونة مالية تُقدّر

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير تأليف سعد جمعة ص٩- ١٠.

(٢) سياسة أمريكا تجاه العالم الإسلامي للمؤلف ص٢٣- ٢٤. الطبعة الأولى ، مطبعة الزهراء، الموصل.

بـ٢مليار من الدولارات، فوق مساعدات أخرى تصلها بين حين وآخر[1].

ولقد اقرَّ بعض مؤرخي الغرب بالجريمة الكبرى التي ارتكبها العالم الغربي باغتصاب فلسطين وتمكين اليهود فيها، فقال المؤرخ البريطاني (توينبي):

((واذا كانت الدول الغربية تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية ما حدث في فلسطين، فان بريطانيا المحتلة والمنتدبة تتحمل القسط الاكبر من محنة الحق والانسانية في فلسطين، فقد كان موقفها الشامل لجميع حكوماتها المتعاقبة، ولكل احزابها الحاكمة هو التواطؤ المرسوم مع الصهيونية، والتآمر المرير ضد فلسطين، والتعامي الجدير بالادانة والاتهام))[2].

الغرب وسلمان رشدي

لم يكن عداء الغرب لديننا وامتنا حديث عهد، بل هو قديم يمتد إلى زمن الحروب الصليبية وإلى يوم الناس هذا، وقد تعددت محاربته لديننا؛ فأثار الشبهات عن العقيدة والشريعة الإسلامية، وعن السنة النبوية، وعن رسول اللهﷺ، واللغة العربية، وكذلك مقومات ثقافتنا وحضارتنا...وحسبنا أن نذكر هنا مواقف زعماء الغرب وقادته من الكاتب المغمور (سلمان رشدي) الذي كتب كتابا سماه (آيات شيطانية)، أساء فيه إلى القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية وسيدنا محمدﷺ، بل أساء إلى الإسلام بكل ما فيه، فماذا فعل ساسة الغرب تجاه

---

(١)- ينظر القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب تأليف د. محمد بن عبد الله السلومي ص٣٩١ الطبعة الثانية ١٤٢٤-٢٠٠٣.

(٢) شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني ص١٢ نقلا عن: دراسة التاريخ تأليف: توينبي ٨/ ٣٠٤.

من أساء إلى الإسلام هذه الإساءات؟

لقد احتضنه الغرب، ودافع عنه، وأمده بكل أسباب القوة المادية والمعنوية، وصارت دور النشر الغربية تتهافت على طبعه لا لشيء إلاّ لتهجمه على مشاعر المسلمين.. وحسبنا أن نذكر هنا أن الرئيس الأمريكي الأسبق (كلينتون) استضافه في البيت الأبيض، ودعاه رئيس الوزراء البريطاني السابق إلى منزله ليتناول معه طعام العشاء، ونجد حكومات العالم الغربي تظهر معه في لقطات تذكارية..! ولم يكن سلمان رشدي هو الوحيد الذي أساء إلى الإسلام واحتضنه الغرب، فهناك الكثير من أمثاله ممن يحارب الإسلام جهارا نهارا يحظى بمساندة الغرب له والدفاع عنه. ((وهكذا أصبح التعدي على مشاعر المسلمين أسرع طريق للشهرة في الغرب الآن))[1].

الصور الساخرة من النبي ﷺ

ما بين فترة وأخرى تطلع علينا وسائل الإعلام الغربية بعرض كلمات تافهات، ينال فيها قائلها من هذا الدين، وتعددت صور تلك الكلمات المسيئة، حتى بلغ الأمر أن تجرّأت قناة وقحة هي القناة الوطنية الدانماركية الرسمية T.V.٢ فقامت ببث مقاطع من برنامج تلفزيوني أعدته شبيبة حزب الشعب الدانماركي –وهو حزب يشارك في الحكومة-. والبرنامج عبارة عن مسابقة تبرز أكثر الطرق إهانة وسخرية من النبي محمدﷺ، وقد أعادت صحف غربية أخرى:

---

(١) الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات الإعلامية المعاصرة للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ص٤٨.

نرويجية وفرنسية وغيرهما نشر تلك الصور التافهة. وكل متأمّل في أوضاع العالم الغربي اليوم، يُدرك أنّ المسألة ليست مسألة سفهاء وقحين أرادوا النيل من أكرم رسول وأفضل نبي سيدنا محمدﷺ، لكنها مسألة مخططات دقيقة يقوم بها العالم الغربي؛ لتصدّ الناس عن الانضواء تحت لواء الإسلام. ويدل على هذا أنّ تلك الإساءات أقرتها قيادات المجتمعات الغربية في مؤتمرات دولية عالمية، وفي وسائل الإعلام، بل أُقرّت حتى من الاتحاد الأوربي بحجة حرّية الرأي التي لا تقبل التفاوض. ولم تكن هذه أوّل إساءة توجّه إلى الإسلام ونبي الإسلام، بل حدث قبل هذا مرات ومرات: حدث من دول مثل فرنسا يوم كانت مستعمرة للجزائر، وحدث لإيطاليا يوم كانت مستعمرة لليبيا، وكذلك لكثير من البلاد العربية والإسلامية. أما الجزائر، فقد انتُزعت المئات من جوامعها ولم تُبق فرنسا في العاصمة إلا جامعين اثنين، وحولت الجامع الكبير إلى (كاتدرائية) نصبت فوقها الصليب، وأغلقت مدارس المسلمين، وصرّح (جورج بيدو) وزير خارجية فرنسا يومئذ قائلا:

((لن أدع الهلال يغلب الصليب في الجزائر)).

أمّا على نطاق الأفراد، فقد كثر المستشرقون الذين أساءوا إلى الإسلام في كتاباتهم ومحاضراتهم من أمثال (جولد تسيهر) و(لويس ماسينيون) و(يوسف شاخت) و(هنري لامنس) و(صاموئيل هانتغتون) و(برنارد لويس) وأعداد كثيرة لا يتسع المجال لذكر أسمائهم. ومن سلسلة هذه الإساءات: الإساءات إلى نبينا محمدﷺ. ولقد ظنّ الناس أنّ تلك الإساءات في القناة الوطنية الدانماركية لا

تُمثّل رأي الحكومة الدانماركية، فقد قام بها غلمان سفهاء أغرار، وسينساها النّاس بعد أيام، لكن الأمر ليس كذلك: فقد انطلقت تلك الإساءات الوقحة مرّة أخرى في الدانمارك. والمتأمّل في أوضاع العالم الغربي يرى أن تلك الحملات الوقحة ضد الإسلام ونبي الإسلام لم تكن اجتهادات شخصية، وليست بزلات لسان، ولا عملا بحريّة الرأي والفكر والتعبير كما يزعمون، وإنما الأمر أمر مخطط رهيب يقوم به الغرب، مستخدما ما يمكنه استخدامه من الوسائل الإعلامية والثقافية والسياسية.

غزو العراق

الحرب على العراق لم تكن وليدة يوم وليلة، بل كانت مخططا لها من قبل، فقد عُيّن (شوارتزكوف) قائدا لقوات التدخل السريع سنة ١٩٨٩، وفي أواخر السنة نفسها، قدّم تقريرا يذكر فيه أنّ الخطر الأول والرئيس الذي يهدد المصالح الأمريكية هو العراق. والمعروف عن أمريكا في كل سنة أنها تقوم بتمرين قواتها المسلحة في اتجاه قضية من القضايا. وفي سنة ١٩٩٠ كان مخطط التدريب: أنّ العدو هو العراق وليس الاتحاد السوفيتي. كل هذا -وغيره كثير- ذكره (شوارتزكوف) في مذكراته. وبدأ التدريب فعلا سنة ١٩٩٠. وفي هذه السنة ازدادت الحملة الشديدة على العراق عن المدفع الكبير الذي كان يسميه الناس: المدفع العملاق، وذلك لإعلام العالم الغربي بحقيقة الخطر العراقيكما يسمونه!.

اتُّهم العراق بأنّ له يدا في تفجيرات الحادي عشر من أيلول، وتبيّن-فيما بعد-أنّ العراق لا علاقة له بهذا من قريب ولا من بعيد. فهذا وزير الخزانة

الأمريكي (أونيل) يذكر في كتابه (بوش في حالة حرب): أنّ أوّل اجتماع حـدث بعد أحداث الحادي عشـر من أيلول أنّ مجموعة (رامسـفلد) طرحـت موضـوع الهجوم على العراق، من غير أن تعرف اليد التي قامت بالتنفيذ. وسـمع (بـوش) الابن الكلام، فكان جوابه: حضّروا الخطط الموجودة لديكم وسننظر فيها.

أتُهم العراق بامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل. وجاءوا إلى العـراق وفتشـوا عنها في كل مكان: فتشوا عنها في دوائر الدولة وفي كل مؤسسة مـن مؤسسـاتها، بل فتشوا حتى في عدد من مسـاجد المسـلمين، وفي البيـوت الخاصّـة، مـع كثـرة العملاء لهم والسائرين في ركابهم، فلم يروا شيئا مما طبّلت بـه وزمّـرت أمريكـا والإعلام الغربي.

ولقد توقفت أنشطة المفتشين الدوليين سنة ١٩٩٨، فقامت أمريكـا بحملـة إعلامية ودبلوماسية داخل المحافل الدولية وخارجها لتدعم موقفها في الحصول على قرار يجيز لها استخدام القوة ضد العراق، ولكن لم تنجح في هذا -أيضا-.

لم تقف أمريكا عند هذا الحد، فقد أعلنـت الحـرب عـلى العـراق، ولم يكـن يعنيها أن تكون الحرب مشروعة أو غير مشروعة، بدليل أنّها أعدت للحرب قبل الشـروع فيها بوقت كاف للاستعداد للحرب على العراق لكنها أخفقـت، وقـد أذعنـت حكومـة العـراق لتلـك الإجـراءات التعسـفيّة التـي فُرضـت عليهـا- وبخاصة- في التفتيش بل إنّ هذه الإجراءات قد يكون قسم منها انتهاكا لسـيادة العراق واستقلاله السياسي، حتى صار مستباحا لكل لون مـن ألـوان التفتـيش، وقبل العراق بهذا لعل الحرب لا تقع.

ومع ذلك كله فقد وقع الغزو على العراق، وقتّل المحتل من قتّل، ورمّل من النساء من رمّل، وكثرت اليتامى، وخُرّبت المصانع، فعمّت الفوضى في العراق، واستشرى الفساد في كل مكان.

وإنّ من أعجب العجب- وإن شئت فقل لا عجب- أن يُصرّح (كولن باول) وزير الخارجية الأمريكي قائلا:

((إنّ أمريكا كانت تعلم-قبل غزوها للعراق- أنّه خال من أسلحة الدمار الشامل، ولكنها كانت تخشى أن يكون لدى صدام حسين (نية) لمحاولة حيازة هذه الأسلحة))[1].

أهكذا من أجل شك بل توهم وجود (نية)، لمحاولة حيازة هذه الأسلحة، تقوم أمريكا بشن حربها المجنونة على العراق، وتهدم البنية التحتية، وتقتل مئات الآلاف من العراقيين، ويضيع استقلال العراق، وتهجّر العوائل من أجل (توهم وجود نية)؟!!!.

هذه هي أمريكا، وهذه قصتها في احتلال العراق. ولقد كتب سيد قطب -رحمه الله- مقالات محذّرا أمتنا من عداء أمريكا لها منذ سنة ١٩٥١، فكتب يقول:

((إنّ الجبهة الغربية المؤلفة من أمريكا وإنجلترا وفرنسا تستعبدنا، وتستذلنا، ولا مكان لنا فيها إلا مكان الذيول والعبيد))[2].

---

(١) الإسلام دين السلام ص٥٤

(٢) معركة الإسلام والرأسمالية تأليف سيد قطب ص٢٩.

ويقول:

((أمريكا بدولاراتها، وطياراتها، ودباباتها، وقنابلها الذرية، تحمي الاستعمار في كل مكان، وترد له هيبته الضائعة، وتقتل المواطنين الأحرار، الذين يدافعون عن بلادهم، وتخذل قضايا الحرية في هيئة الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن...))[1].

المؤسسات الخيرية الإسلامية

دعا الإسلام المسلم إلى أن يقوم بأعمال خيرية، وجعل ذلك عبادة من العبادات التي يتقرّب بها المسلم إلى الله ﷻ، بل جعل ذلك أساسا مهما من أسس الدين الكامل. فكما أنّ المسلم مكلف بعبادة الله وحده، فإنّه مطالب -أيضا- بفعل الخير: كتفريج كربة المكروبين، وإغاثة المحتاجين بإطعام الجائع، وكسوة العاري، ورعاية اليتامى والأرامل، ومعالجة المريض، وتعليم الجاهل، وكل نوع من أنواع الخير، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ سورة الحج.

واستجاب المسلمون لما دعا إليه القرآن الكريم وما دعت إليه السنة النبوية، فسارعوا منذ عهد النبي ﷺ يقومون بأعمال الخير والبر التي ينتفع منها الإنسان والحيوان وكل ما في الوجود؛ فأثمر ذلك ثمرات طيبة تتمثّل بذلك التماسك والتآلف بين المسلمين. وقد عزّ على العالم الغربي أن يرى المجتمع الإسلامي بهذا

---

(١) دراسات قرآنية تأليف سيد قطب ص١٦٩- ١٧٠.

الترابط الاجتماعي الذي تفقده المجتمعات الغربية، فقام بشنّ حملات ظالمة على المؤسسات الخيرية الإسلامية في العالم الإسلامي، بدعوى مساندة تلك المؤسسات للإرهاب في العالم، من غير أن يكون له دليل على ذلك، اللهم إلا إلباس الحق ثوب الباطل. وكان للإعلام الغربي المضلل وتصريح السياسيين الغربيين له الأثر الكبير في ترويج الافتراءات عن المؤسسات الخيرية، يقوم بها ناس من ذوي الاختصاص في ترويج الإشاعات الكاذبة، في وقت لا تملك تلك المؤسسات الخيرية الإسلامية من يزيح عنها الشكوك ويدفع الأباطيل؛ إذ ليس لديها محامون متخصصون يدفعون عنها عادية الأعادي.

وعند التأمّل نرى أنّ هذه الحملات لم تصدر من ردود أفعال لحادثة طارئة، بل انطلقت من استراتيجيات مسبوقة بتخطيط للوقوف بوجه المؤسسات الخيرية الإسلامية، فكان الغرب ينتهز الفرصة المناسبة لينقضّ على تلك المؤسسات التي تقوم بأعمال جليلة في تقديم الخير والمساعدة لذوي الحاجة. فلما وقعت الواقعة في تفجير برجي التجارة في (نيويورك) في ١١/ أيلول/ ٢٠٠١. وجدت أمريكا والعالم الغربي أنّ الوقت قد صار مناسبا لتنفيذ ما خُطط له من قبل من الانقضاض على هذا المشروع الإسلامي -والمشروع الإسلامي فقط- وحسبنا أن نذكر أنّ الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) صرّح في ١٢/ أيلول/ ٢٠٠١ أي بعد يوم واحد من التفجيرات للصحفيين قائلا:

((سيكون الصراع بين الخير والشر صراعا تاريخيا، لكن سيسود الخير في

النهاية))[1].

ونسي الرئيس الأمريكي أو تناسى أنّه في الساعات الأولى من التفجير كان قد صرّح قائلا:

((إنّ الحدث فوق مستوى منظمة أو منظمات من الشرق الأوسط))[2].

ولا أدري أمام هذين التصريحين-وكان بينهما يوم واحد فقط- أكان الرئيس الأمريكي يجهل من قام بالتفجيرات، أم أنّه كان يعلم، ولكنه المكر الذي انكشف أمره فيما بعد؟!!

لقد ركزّ الإعلام الغربي على أنّ التفجير قام به من يسمون أنفسهم بالقاعدة. ولا أريد هنا أن أبرئ القاعدة من جرائم وقعت فيها، لكنّي أقول: لم يثبت أنّ القاعدة هي التي قامت بذلك التفجير. ولو فرضنا أنها هي التي قامت بتلك الجريمة التي استنكرها المسلمون قبل غيرهم، فإنّ القاعدة-وحدها- هي التي تتحمل مغبّة ما قامت به في الدنيا والآخرة، هكذا يقول العقل والمنطق السليم، أمّا معاقبة الأمة الإسلامية-كلها- بسبب أفراد قلائل، فلا يُقرّه شرع ولا قانون. وعلى فرض أن القاعدة هي التي قامت بذلك، فإنّ الكثير من اليهود والنصارى قاموا بأعمال إرهابية شنيعة ربما لا تقل عن هذه الجريمة إن لم تزد عليها، ولم تقف السياسة الغربية محملة اليهود والنصارى شيئا من ذلك.

ويستطيع المتابع لسياسات الولايات المتحدة أن يدرك أنّ الحصار على

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب د. محمد عبد الله السلومي ص٩

(٢) القطاع الخيري ص٢٦.

المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي لم تبدأ بتفجير برجي التجارة، بل كانت بدايتها الأولى ((تعود إلى بدايات القرن التاسع عشر عندما ابتدأ [المسلمون] تأسيس هذه الجمعيات، كردّ فعل على اجتياح الإرساليات التبشيرية الغربية للدول العربية التي جاءت مرافقة للاستعمار وفي حمايته؛ لترويج مشروعات المستعمر الثقافية والعلمية، حيث تصدت لها الجمعيات العربية والإسلامية للحفاظ على هويتها، وهو ما تسبب في اصطدامها بالاستعمار الذي حاول تقييدها والسيطرة عليها))[1] .

وازدادت حدة الوقوف أمام المؤسسات الخيرية الإسلامية خلال عهدي (بيل كلينتون) الرئاسية. ففي تلك الفترة نما النفوذ الصهيوني في أمريكا أكثر من ذي قبل، وازدادت شراسة هذه الحرب بعد أحداث ١١/ أيلول/ ٢٠٠١؛ إذ اتُهمت المؤسسات الخيرية الإسلامية بتمويلها للإرهاب في العالم. وعند ذاك صارت الضغوط تتوالى على حكومات البلاد العربية والإسلامية من أجل تحجيم عمل المؤسسات الخيرية، وحسبنا أن نذكر هنا أنّ سفير الولايات المتحدة الأمريكية في مصر، قام بمطالبة شيخ الأزهر بإغلاق ٢٥ جمعية من الجمعيات الخيرية.

المستشرقون

المستشرقون هم الغربيون الذين كتبوا ويكتبون في الإسلام وحضارته. ولغته وتاريخه وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وديانات الشرق.

(١) القطاع الخيري ص٣٨٧.

وقد بدأت طلائعهم في القرن الثامن عشر، وفيه بدأ الغرب استعماره للبلاد العربية والإسلامية، فقاموا بدراسة اللغة العربية وما يتعلق بالإسلام من عقيدة وشريعة وتاريخ واخلاق.

وحين ندرس تاريخ المستشرقين نرى ان اكثرهم من موظفي المؤسسات الصهيونية او الدوائر الاستعمارية او الاساقفة او الكهنوت، ومن هؤلاء من جمع بين خدمة الكنائس والاستعمار معاً في الوقت نفسه: كالمستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) والمستشرق الانكليزي (هاملتون جب)، والمستشرق الهولندي (سنوك)... فقد كان هؤلاء -وغيرهم كثير- على اتصال دائم بوزارات الاستعمار، وعمل قسم منهم في مجال التنصير الذي كان يسمى بالتبشير. فلا نعجب اذا علمنا ان المستشرقين قاموا بتقديم خدمات كبيرة للاستعمار؛ فقد كانوا يدرسون عوامل القوة في المسلمين من اجل القضاء عليها، وجوانب الضعف من اجل تعميقها. وقبل ان تبدأ الجمهرة من المستشرقين بكتابة بحوثهم تضع لها اهدافا تبغي الوصول اليها، فصاروا يتصيدون العبارات من هنا وهناك من غير ان يتحققوا من صحتها، ويقومون بتحريف النصوص تحريفا مقصودا، ويسوقون الخبر مقطوعا عن مصدره، ويستنبط بعضهم استنباطات تضحك حتى الثكلى. يقول مستشرق انكليزي:

((كان اله محمد الناقة التي كان يركبها، والدليل على ذلك انه حينما هاجر الى

المدينة ودعاه اهلها للنزول عندهم قال لهم: دعوا الناقة حيث تبرك))[1].

وكل من يطلع على كتابة جمهرة المستشرقين، يرى انهم اساؤوا الى تاريخنا، وعملوا على التشكيك بديننا، وقاموا بوضع شبهات كثيرة عن العقيدة والشريعة الإسلامية: فأنكروا ان يكون القران منزلاً من عند الله، وشككوا بصحة رسالة النبي محمدﷺ ومصدرها الالهي، وانكروا نبوته، وزعموا ان الإسلام انتشر بالسيف، وان المسلمين مجبولون على حب سفك الدماء، وان الإسلام ملفق من اليهودية والنصرانية، وان الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني، ولقد كانت كتاباتهم تبغي نشر الديانة المسيحية، ومحاولة اقناع الناس ان الفضائل المسيحية تفوق فضائل الإسلام، فيقول المستشرق الفرنسي(لويس ماسنيون):

((ان الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسا يجب ان يلونوا بالمدنية المسيحية))[2].

ومن الاساليب التي اتبعها هذا المستشرق: الدعوة الى الكتابة بالعامية، لتنقطع الصلة بين العرب، فلا يفهم العراقي على المغربي، ولا التونسي على السوري... وبهذا تنقطع صلة العرب بالقران الكريم وبتراثهم وتاريخهم. ويعترف بالدوافع التي دفعته للبحث في شؤون الشرق الإسلامي فيقول:

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٨٩. الطبعة الثانية ١٤٠٠ - ١٩٨٠ . دار القلم دمشق- بيروت.

(٢) التبشير والاستعمار تأليف عمر فروخ ومصطفى الخالدي ص٨٩

((لم نبحث في الشرق الا عن منفعتنا، لقد دمرنا كـل مـا هـو خـاص بهـم، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وأدبهم. والشرقيـون ليسوا من السذج حتـى يعتقـدوا بكرم اخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد اننا نرغب ان نبقيهم ضعفاء))[1].

ويعرب المستشرق (شاتلييه) عن الاساليب التـي تخضـد شـوكة المسـلمين فيقول:

((اذا اردتم ان تغزو الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيـدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لهـا، والتـي كانـت السـبب الأول والرئيس لاعزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم- عليكم ان توجهوا جهود هدفكم الى نفوس الشباب المسلم والامـة الإسـلامية، باماتـة روح الاعتزاز بماضـيهم وتـاريخهم وكتـابهم القـران وتحـويلهم عـن كـل ذلـك بوساطة نشـر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الاباحيـة، وتـوفير عوامـل الهـدم المعنوي، حتى لو لم نجد الا المغفلين منهم والسذج والبسطاء لكفانـا ذلـك؛ لان الشجرة يجب ان يتسبب لها في القطع احد اغصانها))[2].

ويبدو حقد قسم من المستشرقين عـلى الإسـلام والمسـلمين في صـورة مـن اوضح الصور، حين نقـرأ مـا كتبـه المستشـرق(كيمـون) في كتابـه (ميثولوجيـا الإسلام) فيقول:

---

(١)مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد١٢ ص٧٥. ومن حاضر اللغة للأستاذ سعيد الأفغاني ص١٧٤ط٢. بيروت.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ص٩٩.

((إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مروع، وشلل عام، وجنون ذهني، يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها الا سفك الدماء، ثم يدمن على معاقرة الخمر، ويجمح في القبائح!!

وما قبر محمد في مكة (؟) الا عمود كهرباء يبث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع (الهستريا) والذهول العقلي، وتكرار لفظة (الله الله) الى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب الى طباع اصلية: ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من افكار القسوة والفجور في الملذات))[1].

ويقول المستشرق (جويليان) في كتابه (تاريخ فرنسا):

((إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد امر اتباعه ان يخضعوا العالم، وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو، ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى! ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: اسلموا او تموتوا، بينما اتباع المسيح اراحوا الناس ببرهم واحسانهم، ماذا كان حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين او المراكشيين))[2].

ولقد اصاب الاستاذ محمد اسد الذي كان يسمى (ليوبولد فايس) كبد

---

(١) الإسلام في العقل العالمي للدكتور توفيق يوسف الواعي ص ١٩١-ط ١ ١٤١٠- ١٩٩٠. دار الوفاء / المنصورة.

(٢) الإسلام في العقل العالمي ص ١٩١- ١٩٢

الحقيقة حين ذكر ان موقف المستشرقين الاوربيين من الإسلام عميق الجذور من الكراهية، مع التعصب الشديد ضده فيقول:

((إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول اثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهذا مع اقتناعه شخصيا باجرام موكله، لا يستطيع اكثر من ان يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الاسباب المخففة ... ويظهر انهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة -حقيقية او خيالية- ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد))[1].

ولقد كان لليهود دور مهم في حركة الاستشراق، حتى استطاع قسم منهم ان يصل الى الجامعات؛ لينفث من خلالها سمومهم. فهذا المستشرق (جولدزيهر) -وهو يهودي مجري- استطاع ان يبلغ شأواً كبيرا لدى المستشرقين، حتى صار رئيس علماء الإسلاميات في اوربا، واهتم المستشرقون بكتاباته ودراساته التي فيها من الطعن بالإسلام ما فيها.

وهذا المستشرق(شاخت) -وهو يهودي ايضا- جاء من بعد (جولدزيهر). واهتم المستشرقون -ايضا- بما دوّنه من كتابات -وهي ككتابات من سبقه- حتى صارت كتبه وكتب (جولدزيهر) من اهم مراجع المستشرقين، وقد دخلا الحركة الاستشراقية باسم الاستشراق الاوربي لا باسم اليهود؛ ليتمكنا من القيام بمهمتيهما من غير ان ينتقدهما احد. وليس هذان المستشرقان وحدهما من اليهود، فهناك الكثير غيرهما مثل: (مرجليوث) و(ليفي بريل) و (برنارد لويس)

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص ٥٢-٥٤.

و (مكسيم رودنسون)...

ولا بد لنا ان نكون منصفين، فنذكر ان من المستشرقين اناساً كرسوا حياتهم لخدمة العلم من غير ان يؤثر بهم تعصب ديني او سياسي، وبفضل هؤلاء ظهرت اعداد من نوادر المخطوطات الإسلامية الى الوجود، وهناك من المستشرقين من اشاد بهذا الدين وحضارته، وكتب كتبا مهمة في الحضارة الإسلامية وقد هداهم الله للاسلام، ومن هؤلاء(ليوبولدفايس)الذي اسلم وتسمى باسم محمد اسد، و(دينيه) و (جرمانوس) و (بوكهارت) و (فلوري) و (ميشو بيللر) وغيرهم ولكن جمهرة المستشرقين ظلت عقابيل الحروب الصليبية تجري في دمائهم، ذلك ان المستشرق المنصف كثيرا ما تنهال عليه وعلى كتابته الردود، متهمين له بالانحراف عن المنهج العلمي ، وسيره وراء العاطفة، او مجاملته للمسلمين كما فعلوا مع (توماس .و. ارنولد) حين الف كتابه القيم (الدعوة الى الإسلام).

واخيراً: فان الحركة الاستشراقية استطاعت ان تغرس غرسا خبيثا في نفوس (مثقفينا)، وان تشككهم بتاريخهم وحضارتهم ... ولكن من نعم الله على هذه الامة ان تنبه الى خطورتهم وما يحملونه من تشكيك في تراثنا علماء فقهاء حكماء، فندوا شبهاتهم الواحدة بعد الاخرى، واماطوا اللثام عن دوافعهم ومناهجهم المبنية على الهوى والافتراء.

الشيخ محمد عبده وعبد القادر عودة والاحتلال الانجليزي لمصر

الشيخ محمد عبده مصلح اجتماعي، وعالم كبير من علماء مصر المحققين المجتهدين. ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٩٠٥. أخذ عن جمال الدين الأفغاني منهجه في إصلاح المجتمع والإصلاح الديني وخالفه في بعض الفروع، وقام بتطوير وتعميق اليقظة الإسلامية في التربية والتعليم، وتكوين دعاة للإسلام، دعا الى فتح باب الاجتهاد الذي قال بعض العلماء بسده منذ القرن الرابع الهجري، كما عمل على إصلاح الأزهر، وإبراز تشريعات الإسلام على قدرتها على مواجهة الحضارة الغربية، وأخذ المفيد من علومها، وكذلك قام بمقاومة الجمود الذي كان عليه كثير من علماء عصره بعقل مستنير، وواءم بين التراث الإسلامي الذي دبجه علماؤنا السابقون واحتياجات العصر، وعالج في لقاءاته وكلماته وكتاباته الكثير من قضايا أمته، ومن ذلك: موقفه من احتلال الانجليز لمصر.

أمّا عبد القادر عودة، فهو قانوني كبير، وفقيه واسع الأفق. ولد سنة ١٩٠٦ واستشهد سنة ١٩٥٤، له عدد من الكتب القيمة، منها: موسوعته الموسومة: (التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي) الذي كان وما زال كذلك مرجعا مهما من مراجع علماء القانون والفقه، وقد طبع طبعات كثيرة، وترجم إلى عدد من لغات العالم، وكذا كتابه (الإسلام وأوضاعنا القانونية) و(الإسلام وأوضاعنا السياسية) و(الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) و(المال والحكم في الإسلام)، وقد صار الوكيل العام للإخوان المسلمين في عهد الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين، وكانت له جهوده الكبيرة في حرب الانجليز في قناة السويس.

وهذه مقتطفات مما قاله الشيخ محمد عبده، ومما دبجه الشهيد عبد القادر عودة، وهي تعبر عن موقف الإسلام من المستعمر الذي احتل بلاد المسلمين.

ونبدأ بالشيخ محمد عبده: فحين أرسل الإمام من قبل قيادة تنظيم (العروة الوثقى) إلى (لندن) لعرض قضية الاحتلال الانجليزي لمصر على قادة المجتمع الانجليزي أولا، والرأي العام -بعد ذلك- أدلى بحديثه إلى صحيفة (البول ميل جازيت) في ١٧/ ٨/ ١٨٨٤، وخاطب في حديثه الانجليز فقال:

((..وإن عطفكم علينا كعطف الذئب على الحَمَل. ولقد قضيتم على عناصر الخير فينا؛ لكي تكون لكم من ذلك حجة للبقاء في بلادنا.. لمَ لا تغادرون بلادنا في الحال؟!.. شكونا من الأتراك؛ لأنهم أجانب عن وطننا، وأردنا لبلادنا إصلاحا وتقدما كتقدم الاوربيين في طريق الحرية، ولكننا الآن نعلم أنّ هناك ما هو شرٌ من استبداد الحكام، وشر من ظلم الأتراك، وليس في مصر من بلغ به الظلم حداً يرجو معه مساعدتكم.. إن لنا إليكم رجاءاً واحداً، وهو أن تغادروا بلادنا حالا إلى غير رجعة..))[1].

ولما سأله مندوب الصحيفة: إننا إذا تركنا مصر، فان الفرنسيين سيحتلون بلادكم بدلا عنا، أجاب الشيخ:

((الفرنسيون يعرفون أننا لا نقبل حكمهم، كما لا نقبل حكمكم، نقاومهم كما قاومناكم. إننا لا نريد لوطننا حكاماً أجانب عنَّا كائنة ما كانت بلادهم،

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ١/ ٧٠٣-٧٠٤ تحقيق الدكتور محمد عمارة. الطبعة الثانية ١٤٢٧-٢٠٠٦ دار الشروق، بيروت.

ونحن نعرف كيف نجعل حكمهم فينا أمراً مستحيلاً، ومهما يكن الحال، فالفرنسيون لا يستطيعون أن يسيئوا إلينا أكثر مما أسأتم أنتم)[١].

ولما سأله المندوب: أليس المهدي خطراً على بلادكم؟ أجاب الشيخ:

((لا خطر على مصر من حركة المهدي، إنما الخطر من وجودكم انتم فينا، وإنكم إذا غادرتم مصر، فالمهدي لن يرغب في الهجوم عليها..))[٢].

ولما سأله المندوب: أليس السودانيون قوما متعصبين؟ أجاب الإمام:

((ليس السودانيون متعصبين، لكنهم إذا شعروا بالخطر الأجنبي يتهدد بلادهم ثاروا، وأصبحوا حينئذٍ متعصبين. وما مثلهم في ذلك الا مثلكم انتم إذا رأيتم جيشاً من المسلمين في شوارع لندن..))[٣].

المندوب: ولكن ماذا يكون مصير المسيحيين في مصر - إذا تحقق جلاء جيوشنا عنها؟ فهلا تحدث فيها مذابح جديدة؟

الشيخ محمد عبده: ((لم تحدث في مصر مذابح، اللهم الا المذابح التي سببها الانجليز أنفسهم. وإن وصول أسطولكم إلى الإسكندرية هو الذي دفع الغوغاء إلى الشغب، وإن إنزالكم جيوشكم بها هو سبب حدوث الاضطراب في طنطا. لم يقتل من المسيحيين احد قبل حضوركم إلى مصر، ولن يحدث من ذلك شيء بعد جلائكم؛ فلا نزاع بيننا وبين المسيحيين طالما عاشوا في ظل قوانيننا، ولم

---

(١)الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ١/ ٧٠٤

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٠٤

(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٠٤

يتدخلوا في شؤون حكومتنا))[1].

المندوب: إنَّ تِسعين في المائة من الفلاحين يريدون حكومة مسيحية؛ تخفف عنهم ثقل الضرائب ويفضلونها على حكومة إسلامية تفرضها عليهم.

الشيخ محمد عبده: ((تلك أوهام، لقد أُثقِلت ظهور الفلاحين بالضرائب، لكنهم في الوقت الحاضر لا يشكون منها، وإنما يفكرون قبل كل شيء في تخليص بلادهم من حكم الأجنبي، بل إنهم ليفضلون أن يدفعوا أكثر مما يدفعون لتحقيق هذه الغاية. إني اعلم ذلك، فاني على اتصال بالمراسلين في جهات كثيرة في مصر، يمكنكم إذن إن تلغوا جميع الضرائب، فلن يحمدوا لكم هذا الصنيع))[2].

أما الشيخ عبد القادر عودة،فقد بين موقف الإسلام من الاستعمار، وما يجب على المسلمين تجاهه فقال:

((الإسلام يحِّرم على المسلم أن يخضع لغير المسلم، ويوجب على المسلم جهاد الغزاة المستعمرين وقتالهم وقتلهم حتى يخرجوا من بلاد الإسلام)).

((والإسلام يبيح للمسلم دم المستعمر وماله؛ لأن المستعمر ليس الا حربياً معتدياً، فكل ما يسفكه المسلمون من دم المستعمرين، إنما هو دم مباح، وكل ما يأخذونه من أموالهم إنما هو مال مباح، وكل ذلك إذا ما أتاه المسلمون بنية خالصة إنما هو عمل يتقربون به إلى الله)).

((والإسلام يحرم على المسلم موالاة المستعمر ومودته، ويوجب عليه مقته

---

(١)الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ١/ ٧٠٥

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٠٧

وكراهته، فكيف يعيش الاستعمار بين قوم لا يوالونه ولا يُوادّونه، بـل يكرهونـه ويَمقُتونَه)).

((والإسلام لا يجيز للمسلمين أن يعاهدوا المستعمرين أو يهادنوهم مـا دام في المسلمين قوة، فهي إذن الحـرب المشـبوبة الدائمـة مـا دام الاسـتعمار، أو هـي الهدنة الموقوتة التي لا تنتهي الا بالقتال)).

((والإسلام يجيز للمسلمين في حالة ضعفهم أن يهادنوا المسـتعمرين هدنـة مؤقتة قصيرة، عـلى أن يعـدوا ويسـتعدوا، فـإذا خـافوا الإضرار بالمسـلمين، أو خشوا خيانة المستعمرين، نبذوا إليهم عهدهم، وعادوا إلى حربهم بعد إنـذارهم، فأحكام الإسلام تمنع من مسالمة المسـتعمرين الا إلى اجـل، وتجيـز نقـض الهدنـة والعود إلى الحرب، كلما اقتضت ذلك مصلحة المسلمين والإسلام))[1].

رحم الله الإمام الشيخ محمد عبده، والشيخ عبد القادر عـودة فلقـد قارعـا الاحتلال الانجليزي لمصر بكل ما يستطيعانه. وهذا هـو شـأن العلـماء الأعـلام على مر الأجيال في كل زمان ومكان. فلا نعجب إذا علمنا أنّ عدو المحتل الأول هم العلماء العاملون، وأنّ أوّل عمل قام به المحتل من قبل هـو إغـلاق المـدارس الإسلامية كما حدث في كل بلد من البلاد العربية والإسلامية التـي احتلـت مـن قبل المستعمرين، وأنّ الدائرة الآن تدور على المناهج الإسـلامية التـي تـدرَّسُ في البلاد العربية والإسلامية.. انه المحتل، لا يتضايق من شيء كتضايقه من العلـماء الذين ينفخون في الأمة روح مقاومته بالسيف والسنان، او الحجة والبيان.

---

(١) الإسلام وأوضاعنا القانونية تأليف: عبد القادر عودة ص١٠١-١٠٢، مطبعة: دار الكتاب العربي- القاهرة/ ١٩٥١

خاتمة

تواجه الأمة المسلمة في هذا العصر حربا ظالمة من القوى الغربية بقيادة (الولايات المتحدة الأمريكية)، وبتوجيه من اليهود الذين كانوا -وما زالوا كذلك- يؤثّرون في سياستها الداخلية والخارجية، بل ويمسكون بسياسة الحكم فيها، وكان من وراء تلك الحرب أهداف كثيرة من أهمها: سلخ المسلمين من هويتهم وأصالتهم ومبعث قوتهم (الإسلام)، وجعلهم يسيرون على وفق السلوك الغربي؛ لأنهم يعلمون أنّ المسلم حين يفهم إسلامه ويتمسّك به لا يوالي أعداء الله المحاربين له من المحتلين والمستعمرين، ولا يستجيب لتنفيذ مخططاتهم وهو يعلم ما فعله المجاهدون بالمستعمرين من قبل، بل يقف وقفة الأبطال في وجوههم، حتى يخرجهم من البلاد مندحرين خاسئين.

ومن أهداف تلك الحرب الظالمة-أيضا-: إخضاع البلاد العربية والإسلامية للهيمنة الأمريكية، واستعمارها من جديد استعمارا بثوب آخر وبأهداف يهودية، وإعادة رسم الخارطة السياسية والجغرافية للبلاد العربية والإسلامية، وبقاؤها أكبر فترة ممكنة في بلاد المسلمين؛ لتتحكم بسياستها ومستقبلها وتنهب خيراتها، وتعمل على الحفاظ على أمن اليهود، وتمكينهم من التوسع في أرض فلسطين، والحيلولة دون المسلمين وتحكيمهم لشرع الله، وذلك بإيجاد أنظمة تسير على وفق ما يريده الغرب.

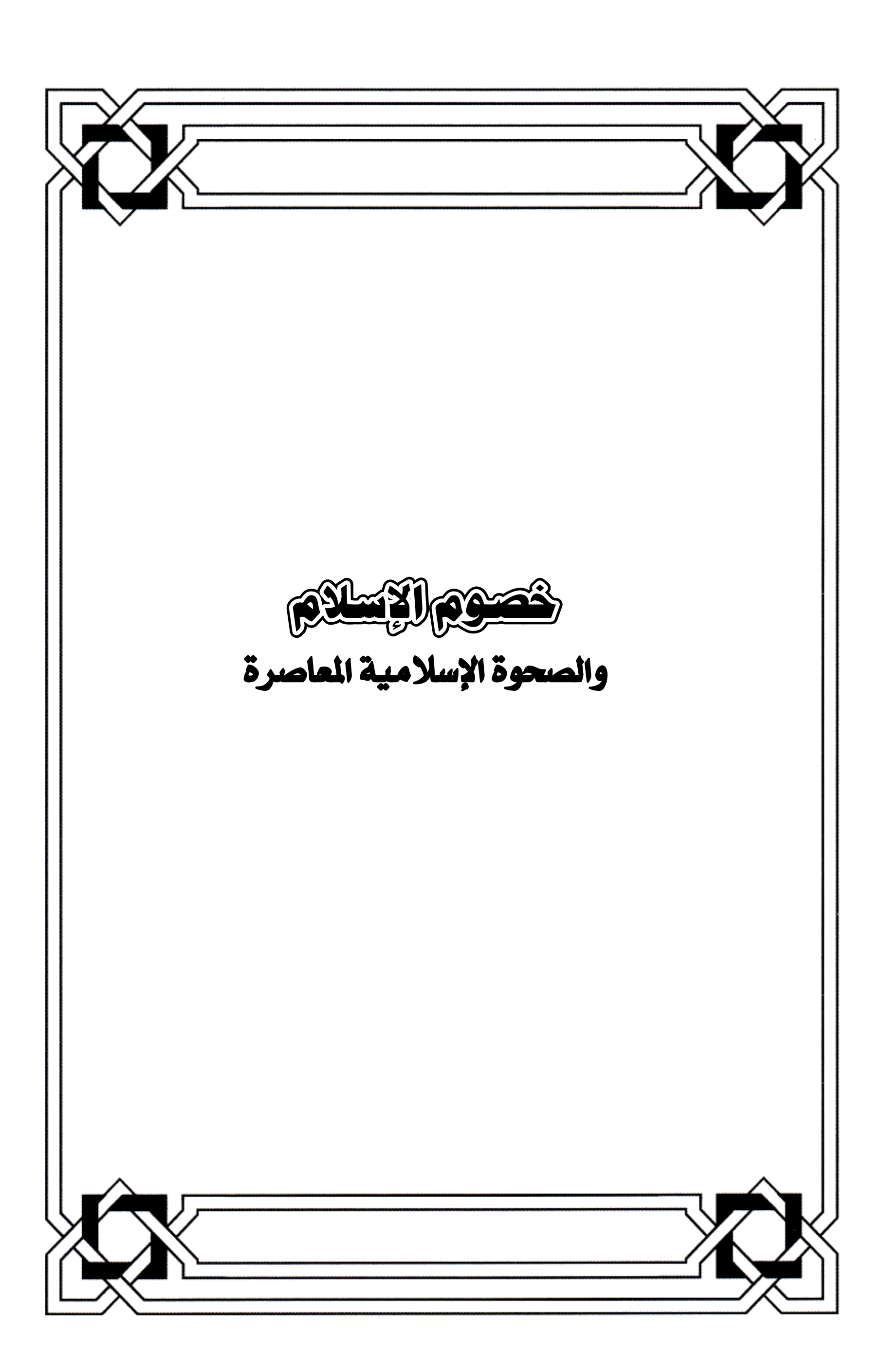
وإذا كانت بلاد المسلمين قد شهدت هجمة عنيفة من أوربا بعد منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين واستعمرت من (بريطانيا) و(فرنسا)

و(إيطاليا) و(اسبانيا) و(هولندا)...واستمرّ استعمارها عشرات السنين، فإنّ الذين رباهم المحراب، وصقل نفوسهم قيام الليل والناس نيام قاموا بمحاربة المستعمرين، حتى تمكنوا من طردهم، مقدّمين الشهداء بعد الشهداء. وهكذا ذهب الاستعمار الأوربي؛ بمساوئه وجرائمه، لتحلّ محلّه الزعامة الأمريكية التي انفردت بالهيمنة على العالم بعد تفكك الاتحاد السوفيتي قبيل نهاية القرن العشرين.

ونحن المسلمين نؤمن أنّ الباطل مهما تجبّر وتكبّر ورغى وأزبد، ومهما جار وظلم، فإنّ العاقبة لا تكون إلاّ لعباد الله الصالحين، أولئك الذين لا ينامون على ضيم ويأخذون بالأسباب، مصداقا لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة غافر.

وصدق الله العظيم



خصوم الإسلام

والصحوة الإسلامية المعاصرة

مقدمة

الحمد لله حمداً استتمُّ به نعمتَه، وأستعجلُ به رحمته، وأستبعد به عذابه ونقمته، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى سائر أنبيائه ورسله، وآله الطيبين وصحبه المخلصين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلم يخْلُ عصر من العصور التي مرّت بالمسلمين منذ فجر الدعوة الإسلامية الأول من أعداء كادوا لها، وحاربوها بكل وسيلة من الوسائل. بيد أنّ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تعرضت لهجمة رهيبة شرسة من قوى كثيرة في العالم، مختلفة في وسائلها وأهدافها غير هدف واحد هو حربها للإسلام والمسلمين.. وقد استخدمت تلك القوى المحاربة أقوى الأسلحة المادية والعلمية من أجل الإجهاز على الدعوة الإسلامية، والتخلص من أي اثر كان من آثارها ... وتولى كبر تلك الحرب الضروس على الدعوة: أُناس توافرت لهم الإمكانات المبنية على أُسس علمية وإعلامية وتخطيط منظم ما لم يتوافر لأسلافهم من قبل، كما توافر لهم من أموال طائلة وجيوش جرارة لمحاربة هذا الدين ما لم يتوافر لأسلافهم مثيل له.

لقد واجهت الأمة الإسلامية أعداء الداء: فصدت هجمات المغول والتتار والصليبيين[1] حتى إذا اندحرت أخر حملة صليبية، وعَلِموا أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع أناس طلبوا الموت لتوهب لهم الحياة، عادت بثوب جديد،

(١) ابتدأت الحملة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٦، وانتهت الحملة الصليبية الثامنة سنة ١٢٧٠.

متمثلة بالقوة الاستعمارية التي هيمنت على مقاليد الأمور في البلاد الإسلامية؛ فاحتلت أراضي المسلمين احتلالاً مباشراً.. لقد فعلت ذلك لتقتلع الإسلام من قلوب المسلمين، ولتعزله عن واقع حياة الناس، ولكن في كتمان شديد، من غير أن تصرح بعداوتها لهذا الدين أو تُلوح به...! هكذا عادت الصليبية بثوب جديد، حاملة أساليب علمية متطورة لصد الناس عن الإسلام أولاً، ولتمزيق الأمة المسلمة شر ممزق بعد ذلك ولكن بدهاء وخبث وخديعة. ويدلنا على ذلك أن (نابليون) لما احتل مصر أصدر بيانا افتتحه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وقال فيه:

((إن الفرنسيين أنصار النبي قد قهروا البابا وفرسان مالطة، فليصدقنا المصريون إذا قلنا: إننا حقا مسلمون)).

وجاء في البيان:

((إذا لم توافقوا على آرائي فاسمحوا لي على الأقل أن أتوسل إليكم حامياً وصديقاً للإسلام، ولا يهمني أن تعترفوا بي مسلماً حقيقياً أو تنكروا وجودي بتاتاً فشعوري نحو عبيد الله لن يتغير))[1].

ولم يكتف (نابليون) بذلك، بل قام بتشييد جامع كبير سُمي باسمه، وكان يرتدي العمامة، ويحضر احتفالات المولد النبوي.. لكن أول عمل قام به في مصر: هو إلغاء الشريعة الإسلامية وإحلال القانون الفرنسي محلها، وكذلك الإنكليز، فإن أول عمل قاموا به - بعد أن استعمروا بلاد الهند -: هو إلغاء

(١) العلمانية تأليف سفر عبد الرحمن الحوالي ص٥٣٧. الدار السلفية الكويت ١٤٠٨-١٩٨٧.

الشريعة الإسلامية، وأما أذناب اليهود والصليبيين في (تركيا) فأن أول عمل قاموا به: هو إلغاء الشريعة الإسلامية أيضاً، وجعل تركيا دولة لا دينية...!!

على أن المستعمرين هؤلاء لم يكفوا عن استخدام الحديد والنار ضد العالم الإسلامي إذا رأوا أن مصلحتهم في ذلك كما في (الفلبين) و (ارتيريا) و (تايلاند) وبلاد إسلامية كثيرة...!

ومما استخدمه الغرب في العالم الإسلامي: أسلوب التنصير العلني. وإذا كان هذا الأسلوب قد أخفق في كثير من مجالاته، إلا أن الحركات الصليبية ظلت مستخدمة له في عدد من الدول الإسلامية، ومنها: (اندونيسيا) و (نيجيريا) و (أفريقيا) وفي كثير من بلاد المسلمين...

ومن أساليب أعداء الإسلام وأسلحتهم: سلاح تمزيق المسلمين بالدعوة إلى القومية وإحلالها محل النزعة الإسلامية: يقول (لورنس العرب) في كتاب (الثورة العربية):

((وأخذتُ طول الطريق أُفكر في سوريا وفي الحج وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني على الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل السياسية مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الوطني؟ هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق))[1].

---

(١) جند الله ثقافة وأخلاقاً تأليف سعيد حوى ص٢٦. الطبعة الأولى ١٣٩١-١٩٧١، دار العربية- بيروت.

وقد حقق (لورنس) وأضرابه مـن أعـداء ديننـا مـا كـانوا يأملونـه ويجـول بخاطرهم، بل تحقق أكثر مما كانوا يأملونه ويرجونـه.. ومـا الواقـع المـؤلم الـذي تعايشه بعض الشعوب المسلمة إلا صورة واضحة من صـور نجـاح الأعـداء في تمزيقنا..

ومن أساليبهم هذه: أسلوب التشـكيك في مصـادر الشـريعة الإسـلامية، والزعم بعدم صلاحها للتطبيـق في كـل زمـان وفي كـل مكـان؛ لـذلك صـاروا يدعون إلى ما أسموه (تطوير الإسلام). وقد أوضح المستشـرق (جب) في كتابـه (إلى أين يتجه الإسلام) نفوذ الثقافة الغربية التي سرت في المسلمين، وما أصاب المسلمين من تطور في أفكارهم، وانتهى إلى قوله:

((ومـن ثـم نسـتطيع أن نقـول - حسـب سـير الأمـور الآن -: إن العـالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظـاهر حياتـه، مـا لم يطـرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان، فتغير اتجاه التيار))[1].

ويريد (جب) بالعامل الذي ليس في الحسـبان: أن يسـتيقظ المسـلمون مـن سباتهم، ويجمعوا شملهم، ويوحدوا صفهم، ويلمـوا شـعثهم وينصـرفوا عـن خلافاتهم الجانبية التي جرت عليهم الويلات، وجرعتهم كؤوس الذلة والمهانة.

لقد كنا - ولا زلنا كذلك نحن المسلمين - ضـحية تعصـب غـربي أعمـى، وقـد أذاقنـا المسـتعمرون الغربيـون - ولا يزالـون كـذلك - ألوانـا مـن الحقـد

---

(١) لكي لا تتحطم حصون الإسلام من الداخل تأليف حسين محمد يوسف ومحمد عطية خميس ص٧ مطبعة دار النصر. شبرا. ١٩٧٧.

والتعصب، وامتصاص الخيرات، وانتهاب الثروات، وتمزيقنا إلى كيانات هزيلة، وهم دائبون على تجزئة هذه الكيانات على تفاهتها، إمعاناً منها في إضعافنا.

إن الغرب الفاجر لما استعمر بلاد المسلمين اقترف المنكر الأكبر بإزاحة الإسلام من دنيا المسلمين وجعله محصوراً بين جدران المساجد، وفرض العلمانية –اللادينية- ولم يغادر بلاد المسلمين التي استعمرها إلا بعد أن سلم مقاليد الأمور فيها لأناس أسماؤهم أسماء مسلمين ولكن قلوبهم وعقولهم قلوب الغربيين وعقولهم.. بل أن أولئك الحكام - عبيد الغرب - فعلوا ما لم يجرؤ ساداتهم على فعله واقترافه..

إن عداء الغرب للإسلام غدا من الوضوح والجهر به بحيث يدركه كل إنسان، وإن محاربة ما يسمى بـ(الأصولية الإسلامية) و (التشدد) و (التطرف).. هذه الأسماء التي حلت محل (الرجعية) و (التخلف). ما هي إلا حرب للإسلام، يلتقي على ذلك ويتظاهر عليه (اليهود) ، (الصليبيون) رجال الدين والساسة والمفكرون...!

لقد كثرت الوثائق والتقارير التي صاغها الغرب الحاقد لمواجهة الدعاة إلى الله في كل مكان، كما كثرت تسمياتهم لأولئك الأطهار الأبرار الذين يريدون العودة بالناس إلى تحكيم شرع الله. فمما أطلق على الدعاة إلى الله من أسماء:

(السلفيون) و (الأصوليون) و (المتزمتون) و (المتعصبون) و (المتطرفون) و (الإرهابيون) إلى غير ذلك من الأسماء التي شاعت وذاعت في كتابات المستشرقين، وبخاصة الأمريكان منهم!!

أما الوثائق التي أعدت لمواجهة (الصحوة الإسلامية) المعاصرة فكثيرة جداً، منها: وثيقة كتبها (ريتشارد ميتشل) خبير المخابرات الأمريكي. ومما جاء في هذه الوثيقة من بنود:

((... ثالثاً: بالنسبة للشباب نركز على ما يلي:

أ- محاولة تفريغ طاقاتهم المتقدة في الطقوس التعبدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة.

ب- تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.

ج- تشجيع الهجوم على السنة المحمدية والتشكيك فيها وفي المصادر الإسلامية الأخرى.

د- تفتيت الجماعات الإسلامية والجماعات المختلفة وبث التنازع بينها.

هـ- مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية، خاصة التزام الفتيات بالزي الإسلامي عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب.

و-استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها، والتقليل من نشاطها...))[1].

---

(١) أنظر: ريتشارد ميتشل (تقرير خطير للمخابرات الأمريكية ينصح بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية) وقد نشر في مجلة (الدعوة) المصرية في عدد ٣٢ السنة ٢٧ صفر ١٣٩٩- ١٩٧٩. وقد أورد الدكتور علي جريشة نص التقرير الكامل في كتابيه (حاضر العالم الإسلامي) و (دعاة لا بغاة).

ولزيادة الإطلاع أنظر: الغرب في مواجهة الإسلام تأليف مازن المطبقاني. الطبعة الأولى ١٤١٠- ١٩٨٩ دار عكاظ.

وليست هذه الوثيقة هي الوحيدة التي كتبها خبير المخابرات الأمريكية لمكافحة الإسلام، بل هناك وثائق كثيرة صاغها دهاقنة السياسة في دول الغرب لهذا الهدف لذلك صار من الواجب على المسلم في هذا العصر أن يدرس أساليب الأعداء هذه ووسائلهم ومناهجهم وطرقهم، كي يعد لكل أسلوب ما يناسبه؛ ذلك أن حماية الإسلام من هجمات الأعداء أمر مطلوب، وفرض لازم على كل مسلم. وليس بمسلم صحيح الإسلام من يرى سهام الأعداء تنتثل هنا وهناك، ويرمى بها دينه من كل جانب، وهو يقف موقف المتفرج إذا كان قادراً على الرد ولم يفعل..!

وفي هذه الرسالة الصغيرة نماذج من أساليب أعداء الإسلام في محاربة هذا الدين وقد رجعت في كتابتها إلى عدد من المراجع وخاصة رسالة صغيرة استفدت منها بعنوان (أساليب خصوم الإسلام في تعويق مسيرة النهضة الإسلامية المعاصرة) للدكتور سليمان عبد الجواد.

والله أسأل أن يرفع الغشاوة عن عيون المسلمين الذين خدعوا بمكايد الغرب ودسائسه وأن يبصر شبابنا بما يراد بهم وبإسلامهم. والله يقول الحق، ومنه -وحده- الهداية والسداد.

أساليب الأعداء
في مواجهة دعوة الإسلام

ينبغي على المسلم أن يدرك أساليب الأعداء وأسلحتهم في حربهم لدعوة الإسلام وهذا أمر مهم لأسباب كثيرة منها:

١- إن أعداء الإسلام يسلكون طرائق كثيرة وأساليب منوعة في حرب هذا الدين. ومن لا دراية له بتلك الأساليب والطرائق قد يتأثر بها، إذ ظاهرها مزوق مزركش، يلبس فيها الحق بالباطل: فيقع المسلم ضحية تضليل أو خداع. وإذا علمنا أن أجهزة كثيرة ودقيقة قد أعدت عدتها لمحاربة هذا الدين أدركنا أن معرفتنا بتلك الأساليب أمر ضروري لا بد منه.

٢- إذا انطلت هذه الطرائق على المسلم، فقد يكون عوناً لأعداء دينه من غير أن يشعر: فيشارك مشاركة فعالة في هدم الإسلام.. وكم من أولئك الذين خدموا أعداءهم وهم لا يشعرون ظانين أنهم يحسنون صنعاً؟!..

٣- إن الواجب على المسلم أن يدرك أساليب الأعداء ليتمكن من رد كيدهم إلى نحورهم، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تلك الأساليب ومعالجتها معالجة علمية دقيقة.

وهذه بعض تلك الأساليب التي اتخذت في محاربة الإسلام، ذكرتها على سبيل المثال فقط:

١- التضليل الإعلامي

للأعلام أثره المهم في كل ما يصيب الناس من شر وخير وضلال وهدى. ونريد بالتضليل الإعلامي: تشويه صورة الدعاة إلى الله في نظر الناس بأشكال

عديدة، وتشويه الدعوة، ونشر الإشاعات الكاذبة حولها. وهذا الأسلوب من أساليب الأعداء قد استعمله المشركون منذ فجر الإسلام الأول: فقد كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل التي تأتي إلى الحج، طالبا منهم النصرة ليبلغ رسالة الله إلى الناس، وكان يقول لهم فيما يقول: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا) ويمشي خلفه (أبو لهب) يقول لهم: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب.. وليس أبو لهب وحده الذي قام بذلك التضليل الإعلامي، بل وجد أمثال له كثيرون. هكذا حاصرت قريش الدعوة الإسلامية حصاراً إعلامياً ظالماً: فكان لا يقدم أحد إلى مكة إلا حذروه من سماع ما يقوله رسول الله ﷺ . ويكفينا أن نعلم أن الصحابي الجليل (الطفيل بن عمرو الدوسي) لما قدم مكة، وسمع ما سمع من تحذير رجالات قريش له أن يسمع من الرسول الكريم شيئاً، قرر أن يضع في أُذنيه الكرسف (القطن)؛ خشية أن يسمع من كلامه شيئاً.. ولندع (الطفيل) يروي لنا قصة إسلامه فيقول:

((...فقدمتُ مكة فمشيتُ إلى رجالات قريش فقالوا: يا طفيل إنك أمرؤ شاعر سيد مطاع في قومك، وانا خشينا أن يلقاك هذا الرجل -يعنون رسول الله ﷺ- فيصيبك ببعض حديثه فإنما حديثه كالسحر ... فوالله ما زالوا يحدثونني في شأنه وينهونني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني. قال: فعمدت إلى أذني فحشوتهما كرسفاً (قطنا) ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائماً في المسجد. قال: فقمت منه قريباً، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله... فقلت بالكرسفة فنزعتها من أذني فألقيتها ثم استمعت له، فلم

أسمع كلاماً قط أحسن من كلام يتكلم به..))[1].

وإذا تجاوزنا عهد الرسالة الأول إلى ما بعده، نرى الإعلام الصليبي قد قام بدور كبير في صد الناس عن سبيل الله. ويوضح هذا ما كتبه (الكونت هنري دي كاستري) في سنة ١٨٩٦ في كتابه (الإسلام خواطر وسوانح) فيقول:

((ولست أدري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى، وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوالين من المسيحيين (مثل شعراء الربابة الذين يطوفون بالقرى)، فجميع أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادر عن فكر واحد كان السبب في الحروب الصليبية، وكلها محشوة بالحقد على المسلمين: للجهل الكلي بديانتهم. وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين، ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان، ولا يزال بعضها راسخاً إلى هذه الأيام))[2].

وظلت هذه الحروب الإعلامية قائمة منذ فجر الإسلام الأول إلى يوم الناس هذا.. بيد أن الحرب الإعلامية في هذا الوقت قد استفادت من علم النفس، فصار تأثيرها في الناس كبيراً. وهكذا قامت بصياغة عقول الناس وأفكارهم ببرامج مدروسة أثرت في الناس تأثيراً نلمس أبعاده في حياتنا المعاصرة. ووسائل الإعلام: مرئية ومسموعة ومقروءة، قد استفاد منها خصوم

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبن عبد البر القسم الثاني ص٧٥٩-٧٦٠ بتحقيق علي محمد البجاوي. مطبعة النهضة. القاهرة.

(٢) الإسلام خواطر وسوانح للكونت هنري دي كاستري ص٧ ترجمة أحمد فتحي زغلول نشره عبد الرحمن البرقوقي. مطبعة السعادة. القاهرة.

الإسلام في محاربة هذا الدين فالمذياع يسمعه الموظف والعامل والتاجر والمزارع، والرجل والمرأة، والمثقف وغير المثقف.. أما (التلفزيون)، فشأنه أكثر أهمية وخطورة، إذ يجلس أفراد العائلة أمامه كل يوم ساعات كثيرة، يتلقون منه تربيتهم وثقافتهم، شعروا أم لم يشعروا.. فلا عجب أن يطلق على التلفزيون بعض علماء النفس في الغرب أسم (ثالث الوالدين). وفي وسائل الإعلام هذه التي طبخت في بلاد أعدائنا يتلقى المسلم الأوصاف التي يوصف بها الدعاة إلى الله، الغيورون على هذا الدين، وهي أوصاف قبيحة ينفر الناس من سماعها. وهكذا كان التضليل الإعلامي سبباً مهما من أسباب تشويه صورة الشباب المؤمن المجاهد، وتشويه صورة الإسلام في نفوس الشباب، وإقصائه - بعد ذلك - عن واقع الحياة، فصارت تصفهم بالمتعصبين والمتشددين والمتطرفين والإرهابيين والأصوليين...

والعجيب كل العجب - وإن شئت فقل لا عجب - أن يصف المسلمين الملتزمين بدينهم: العلمانيون والملاحدة والزنادقة، وتردد (الببغاوات) في بلاد العرب والمسلمين هذه العبارات من غير أن يبحثوا عما وراء تلك الألفاظ من (دسائس) و (مكر) و (خديعة)...!

فلا بد للمسلم أن يعمل على تفويت الفرصة على أعداء الإسلام، فيعرض دعوته في حلة رائعة الجمال، بهية المنظر، ليعرفنا الناس على حقيقتنا.. ونحن إذ نفعل ذلك لا نريد أن نتملق الناس فضلاً عن أن نخدعهم أو نغشهم، إذ ليس ذلك من خلقنا وديننا وسلوكنا، بل نريد أن يعرفنا الناس معرفة صحيحة، لكي

لا نكون - نحن المسلمين - ضحية تلك الأكاذيب، ونتهم بما نحـن منـه بـراء، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

وإذا كانت الدعاية الإعلامية الدقيقة المبرمجـة تصـل إلى هـدفها وتـنجح في مهمتها ولو كانت كاذبة، فأن نجاحها عند القائمين عـلى الحـق والصـدق أكثـر، وبخاصة إذا كانت الأقوال مدعمة بالأفعال..

٢- إثارة الفرقة والخلاف بين المسلمين

وهذا الأسلوب مـن انجـح الأسـاليب في إضـعاف المسـلمين وتـوهينهم: وذلك بتأجيج نار النزاعات بين المسلمين في قضايا خلافية فرعية، واستثمار ذلك الخلاف لخدمة أعداء الإسلام..

إن الاختلاف الفقهي في الفروع لم يكن أمرا غريباً، فإن الله ﷻ خلق الإنسان مختلفاً في ألسنته وألوانه ومواهبه ومداركه وتصرفاته، فكان الاختلاف جزءاً من طبيعته. فلم يجعل الله الناس أمة واحدة، لأن الاختلاف ينسـجم مـع طبيعـتهم، فلا عجب أن يصير الاختلاف في الآراء ظـاهرة طبيعيـة، واخـتلاف العلـماء في الأحكام الشرعية جزء من هذه الظاهرة الطبيعية. ومن أسباب ذلك الاخـتلاف اختلاف الأفهام، وتفاوت القابليات، وعظـم الحـظ مـن الثقافـة والمعلومـات، وتنوع البيئة، وان الحديث قد يصـل إلى بعضـهم ولم يصـل إلى بعضـهم الآخـر. وهذا أمر طبيعي، إذ الإحاطة بما قاله رسول الله ﷺ كله غير ممكـن، وقـد يكـون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده، أو ثبت عنده ولكنه نسيه، أو اعتقد بضعفه، أو أن الحديث معارض بما يـدل عـلى نسـخه.. إلى أخـر ذلـك ممـا هـو معـروف

مألوف[1]...

وهكذا اختلف سلفنا الصالح في إمور، بيد أن هذا الاختلاف ما أفسد لهم وداً، وما نبذ بعضهم بعضاً، ولم يعب أحد منهم على أحد رأياً رآه، بل كانوا على أتم ما يكونون محبة وتعاوناً وتراحماً وتعاطفاً، مع أن اختلافهم كان في مسائل كثيرة تتعلق بالعبادات والنكاح والقضاء...

وهكذا نمت روح التسامح بين الصحابة، وقويت المحبة، وكثر التعاون الموصل إلى رضوان الله. وبهذا نجى الله الأمة المسلمة من ذلك الجدل العقيم، والمراء السقيم والتخاصم والتحاسد: فكان الواحد منهم يفهم من الآية أو الحديث فهما، ويفهم الأخر فهما أخر، ويناقش كل صاحبه بالتي هي أحسن: فإن اتفقا فذلك ما كانا يبغيان وإن كانت الأخرى عذر كل صاحبه، وانصرفا أخوين متحابين.

ثم خلف من بعدهم خلف قدسوا هذه الآراء وتعصبوا لها، وطعنوا فيما سواها، فتفرقت بالمسلمين السبل، لذلك نجد رجال العلم والتاريخ قد قسموا الحركة العلمية في الصدر الإسلامي الأول إلى مدارس، وذلك قبل أن تنشأ المذاهب الإسلامية الفقهية، ووضعوا على رأس كل مدرسة واحداً من صحابة رسول الله ﷺ، وتعددت فتاوى أولئك الصحابة الكرام: فمنهم من كان يحل الشيء ويحرمه الأخر ومنهم من يقول بهدر بعض الدماء ويعصمها الأخر.

---

(١) لزيادة الإطلاع انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية فهو كتاب نفيس في هذا الموضوع.

إن هذه الحقيقة ينبغي أن يفهمها كل مسلم: فلا يفاصل أخاه لاختلافه معه في حكم من الأحكام، فإن فعل ذلك، فقد دخل في صنف أولئك (الذين فَرّقُوا دينَهم وكانوا شيَعاً). يقول ابن تيمية - رحمه الله - :

((أما من بلغ به الحال إلى الاختلاف والتفرق إلى درجة أن يوالي من وافقه ويعادي من خالفه، بل ربما يقابله على مثل هذا ونحوه مما جوزه الله - سبحانه- كما يفعل بعض أهل بلاد الشرق، فهؤلاء من (الذين فَرّقُوا دينَهم وكانوا شيَعاً))).

((فالواجب عدم السير وراء متعصبي المذاهب، لأن منهم من عمدته العمل الذي وجده في بلده، فجعل ذلك هو السنة دون ما خالفه مهما صح دليله. مع العلم بأن النبيﷺ قد وسع ذلك فكل سُنّة)).

((ويجب أن يعلم هؤلاء المتعصبون أن الصحابة تفرقوا في الأقطار فكل روى ما شاهد، وقد يكون بعضهم شاهد شيئاً وشاهد غيره غير ما شاهده. فالعمدة على صحة الروايات. فإذا صحت بصفات متعددة كان ذلك دليلاً على أن الأمر واسع والكل سنة متبعة))[1].

ولقد قرر هذه الحقيقة من قبل (يحيى بن سعيد) فقال:

((أهل العلم أهل توسعة. وما برح المفتون يختلفون: فيحل هذا ويحرم هذا

---

(١) ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين للشيخ عبد الجليل عيسى ص١٢٢-١٢٣ مطابع دار القلم. القاهرة.

فلا يعيب هذا على هذا))[1].

أما عمر بن عبد العزيز ﷺ فيقرر أن هذا الاختلاف في فهم الصحابة من يسر الإسلام وسماحته، ولو لم يختلفوا لوقع الناس في ضيق شديد وذلك قوله:

((ما أحب أن أصحاب محمدﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم: فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة))[2].

وهناك كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أحببت الاقتباس منه هنا لما فيه من فائدة. إنه يقول:

((ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يُصَلّون الجمع والأعياد والجماعات، لا يَدَعُون الجمعةَ والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم. فأن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين. ولم يقل أحد من الأئمة: انه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره، بل مازال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي

---

(١) فهم الإسلام للأستاذ جمعة أمين عبد العزيز ص١٣٤. الطبعة الثانية ١٤١١هـ دار الدعوة. مصر / الإسكندرية.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٩/ ١٢٢ وانظر الموافقات للشاطبي ٤/ ١٢٥.

وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد. وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرى، فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم))[1].

ويقول:

((ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه: كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة فإن الله تعالى قال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ سورة البقرة. وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم)).

((والخوارج المارقون الذين أمر النبيﷺ بقتالهم[2]، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي ابن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص

---

(١) قاعدة في جمع كلمة المسلمين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣-١٤ تحقيق حماد سلامة. الناشر مكتبة المنار. الأردن. الزرقاء.

(٢) إشارة لقوله ﷺ (.. فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) رواه البخاري في كتاب المناقب (باب: علامات النبوة ٦/ ٦١٨، ومسلم في كتاب الزكاة (باب: التحريض على قتال الخوارج) ٢/ ٧٤٧، وأبو داوود في كتاب السنة (باب: في قتال الخوارج) ٥/ ١٢٤.

وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقـاتلهم عـلي حتـى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم)).

((وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفـروا مـع أمـر الله ورسولهﷺ، بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه علـيهم الحـق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لإحدى هذه الطوائـف أن تكفـر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيـف إذا كانـت المكفرة لها مبتدعة أيضاً؟ وقد تكون بدعة هـؤلاء أغلـظ. والغالـب أنهـم جميعـاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه))[1].

ويقول في وجوب اتفاق المسلمين وحظر تفرقهم:

((فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً مـن أهـل الجمـل وصـفين ونحـوهم وكلهـم مسـلمون مؤمنـون كـما قـال تعـالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ سـورة الحجرات. فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضـهم عـلى بعـض اخـوة مؤمنون وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل. ولهذا كـان السـلف مـع الاقتتـال يـوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفـار: فيقبـل بعضـهم شـهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم مـن بعـض، ويتوارثـون ويتنـاكحون، ويتعـاملون

(١) قاعدة في جمع كلمة المسلمين ص١٥-١٦.

بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك))[1].

ويقول ابن تيمية في تأليف قلوب الناس:

((العمل الواحد يكون فعله مستحباً تارة، وتركه تارة، باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية. والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبيﷺ بناء البيت على قواعد إبراهيم

وقال لعائشة:

((لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لنقضت الكعبة ولألسنتها بالأرض، ولجعلت لها بابين: باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه والحديث في الصحيحين. فترك النبيﷺ هذا الأمر الذي كان عنده أفضل الأمرين للمعارض الراجح: وهو حدثان عهد قريش بالإسلام لما في ذلك من التنفير لهم، فكانت المفسدة راجحة على المصلحة.

ولذلك استحب الأئمة احمد وغيره أن يَدَع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين.. وكما لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل أو الجهر بها، وكان المأمومون على خلاف رأيه، ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزاً حسناً... فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزاً. وقد يكون فعل المرجوح أرجح

---

(١) قاعدة في جمع كلمة المسلمين ص٢٠.

للمصلحة الراجحة، كما يكون ترك الراجح أرجح أحياناً لمصلحة راجحة))[1].

وإذا رجعنا إلى ما رجحه علماؤنا، نرى أنهم لا ينكرون على المختلف فيه، وإنما ينكرون على ما اجتمعت عليه الأمة. يقول الإمام النووي:

((وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب. وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم. وعلى المذهب الآخر: المصيب واحد، والمخطئ غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه ...))[2].

ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي:

((...فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه. فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب، والضبع، ومتروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر، وتناوله ميراث ذوي الأرحام، وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار، إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد ...))[3].

أما السيوطي فقد جعل هذا المعنى قاعدة من قواعد الفقه الكلية فقال:

((لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه))[4].

---

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٦٥-١٦٧ قدم له حسنين محمد مخلوف. مطبعة العاصمة. القاهرة ١٣٨٤-١٩٦٥ الناشر: دار المعرفة بيروت.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٣.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي ٨/ ٧٣/ دار الكتب العلمية بيروت. ط ١. ١٤٠٩هـ.

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٥٨ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨-١٩٥٩.

وبعد أن نقرأ هذه النصوص وأمثالها -وما أكثرها - نتألم أشد الألم حين ننظر إلى عدد ليس بالقليل من المسلمين في العالم الإسلامي وقد انشغلوا بقضايا جزئية وأمور فرعية اختلف فيها الناس منذ عهد صحابة رسول الله رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا.. انشغلوا بهذه القضايا عن أمور عظمى تتعلق بمصير الأمة الإسلامية ومستقبلها.. لقد انشغلوا بهذه الأمور الفرعية في الوقت الذي تقوم العلمانية اللادينية بنشر ضلالها في المجتمع، وترسخ الصهيونية أقدامها في فلسطين، وتنحر الصليبية المسلمين في عدد من دول العالم جهاراً نهاراً، ويتعرض المسلمون لغارات تنصيرية كبيرة، بغية محو الشخصية الإسلامية، ويضطهد الدعاة إلى الله في كل بقعة من بقاع العالم.

وليعلم هؤلاء الأخوة المختلفون في هذه القضايا الفرعية الجزئية: أن أعداء الإسلام عملوا على اهتبال الفرص واستغلال ذلك الخلاف واستثمروه لصالحهم ومآربهم. فقبل خمسة عشر عاما أو يزيد وصل إلى مساجدنا بالبريد من خارج القطر عدد من الكراريس والكتب معنونة إلى أئمة وخطباء بعض المساجد في الموصل، وكُنتُ واحداً ممن وصلته تلك الكتب، وهي تحمل حملة شعواء على الفكر السلفي. وقد علمت - فيما بعد - أن المصدر الذي أرسل إلينا بتلك الكتب كان قد أرسل بكتب أخرى إلى المملكة العربية السعودية، تحمل فكراً مضاداً للفكر السلفي: وهو هجوم عنيف على الصوفية...

فلينتبه المسلم إلى ذلك، وليدرك، ما يراد به وبإسلامه في هذه الأحوال القاسية.

٣- المنافقون

المنافقون: هم الكفار الذين أعلنوا انضواءهم تحت لواء الإسلام في الظاهر، وأخفوا كفرهم وعداوتهم له في الباطن. فهم يحملون في نفوسهم الجبن والضغينة والمكر السيء. وقد عانت الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ما عانت من مكرهم وإيذائهم للإسلام؛ إذ أتقنوا فن الدعاية: فقاموا بتشويه الحوادث على ضعفاء المسلمين، ونشر الأراجيف، والشماتة إذا أصيب المسلمون بمصيبة، وإضعاف الروح المعنوية في الجيش.. وكانوا يقعدون عن الخروج للجهاد، أو يستأذنون الرسول في القعود، ويراهم مَنْ هم دونهم في المكانة من العامة فيقتدون بهم في القعود، بل كان هؤلاء يشيرون على غيرهم بالقعود فيقعد من يقعد، ويخرج إلى القتال من يخرج ممن لا يستجيب لهم فإذا قُتِلَ من أشاروا عليه بالقعود قالوا: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾** ﴾ سورة آل عمران.

كان من المنافقين من يخرج مع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه للقتال، ولكنه لا يواصل معه السير، بل يعود من حيث أتى وهو يقول: والله ما ندري علام نقتل أنفسنا؟.. وحين يرجع لا يرجع وحده، بل يعود ومعه طائفة من الناس كما حصل يوم أحد، أما إذا ظلوا سائرين مع المسلمين ولم يرجعوا فأنهم يعملون على بث روح التخاذل في الجيش والسعي بالفتنة كما حدث في (غزوة تبوك) وقد فصلته كتب السيرة النبوية.. وكانوا ينتهزون كل فرصة لأثارة الفتن بين المسلمين: كما حدث في غزوة (بني المصطلق)، ويحاولون الغض من

مكانة رسالة الإسلام بالاستهزاء برجالها والانتقاص من أولئك الأطهار الأبرار، ويهزؤون ممن يتطوع من المؤمنين بالصدقات: فأن أعطى كثيراً رموه بالرياء، ومن أعطى قليلاً سخروا منه. هؤلاء المنافقون هم أكثر خطراً على الدعوة الإسلامية من الكفار الذين يعلنون كفرهم، ذلك أن الكافر لا يواليه من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان صحيح، لكن الخطر -كل الخطر- يكمن في هؤلاء الذين يتزيون بزي الإسلام ويتحدثون باسمه، ويظهرون الإيمان ويحملون في داخلهم الكفر.. ولقد أظهر المنافقون الإيمان وأخفوا الكفر لأسباب كثيرة منها:

١- ليكونوا محل احترام من النبيﷺ ومن المسلمين.

٢- ليتمكنوا من القيام بمهمة التجسس على المسلمين، وليدلوا الكفار على ما ينتفعون به في حربهم للمسلمين.

ومن أبرز الشخصيات المنافقة التي تركت في المجتمع أسوأ الأثر: (عبد الله بن سبأ) اليهودي الذي كان يلقب بابن السوداء، وهو يهودي من أهل صنعاء: ((فقد قام بدور ماكر لئيم في تمزيق أوصال المجتمع المسلم.. تظاهَرَ بدخوله في الإسلام في عهد (عثمان بن عفان)ﷺ وعمل على التقرب من علي بن أبي طالبﷺ والتظاهر بمحبته والغيرة على هذا الدين؛ فاستطاع أن يكتسب قلوب فريق من الناس إليه، ولكن ما إن اطمأن إليه قسم من الناس حتى صار يكذب على علي نفسه، وينال من (أبي بكر) و (عمر)..))[1].

(١) صحابة رسول الله للمؤلف ص١٩-٢٠. مطبعة الخنساء / بغداد ١٩٩٤.

وإذا كانت الشخصيات المنافقة التي ظهرت على مدار التاريخ كثيرة، فإن الملل والنحل التي ظهرت كانت كثيرة كثيرة كذلك. ومن أبرز تلك الملل والنحل المنافقة:

الحركات الباطنية... وما أكثر تلك الحركات التي ظهرت في أوربا وأمريكا تحمل اسم الإسلام في الظاهر، وتدعو إلى الكفر أو إلى غير الإسلام في حقيقة الأمر.

هؤلاء الذين يبطنون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يعلنون هم أشد خطراً على المسلمين ممن جاهرهم بالعداء. وقد تصاب الدعوة بنكبات ونكسات من هؤلاء الذين يتسللون إليها بقصد شق صفوفها وتمزيق وحدتها وبث الخوف والرعب في دعاتها وهو أسلوب من أساليب كيد الأعداء، يقومون به الآن كما قاموا به من قبل ولا بد للمسلم أن يقف موقفاً حازماً من هذه الدعوات فيفضح خططها ومؤامراتها..

٤ - الاحتواء

ويراد به تغيير الهدف، وتفريغ الدعوة من مضمونها الصحيح، وتحويلها عن مسارها وأهدافها الحقيقية إلى أهداف أخرى فإن هدف الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان: هو إعادة الناس إلى عبودية الله وحده، وتحكيم شرعه في كل أمر من الأمور وقد فطن أعداء الإسلام إلى أهمية هذا الهدف فصاروا لا يواجهون الدعوة الإسلامية مواجهة صريحة، بل يحاولون أن يفرغوها من محتوياتها بطريقة أو بأخرى، فتفقد عند ذاك هدفها الحقيقي. ومن وسائل الاحتواء: إسناد

وظائف كثيرة ومناصب عديدة تشغل قسماً من الدعاة عن دعوته الحقيقية: وذلك حين ينشغل بأعمال جانبية كثيرة. وقد يخيل إليه باديء ذي بدء أن قبوله لهذا المنصب أو ذاك وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، ولكن ما إنْ يوافق على قبول تلك المناصب حتى ينشغل عن وظيفته الحقيقية بكثرة الاجتماعات ورسم الخطط، فتمضي به سنوات وسنوات من غير أن يقدم لدعوته ما كان يقدمه لها من قبل. هكذا ينجح هؤلاء بصرفه عن هدفه الأول. جاء في تقرير خبير المخابرات الأمريكية (ريتشارد ميتشل) وهو ينصح بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية ما يأتي:

((... ثانيا: بالنسبة للشخصيات القيادية التي تقرر التخلص منها فننصح بإتباع ما يلي:

أ- تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهودهم، وذلك مع الإغداق عليهم أدبياً ومادياً وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محلياً، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب- العمل على إيجاد فرص عمل بعقود مجزية في البلاد العربية البترولية، الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي...))[1].

ومن أساليب الاحتواء: إظهار هؤلاء الأعداء أنفسهم بمظهر المتمسكين بدينهم ويظهرون لوناً من ألوان التدين يوهم الدعاة أنهم معه. وبهذا الأسلوب

---

(١) الغرب في مواجهة الإسلام – معالم ووثائق جديدة – لمازن المطبقاني ص٥٠.

يتمكنون من جلب قلب الداعية لهم. وقد كان المنافقون في عهد رسول الله ﷺ قد اتبعوا هذا الأسلوب. وفي عصرنا الحديث دعا (ستالين) إلى محاربة الدين بالدين، وتظاهر (نابليون) بدخوله في الإسلام، بل لبس العمامة، وصار يحضر احتفالات المولد النبوي، بعد أن أخفقت قوة الحديد والنار من الوقوف بوجه الإسلام في مصر.

ومن أساليب الاحتواء - أيضاً - تخدير شعور الناس: فكثيراً ما يظهر لك العدو موافقته على ما تقول، إذ لا يريد أن يواجهك ويثير غضبك، بل يوافقك على ما تقول بوجه من الوجوه. ومن أمثلة ذلك: المؤتمرات الكثيرة التي عقدت فيما يسمى بالحوار الإسلامي المسيحي فهم يقولون لك: ((نريد أن نسمع منك وتسمع منا. ونجلس على مائدة المفاوضات، ما كان عندك من حق نقبله، وما كان عندنا من حق تقبله، ونتعاون جميعاً على أمور مشتركة: كحرب الشيوعية وحرب المادية والوجودية والإلحاد إلى غير ذلك من الشعارات البراقة التي يخادعون بها بعض السذج من المسلمين، وهم بهذا يحققون أكثر من هدف منها.. إشغال الدعاة والعلماء بالمناظرات والمعارك الجدلية وتذويب هذه المشاعر مشاعر الغيرة لدى المسلمين بهذه الطريقة، لذلك نجد كثيراً من المسلمين اليوم أصبح الواحد منهم يخجل أن يطلق عليهم صفة الكفر، ويخجل أن يسمي النصراني كافراً))[1].

---

(١) أساليب خصوم الإسلام في تعويق مسيرة النهضة الإسلامية المعاصرة للدكتور سليمان عبد الجواد ص٢٦-٢٧. دار الزهراء. القاهرة.

على أن هذا لا يمنعنا من اتخاذ بعض تلك الأساليب عند الضرورة القصوى، عملاً بقاعدة: (إذا دار الأمر بين ضررين فاختر أهونهما). وقاعدة (درء المفاسد وجلب المصالح) من أعظم القواعد الأصولية في الإسلام: فيستطيع المسلم أن يحارب شراً بشر أخف..

إنها أساليب ينبغي على المسلم أن لا يغفل عنها، لئلا يتحول عن هدفه الحقيقي من غير أن يشعر.

٥- الحصار الاقتصادي

واجَهَ الإسلام الحصار الاقتصادي منذ البداية الأولى لانبثاق نوره في الكون: فقد قامت قريش بكتابة صحيفة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب بعد أن امتنعوا عن تسليم النبيﷺ إليهم ليقتلوه، وأخفقت قريش في استعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة. كان هذا الحادث قد أهاج قريشاً، فاشتد البلاء على المسلمين، وقرروا القيام بمقاطعة من يؤويه ولا يسلمه: فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب فدخلوا معه في (الشعب)، وخرج من بني هاشم (أبو لهب) فلم يدخل شعبهم. هكذا أجمع هؤلاء أمرهم وعزموا على حماية رسول اللهﷺ وإدخاله معهم في (الشعب): فدخل في الشعب بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم. وقرر المشركون أن لا يخالطوا من يؤوي رسول الله، ولا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يزوِّجوهم ولا يتزوجوا منهم حتى يسلموا رسول اللهﷺ للقتل. وظلوا في (الشعب) ثلاث سنين، وقد اشتد بهم البلاء والجوع، حتى نقضت الصحيفة.. قال السهيلي:

((كانت الصحابة إذا قدمت إلى مكة، يأتي أحدهم إلى السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله، فيقوم (أبو لهب) فيقول: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمدﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئاً، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن لا خسار عليكم: فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً، حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يده شيء يطعمهم به. ويغدو التجار إلى (أبي لهب) فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعريا))[1].

لقد عرف العرب بالجود والكرم، والبذل والسخاء، ومساعدة ذي الحاجة وإغاثة الملهوف التي توارثوها كابراً عن كابر، وسار بذكر جودهم وسخائهم الركبان. لكنهم تغافلوا عن هذه الأخلاق الكريمة والقيم النبيلة يوم صارت الحرب ضد المسلمين، حتى كان القوم يسمعون تضاغي الأطفال من شدة جوعهم، فلا تلين قلوبهم لذلك.!

وهذه الحرب الاقتصادية نجدها حتى في قرننا العشرين، وهذا مثال على ذلك:

لما أعلن (جان بيديل بوكاسا) إمبراطور أفريقيا الوسطى إسلامه سنة ١٣٩٦-١٩٧٦ وغير اسمه إلى (صلاح الدين أحمد بوكاسا) قامت قيامة الغرب ولم تقعد، وتهددته (أمريكا) و (فرنسا) و (ألمانيا) بقطع المساعدات عنه إن لم يرتد

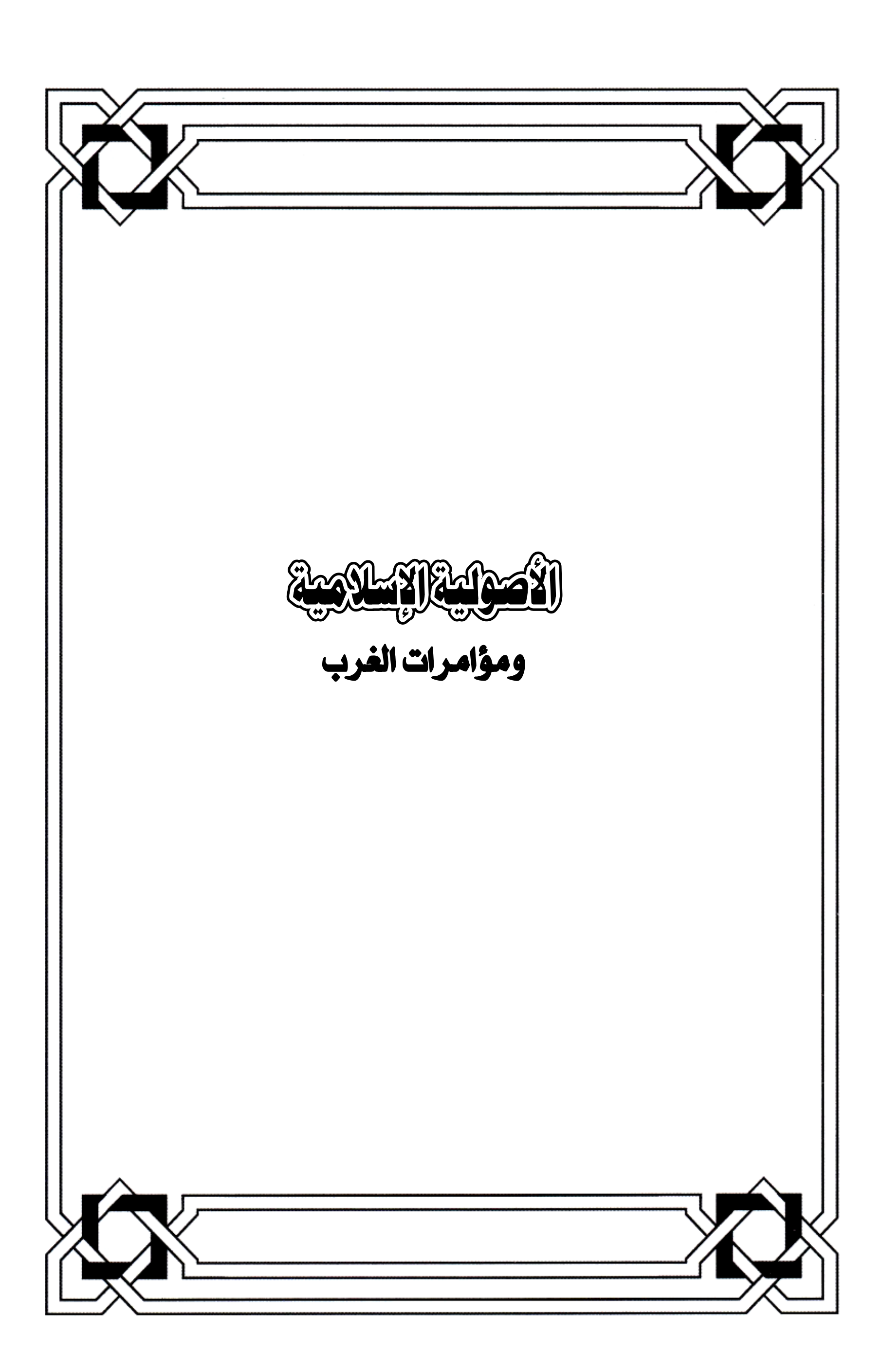
---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص١٢٤. الطبعة الخامسة بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الخامسة ١٩٦٥. دار الكتب الحديثة / القاهرة.

عن إسلامه -وأفريقيا الوسطى يقوم كثير من اقتصادها على المساعدات- ولما لم تجد التهديدات معه نفعاً وظل ثابتاً على دينه، قطعت هذه الدول عنه المساعدات وتحمل أزمة اقتصادية خانقة كادت تودي به.. ويكفينا أن نعلم أن موظفي دولته ظلوا أربعة أشهر من غير أن يستلم واحد منهم مرتبه من دائرته، الأمر الذي اضطر معه (بوكاسا) إلى بيع عمارته الخاصة به في (باريس) ليعطي للموظفين مرتباتهم..

هذا الأسلوب من أساليب محاربة الإسلام نجده اليوم في صور عديدة لمن يدعو إلى الله ﷻحتى في ديار المسلمين: فيضيق عليهم بكل وسيلة.

ويبث هؤلاء الأعداء شائعات كثيرة بغية إخفاق المسلمين في أي مشروع كان يريدون عمله: فهم يطلقون إشاعتهم الكاذبة: بأن المشروع لمصلحة فلان من الناس، أو أنه يتلاعب به، أو ما أريد به وجه الله... إلى غير ذلك من الإشاعات التي يبغون من ورائها التضييق على المسلمين بإفشال أي مشروع كان من مشاريعهم الاقتصادية. فلينتبه إلى ذلك المؤمن..!



الأصولية الإسلامية

ومؤامرات الغرب

مقدمــة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبـده ورسـوله محمـد، وعلى سائر أنبيائه ورسله، وآله الطيبين وصحبه المخلصين، ومـن اتبـع هـداه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فهذه محاضرة كنت قد ألقيتها في ليلة من ليالي شهر رمضان المبـارك في عـام ١٤١٣ في جامع الحاج ذياب العراقي في الموصل، ومن فضل الله ونعمته عـلي أن تقبلها الناس بقبول حسن، وطلبوا مني أن أقوم بطبعها في كراس صغير، ليطلـع عليها من لم يتيسر له سـماعها؛ فـأجبتهم إلى ذلـك، سـائلا مـن الله ﷻ السـداد والرشاد، وأن يبصرنا بخطط أعدائنا ويقينا شرورهـم ومـا يخططـون في الليـالي الليلاء، متضرعا إليه تعالى أن يجعلها له وحده وينفع بها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!

الأصولية الإسلامية

من نعمة الله على هذه الأمة، أن نجد الصحوة الإسـلامية قـد عمـت بقـاع العالم العربي والإسلامي: ففي كل بلد من هذه الـبلاد، نجـد شـباباً قـد اتجـه إلى بيوت الله، دارساً لكتاب الله ولسنة رسوله الكريم صـلوات الله وسـلامه عليـه، عاملا على تحكيم شرع الله في كل قضية من القضايا، متأسياً بالصحابة الكـرام في تضحياتهم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. هذه الظاهرة التي شاعت في المجتمع، صار لها تأثيرها في قسم البلاد العربية والإسلامية، لفتت أنظار كثير

من ساسة الغرب، فقاموا بإعداد دراسات كثيرة، وعقد مؤتمرات على مستويات مختلفة، واضعين الخطط تلو الخطط بغية إخماد (الصحوة الإسلامية) التي أخذت مكانها في قلوب كثير من الشباب، أو على الأقل: تعويق وعرقلة هذا المد الإسلامي - إن لم يمكن إيقافه في الوقت الحاضر - ومن أمثلة ذلك ما كتبه: الباحث الألماني (باول شمتز) في كتابه: (الإسلام قوة الغد العالمية) إذ يقول

((إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوربا وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوربي؛ لمواجهة هذا العملاق –الإسلامي– الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه. هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب؟))[1].

لذلك ابتدأت تلك الجهود الجهيدة من ساسة الغرب تعمل عملها ليل نهار، وازداد نشاطها في أوائل السبعينيات إلى وقتنا هذا. فهذا (جيمي كارتر) يوعز إلى مخابراته ليرصد الحركات الإسلامية كلها في العالم الإسلامي.. وقد اتخذوا في حربهم هذه أساليب كثيرة: فقاموا ينعتون الشباب المسلم المثقف الذي يدعو إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه بنعت (السلفية)، ثم تطور الأمر؛ فصاروا ينعتونهم بـ(الأصولية)، فوق نعتهم بالمتطرفين والإرهابيين. وقد شاعت هذه المصطلحات كثيراً في كتابات المستشرقين -وبخاصة الأمريكان منهم-!! فهذه هيئة الإذاعة البريطانية، تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي:

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية تأليف باول شمتز ص٣٢٤ ترجمة الدكتور محمد شامة / الطبعة الأولى ١٣٩٤ / مكتبة وهبة / القاهرة.

((إن الجهـد الـرئيس للمخـابرات الأمريكيـة الـذي كـان منصـباً لمراقبـة إمبراطورية الشر -يعني الاتحـاد السـوفيتي- سـيتجه أساسـا لمراقبـة الجماعـات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العقبات والعراقيل أمامها))[1].

وأذاعت تعليقاً لصحيفة (الفايننشال تايمز) قالت فيه:

((إذا كانت أمريكا تشـجع الاتجاهـات الديمقراطيـة في شرق أوربـا ودول العالم الثالث؛ فأنه يجب عليها ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي؛ إنها بذلك تـدفع -دون أن تـدري- بالأصـوليين إلى تسـلم زمـام السـلطة في ذلـك العالم))[2].

((وفي أثناء الإعلانات والشعارات المعسولة عـن السـلام العـالمي القريـب وحرية الشعوب في الحريـة والاسـتقلال والديمقراطيـة... فجَّـرَ رئـيس فرنسـا (ميتران) قنبلة صليبية مذهلة حين قال:

إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر فسوف أتدخل عسـكريا كـما تـدخل بوش في بنما))[3].

وهذا المستشرق الأمريكي (و.ك. سميث) الخبير بشؤون الباكسـتان يقـول بكل صراحة:

---

(١) وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج. تأليف الدكتور سفر عبد الرحمن الحوالي ص٦٩-٧٠.

(٢) المصدر نفسه ص٧٠.

(٣) المصدر نفسه ص٧٠.

((إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فأن الإسلام ينتصر في هذه البلاد. وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها))[1].

((وينصح رئيس تحرير (مجلة تايم) في كتابه (سفر آسيا) الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية دكتاتوريات عسكرية؛ للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره، لكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر))[2].

وفي غمرة الإعلانات والتصريحات التي اجتاحت الإعلام الغربي جاء الحديث المكشوف لأمير من أمراء العرب أدلى به لصحيفة (نيويورك تايمز) قال فيه:

((إنه ينبغي أجراء محادثات بين المعتدلين العرب والإسرائيليين؛ لأن الخطر الحقيقي للسلام يكمن في تنامي الأصوليين))[3].

وقال:

((إن العدو الحقيقي هو تصاعد الأصوليين والتطرف، حيث المتطرفون

---

(١) روائع إسلامية للمؤلف – الجزء الثاني ص٥٣ الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٥ مطبعة الزهراء/ الموصل.

(٢) روائع إسلامية / الجزء الثاني ص٥٣.

(٣) وعد كيسنجر ص٧١.

اليهود من جهة، والمد الإسلامي الذي يـؤثر عـلى السياسـات الممتـدة مـن عـبر أفغانستان ولبنان وشمال أفريقيا))[1].

لا أريد أن أسترسل في هذا المجـال كثـيراً بيـد أني أضرب مـثلا بالرئيسـين الأمريكيين السـابقين (ريتشارد نيكسون) و (جيمـي كـارتر). فـأن (نيكسـون) ألف كتابا ضخما عنوانه (نصر بلا حرب)، وله بحـوث أخـرى، ولـه مشـاركاته المباشرة، كما حدث أثناء زيارة (غورباتشوف) لواشـنطن. فـأن (نيكسـون) مـع تحذيره وتهويله من الاتحاد السوفيتي وشخصية (غورباتشـوف) خاصـة، أطلـق سنة ١٩٨٥ صيحة صليبية قال فيها:

((يجب على روسيا وأمريكـا أن تعقـدا تعاونـا حاسـما لضـــرب الأصـولية الإسلامية))[2].

وينص (نيكسون) في كتابه المذكور هذا بكل صراحة على أن العـدو الأكـبر في العالم الثالث هو الأصولية الإسلامية[3].

أما (جيمي كارتر)، فمعروف عنه تعصبه لمذهبه الكنسي: فكان ينتقـل بـين (أفغانستان) و (أثيوبيا) و (إسرائيل) و (سوريا) مروراً بــ(السـعودية) وغيرهـا من دول الخليج، حاملا معه مشروعات كثيرة لوأد الصحوة الإسلامية في بـلاد

---

(١) وعد كيسنجر ص٧١.

(٢) وعد كيسنجر ص٧٢ وقد جعل الدكتور أحمد شلبي في كتابه (الحرب الصليبية) عبارة (نيكسون) هذه تصديراً لكتابه المذكور.

(٣) وعد كيسنجر ص٧٢.

العرب والمسلمين. يقول كارتر:

((والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف. ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً. والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة))[1].

ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير الكثير من كتابات وتصريحات دهاقنة السياسة في الغرب في حربهم لما يسمونها (الأصولية الإسلامية) جهاراً نهاراً من غير حياء أو خجل! أما الديمقراطية التي ينادون بها، فلا وجود لها في قاموس السياسة الغربية، إذا كانت الديمقراطية ينتفع منها المسلمون!! وهكذا شاع وذاع هذا المصطلح – مصطلح الأصولية – فلا تكاد تستمع إلى أية إذاعة كانت من (واشنطن) و (لندن) و (مونتكارلو) وغيرها إلا وذكر الأصوليين يتردد في هذه الإذاعات بكثرة كاثرة، فما المراد بالأصولية؟

الأصولية في المصطلح الغربي Fundamentalism وقد أطلقها الغربيون على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو العهد الجديد[2]. بيد أن الغربيين

---

(١) وعد كيسنجر ص٨١.

(٢) لزيادة الإطلاع انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني للدكتور يوسف الحسن ص١٠.

اليوم يطلقون هذا المصطلح على المسلمين ممن يريدون تحكيم شرع الله في كل شأن من شؤون الحياة... هؤلاء الذين يقيمون الأدلة بعد الأدلة على أن المجتمعات العربية والإسلامية لما فرض عليها إن تحكم الأنظمة الوضعية بعد أن استعمرت بلادها عادت بخفي حنين، جالبة الخزي والعار إلى الأمة ... هؤلاء الذين يقيمون الأدلة بعد الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله، من كتاب الله ومن سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه؛ فأن الله ﷻ يقول:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة النساء.

ويقول: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ سورة المائدة/ ٤٩.

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴾ سورة المائدة / ٤٨.

ويقول ﷻ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة المائدة.

ومن أمثلة التطرف الديني في نظر العالم الغربي، ما ذكره (آر هرير دكمجيان) الأمريكي في كتابه: (الأصوليون في العالم العربي)، وقد صدر الكتاب

عام١٩٨٥[1]...

وفي أول فصل من هذا الكتاب يتحدث المؤلف عما اسماه (التطرف الإسلامي)، فيستعرض الأحداث التي هزت العالم ونفذت بأياد إسلامية ومنها:

١- مقاومة المجاهدين في أفغانستان.

٢- اغتيال السادات.

٣- العمليات الاستشهادية ضد إسرائيل وقوات الأطلسي في لبنان.

٤- أحداث البحرين والتفجيرات في الكويت.

٥- مظاهرات تونس والجزائر والمغرب... وغير ذلك[2].

وقد استعرض ما أسماه كتابه هذا (أفكار متطرفة) منها:

الإسلام دين ودولة! ومنها: التمسك بالكتاب والسنة مصدراً للتشريع! ومنها الإقتداء بالسلف الصالح!![3].

ولا بد لنا أن نشير إلى أن الغرب ووكلاءه في عالمنا اليوم لم يتركوا جمهور

---

(١) هذا الكاتب هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة (نيويورك)، ومحاضر في شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية. وقد أعدت هذه الدراسة تقريراً للحكومة الأمريكية وساعده في إعدادها والإشراف عليها مؤسسة المعلومات الدفاعية في وزارة الدفاع الأمريكية.

(٢) التلويث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي تأليف عايد الشعراوي ص١٣٥. الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٩ / دار النهضة الإسلامية / بيروت.

(٣) التلويث الفكري ص١٣٥.

الناس من غير أن يختاروا لهم ماذا يزودون به من رأي، وما هي الآراء التي يجب أن يحجب عنها الجمهور؛ فيكون عليها تعتيم إعلامي؛ لذلك فأن ما ينشر ويذاع في وسائل الإعلام المحلية وكل المؤتمرات والندوات التي تعقد، وتحت أسماء إسلامية أحيانا هي من تحضير وترتيب الغرب وسفارته وخبرائه، حتى وأن كان المؤتمر برعاية الأزهر الذي أفتى بجواز الصلح مع اليهود!!!

حرب مجنونة

لقد شهرت على الدعوة الإسلامية والدعاة إلى الله كثير من الدول العربية حرب مجنونة، حتى أن الإنسان ليحسب أن هذه النظم ليس لها من شغل وليس لها من هم سوى التصدي لمن يدعو إلى عودة هذه الأمة إلى أصالتها، وإلى منبع عزها ومناط كرامتها: الإسلام العظيم ، إن هذه النظم ومثيلاتها تلجأ إلى كل وسيلة خبيثة وماكرة في وقت توجه الناس إلى دينهم، وهي لا تتورع من تعذيب الشباب المسلم تعذيبا وحشياً يقشعر من هوله جسد الإنسان. وإليكم مثلا مما كان يقوم به حكام مصر في حرب الإسلام ودعاته.

يقول أحد هؤلاء المعذبين: كنا شباباً وكهولا نرزح تحت وطأة عذاب جهنمي لا لذنب جنيناه إلا لأننا ندعو إلى تطبيق شرع الله! وتحت وطأة السياط والكي بالنار، ونفخ الأجسام بالمنفاخ، ونهش الكلاب، والجوع والمهانة، مات من مات، وجن من جن..!! وكنا نمشي فوق قطع الزجاج فتدمى أقدامنا وكنا نصلي بعيوننا؛ فقد كبلت أيدينا، وشلت أجسامنا!!! وحدث أن زار مدير عام المباحث أحد السجون؛ فنهض شاب دون العشرين من عمره، وشكا الاعتقال،

وتساءل: لماذا استمر اعتقاله رغم أنه لم ينتم إلى جماعة أو فكرة؟! فما كان من مدير عام المباحث إلا أن زأر قائلاً: ألم تضبط في جامع؟ عندما امسكوك ألم تكن في جامع؟

كيف تدعي أذن أنك لا تنتمي إلى فكرة أو جماعة؟!!

عندئذ هتف أحد العلماء المسجونين قائلا:

لو ضبطوك في بيت دعارة أو في خمارة لأفرجوا عنك! أما أن يضبطوك في جامع فالويل لك!!!

هذا ما قاله الشيخ المسجون! وأقول: لو أنهم وجدوه في بيت دعارة أو خمارة ما اعتقلوه!!

يقول الأستاذ كمال الفرماوي المحامي:

((لقد كان تلفيق القضايا هو السمة المميزة لهذه الفترة من التاريخ. فكم من عشرات القضايا نشرت في الجرائد على أنها محاولات لقلب نظام الحكم؟ وعشرات أخرى لم ينشر عنها شيء؟ لقد قضى العديد منهم نحبهم: اما تحت وطأة التعذيب، أو رميا بالرصاص... وكم من الجثث واراها جبل القلعة والمقطم في هدوء الليل المظلم؟! ولو نطقت أحجار هذه الجبال، لطلبت إلى بارئها الانتقام لمن تحتها من الضحايا والأبرياء... وكأني بهذه الرمال تئن لكثرة ما شربت من دماء عزيزة طاهرة من دنس النفاق))[1].

---

(١) يوميات سجين في السجن الحربي تأليف كمال الفرماوي ص٧-٨ / دار الثقافة للطباعة والنشر/ القاهرة/ ١٩٧٦.

ويقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي مصوراً قسماً من أنواع العذاب على الدعاة إلى الله، وقد كان معتقلاً آنئذ:

أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه	حتى يرى في هيئة البالون؟!
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه	بالطوق حتى ينتهي لجنون؟!
أسمعت ما يلقى البريء ويصطلي	حتى يقول: أنا المسيء خذوني؟!
إن كنت لم تسمع فسل عما جرى	مثلي، ولا ينبيك مثل سجين
واسأل ثرى (الحربي) أو جدرانه	كم من كسير فيه أو مطعون؟!
وسل السياط السود كم شربت دما	حتى غدت حمراً بلا تلوين!
واسأل زنازين الجليد تجبك عن	فن العذاب، وصنعة التلقين
بالنار أو بالزمهرير فتلك في	حين، وهذا الزمهرير بحين
يلقى الفتى فيه ليالي عاريا	أو شبه عار في شتا كانون
وهناك يملي الاعتراف كما اشتهوا	أو لا.. فويل مخالف وحرون!
وسل المقطم وهو أعدل شاهد	كم من شهيد في التلال دفين؟!
قتلته طغمة مصر أبشع قتلة	لا بالرصاص، ولا القنا المسنون
بل علقوه كالذبيحة هيئت	للقطع والتمزيق بالسكين[1]

والعجيب كل العجب -وإن شئت فقل لا عجب- أن ينعت هؤلاء

(١) من قصيدة طويلة بعنوان (الملحمة النونية) انظر: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار / الجزء الثالث ص٢٧-٢٨ الطبعة الأولى ١٣٩٨-١٩٧٨ مؤسسة الرسالة بيروت.

المسلمون المتمسكون بدينهم بنعت التزمت والتطرف ((فهل من الأنصاف أن ننحي باللائمة، ونصب جام غضبنا على الشاب الذي يعيش للإسلام وبه، محافظا على الصلوات، هاجراً للمنكرات، محصناً فرجه، غاضا بصره، حافظا لسانه،يتحرى الحلال، ويتوقى الحرام، حريصا على كل ما يعتقد أنه من أدب الإسلام: من لحية يطيلها، وثوب يقصره، وسواك يراه مطهرة للفم مرضاة للرب، صائنا لوقته من اللغو، ولماله من الإضاعة فيما لا يفيد... ننكر على هذا الشاب الناشئ في طاعة الله مهما يكن متشددا أو متزمتا.. على حين نسكت على الشباب الذين أضاعوا الصلاة، وأتبعوا الشهوات، من المائعين الذائبين الذين لا تكاد تميز الفتى فيهم عن الفتاة، الذين لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا، ممن فقدوا أصالتهم، ومشوا وراء الغرب، فكرا وسلوكا حذو النعل بالنعل!!))[1].

((هل من الإنصاف أن يتعالى الصراخ ويشتد النكير على ما سمي (التطرف الديني) وأن يلوذ الجميع بالصمت تجاه (التطرف اللاديني)؟!!))[2].

((هل من الإنصاف أن ننكر على الفتاة التي تلبس النقاب على وجهها، ونسخر منها ومن زيها، وهي لم تفعل ذلك إلا إرضاء لربها، وإتباعا لدينها، حسبما فهمت أو أُفهمت.. على حين نرى الصنف الآخر من الفتيات مميلات

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف للدكتور يوسف القرضاوي ص١٣٩ الطبعة الرابعة ١٤٠٥-

(٢) الصحوة الإسلامية ص١٣٩-١٤٠.

مائلات، كاسيات عاريات، بل عاريات غير كاسيات! في الشوارع وعلى الشواطئ، أو في الأفلام أو المسلسلات، ولا يحرك أحد ساكنا، ولا ينبس ببنت شفة؛ لأن هذا من (الحرية الشخصية) التي كفلها الدستور! فهل حفظ الدستور الحرية الشخصية في جانب العري والابتذال، وصادرها في جانب التصون والاحتشام؟!))[1] هكذا لاقى الدعاة إلى الله على أيدي أُناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا!

قضية الجزائر

وإذا انتقلنا إلى الجزائر وما يعانيه المسلمون العاملون فيها نرى العجب العجاب! الجزائر بلد إسلامي عزيز، عانى من الاستعمار الفرنسي الأمرين: فقد ألحقت فرنسا الجزائر بها؛ فأصبحت بحكم الدستور الفرنسي أرضا فرنسية مثل (باريس) و (مرسيليا). وما تركت فرنسا من وسيلة لأضعاف الإسلام في النفوس، وإشاعة اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية إلا توسلت بها ... وقد انتزعت اخصب الأراضي من أصحابها ومنحتها للمستوطنين الفرنسيين. أما الجوامع، فقد انتزعت المئات منها، ولم تبق في العاصمة إلا جامعين اثنين، وحولت الجامع الكبير إلى (كاتدرائية)، نصبت فوقها الصليب! وأما المدارس، فقد كان في الجزائر قبل احتلال الفرنسيين (ثلاث وعشرون ومائتا) مدرسة، أغلقت جميعها بعد احتلال الجزائر!! ولما قامت ثورة الجزائر في عام ١٩٥٤،

---

(١) الصحوة الإسلامية ص١٤٠.

وكانت ثورة إسلامية قلبا وقالبا، فجرها وقادها العلماء الجزائريون، ومن أبرزهم العالم المجاهد (محمد البشير الإبراهيمي) -رحمه الله- صرح (جورج بيدو) وزير خارجية فرنسا يومئذ يقول

((لن أدع الهلال يغلب الصليب في الجزائر)) وكانت البلاغات الفرنسية من إذاعة (باريس)، تسمي الشهداء من الجزائريين بالمسلمين، تقول البلاغات: قتل من المسلمين كذا، جرح من المسلمين كذا! وهكذا استخلص الجزائريون استقلالهم بعد أن قدموا (مليون شهيد)، وأبدوا من ضروب البسالة وروائع البطولات في جهادهم ما أدهش الدنيا!

زار الموصل أيام اشتعال الثورة الجزائرية الأستاذ (أحمد بن بودة) بصحبة عالمين جليلين من علماء العراق هما: سماحة الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ محمد محمود الصواف رحمهما الله، وذلك في صيف سنة ١٩٥٧. وتكلم الأستاذ (بن بودة) ممثل ثورة الجزائر في العراق في جمع من العلماء والشباب والدعاة إلى الله، وروى حادثة تبين سر ذلك الاستبسال الذي ادهش الدنيا فقال:

يدخل الجنود الفرنسيون أحد أحياء الجزائر، ويجمعون الرجال والنساء، ويخرجون بهم إلى معسكرين خارج البلدة، ويجعلون الرجال في معسكر محاط بالرشاشات -وربما قال بالمدافع أيضاً- ويجعلون النساء في المعسكر الأخر، بحيث يرى الرجال النساء، وترى النساء الرجال، ثم يأتي الفرنسيون بالقرآن الكريم، ويقولون للرجال: بولوا على القرآن وإلا هتكنا أعراض نسائكم أمامكم!!!

وقريب من ذلك ما فعلوه في (تونس)! وهل يفجر الغضب في نفس المسلم، ويرخص الروح إلا الخوف على الدين والعرض؟!

ولما كتب الله لتلك الثورة ولذلك الجهاد أن ينتصر، وتطلع المجاهدون إلى حكم يصبغ الحياة بصبغة الإسلام، إذا هم يفاجئون بحكم يفرض على الجزائر الماركسية الكافرة.. لكن الجزائر لم تحصد من الماركسية والدكتاتورية إلا الخراب والفقر والفساد وكبت الحريات. حتى إذا منح الشعب الجزائري شيئاً من الحرية، وسمح لما يسمى التعددية الحزبية، وكانت الانتخابات وبادر الشعب المسلم إلى إظهار وفائه لدينه وتمسكه به، ونجح الإسلاميون نجاحا مذهلا، وتوقع الناس أن الجزائر غدت على أبواب حكم إسلامي.. وإذا بالانتخابات قد أجهضت، وألغيت جبهة الإنقاذ، وزج بعشرات الألوف من الشباب المسلم والرجال المؤمنين في السجون في الصحراء!!

لو أن أحد الأحزاب العلمانية اللادينية هو الذي فاز في الانتخابات، أكان يجري الذي جرى؟!

علام تدل تلك الضجة والإجراءات، وأقدام الجيش على السيطرة على الجزائر؟

وما الذي أقلق أمريكا حتى تكوِّنَ لجنة من وزرائها ومدير الأمن القومي؛ لمتابعة الأوضاع في الجزائر؟!

وقل مثل ذلك عن بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب؟!

أمن الديمقراطية التي يتباكى عليها (اللادينيون) عبيد الغرب والشهوات،

ان يحال بين الشعب هناك، وبين أن يرجع إلى دينه الذي حفظ له كيانه أن يذوب في الشعب الفرنسي، ولغته العربية أن تنسى؟!

ماذا يكون شعور عامة الشعب المسلم، وهم يرون دعاة الشيوعية والعلمانية والإباحية يسرحون ويمرحون، ويدعون لكفرهم وضلالهم أحراراً، يحميهم القانون، بينما يحرم على المسلم أن يدعو إلى دينه، وقد يمطر بالوصف بالرجعية والجمود والتخلف والأصولية، على حين يوصف الكفرة والفجرة بالتقدمية والتحضر والتحرر؟

احرام على بلابله الدو..... ح حلال للطير من كل جنس؟!

الغرب والحركات الإسلامية

لقد وقف الغرب معاديا لكل حركة من الحركات الإسلامية العاملة؛ منطلقا من صليبية لم يستطع أن يتخلص منها بعد قرون وقرون.. نرى أثرها في موقف الغرب من إسرائيل المعتدية، ومن شعب فلسطين المعتدى عليه!

((نرى أثرها في موقف الغرب من (ليتوانيا) النصرانية، ومن (أذربيجان) المسلمة في الاتحاد السوفيتي)).

((نراها في قضية (الحجاب في فرنسا)، وكيف ضاقت بلاد تزعم أم الحرية ببعض طالبات مسلمات، يفرض عليهن دينهن أن يلتزمن الحشمة في لباسهن... ولكن ارض الحرية وحقوق الإنسان، لم تعطهن الحق في أمر شخصي محض!))

نرى الروح الصليبية –للأسف الشديد– في مظاهر ومواقف لا تحصى حتى ان تركيا التي لهثت وراء الغرب ثلثي قرن من الزمان، وفرضت علمانية الغرب –

بالسيف والدم – على شعبها المسلم، وطاردت شريعة الإسلام في كـل موقـع، لم يشفع لها ذلك لتنضم إلى السوق الأوربية المشتركة، وقال المستشار الألمـاني حـين سئل عن قبول تركيا، قال:

((أن تركيا لها حضارة غير حضارة أوربـا حضـارتها إسـلامية، وحضـارتنا يهودية مسيحية))[1]!!!

كـما نـرى صـليبية الغـرب في موقفـه مـن مأسـاة المسـلمين في (البوسـنة والهرسك) و(كوسوفا)، ومن موقفه مـن قضـايا جنـوب السـودان، وأريتيريـا، وكشمير، والفليبين، وغيرها من القضايا السياسية الإسلامية.. وهذا يذكرنا بـما قاله أحد كبار الإنكليز قبل أكثر من خمسين سنة، أيام كانـت الشـمس لا تغيـب عن مستعمراتهم، قال: إنه لأَهون على إنكلترا أن ترجع إلى ما كانـت عليـه قبـل ثلاثة آلاف سنة، وتعيش على صيد السـمك، وتـتخلى عـن مسـتعمراتها مـن أن تقوم للمسلمين إمبراطورية!!

وماذا في تونس؟

محاربة الإسلام في تونس قائمة على قدم وسـاق، ونرى دعوة من رئيسها إلى إقامة جبهة! ولكن أية جبهة؟

لا تعجل –أخي المسلم– فتحسبها جبهة تسـعى لحمايـة البقيـة الباقيـة مـن مسلمي (البوسنة والهرسك) الذين تذبح رجالهم وأطفالهم، ويعتدى على عفاف

---

(١) لزيادة الإطلاع انظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة للدكتور يوسف القرضاوي ص١٧٦-١٧٧. الطبعة الثانية عشرة ١٤١١-١٩٩١ / مؤسسة الرسالة.

عشرات الآلاف من نسائهم!

ليست جبهة لحماية الأقليات المضطهدة في الهند وسواها! ليست الجبهة ضد شئ من ذلك، وإنما كانت ضد ما سماه (التطرف الإسلامي)أو الأصولية الإسلامية!!!

ولكن الذين يريدون محاربة الإسلام ماذا يريدون من ديننا؟

إنهم يريدون إسلاما يلبس ثياب الخدمة، ويتمنطق بنطاق الخدم، يؤيد كل قول يقولون، ويدعم كل فعل يفعلون!

إنهم يريدون إسلاما يماشي أهواءهم، ولا ينكر رذائلهم!!

إنهم يريدون إسلاما ليس فيه أمر بمعروف ولا نهي عن منكر..

إسلاما يرضى ويقر عبوديتهم الفكرية والروحية لأوربا!

يريدون إسلاما مكبلا مقيداً، يتلقى الضربات ولا يرد أو يدفع!

يريدون إسلاما كإسلام الدراويش ومحترفي التجارة بالدين!

يريدون إسلاما كإسلام الموالد والمناسبات، الذي يسير في ركاب الطغاة، ويدعو لهم بطول البقاء!

هذا الإسلام هو المسموح به، المشمول بالرعاية والتأييد من قبل الحكام السائرين في ركاب الغرب. حتى العلمانيون اللادينيون منهم يحتفون بهذا النوع من التدين ويباركونه، ويظهرون التكريم لرجاله والتعظيم لدعاته؛ ليقوموا بدور التخدير للشعوب المقهورة[1].

---

(١) الصحوة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي ص١٢١-١٢٢ بتصرف قليل.

إن دول الغرب وإسرائيل لا تخشى من شيء خشيتها من أن يفهم أبناء المسلمين الإسلام الحقيقي: إسلام القرآن والسنة، وأن يحكم أبناء المسلمين الإسلام في كل صغيرة وكبيرة من حياتهم. فهذه جريدة (الثورة) البغدادية نشرت كلاما للجنرال اليهودي (شلومو غازيت) وهو رئيس الاستخبارات العسكرية سابقاً، ومحلل سياسي وعسكري حالياً، قال:

((إن إسرائيل مؤهلة لأن تكون حارسا للاستقرار في المنطقة، والحيلولة دون توسع الأصولية الدينية)).

وتباهى بأن إسرائيل ستكفي الغرب الأصولية الدينية!

وهذا الكلام الذي قاله المحلل السياسي الإسرائيلي ورئيس الاستخبارات العسكرية سابقاً يذكرنا بحقيقة ما تقوم به إسرائيل؛ فأنها تعمل جاهدة على أن لا تكون معركتها القريبة والبعيدة مع الإسلام. إنها تريد تجريدنا من ديننا؛ لأنها تعلم علم اليقين أنها لا قِبَلَ لها بجنود يبيعون لله أنفسهم، ويرخصون في مرضاته أرواحهم. تقول جريدة (يديعوت احرنوت) اليهودية، على ما ورد في مجلة (الأمة) القطرية:

((ولكن نخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة؛ لتحريك المشاعر الإسلامية ضدنا وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب، فان على إسرائيل أن تواجه حينذاك عدوا حقيقياً لا وهميا: هو عدو حرصنا أن يبقى بعيدا

عن المعركة، وستجد إسرائيل نفسها في موضع حرج، إذا نجح المتعصبون المسلمون في تحويل معركتنا إلى معركة ضد المجاهدين)).

وتقول الجريدة اليهودية إياها –أيضاً–

((إننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب. ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة ولهذا فيجب علينا أن لا نغفل لحظة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب، ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية)).

أمريكا والحركات الإسلامية

لقد وضعت أمريكا مخططاً دقيقاً لمقاومة الحركات الإسلامية العاملة أو الفكر الأصولي –كما يسمونه– ومما اقترحه السفير الأمريكي السابق (هيرمان إيليتس) على حكومته أن تتخذ الخطوات الآتية لمقاومة الأصوليين المسلمين:

١- إجراء حوار مع الأصوليين ومع قادتهم بالذات، ويجب أن يقوم بهذا الاتصال من الجانب الأمريكي رجال بعثاتها الدبلوماسية أو رجال الكونكرس. فقد كشف السفير الأمريكي ايليتس عن زيارة ٥٥٢ شخصية أمريكية لمصر.

٢- غسيل مخ الشباب الأصوليين بتقديم منح لهم، والاستماع إليهم، وإعطائهم فرصة التعرف على الولايات المتحدة.

٣- تعليم المعنيين من الأمريكان لغة البلاد التي يوفدون إليها، وتزويدهم – كذلك – بالمعلومات اللازمة عن الثقافة الإسلامية.

٤- لاحظ المستشرقون والسياسيون الأمريكان: أن إيمان أعضاء الحركة الإسلامية بالله يدفعهم إلى بذل أرواحهم وممتلكاتهم في سبيل مبادئهم، وأنهم لا تخيفهم تهديدات أمريكا. وبعبارة السفير ايليتس: ((فهم يروننا كنمر من ورق؛ لذلك يجب الابتعاد عن التهديدات الحادة والكلمات الطنانة المثيرة، وبخاصة في أوقات الأزمات)).

٥- مساعدة السياسة الأمريكية للأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية أخفقت وأثبتت فشلها؛ إذ أدت إلى زيادة النقمة لدى الحركات الإسلامية على المستعمرين؛ لأنها تمكن لتلك الحكومات من السيطرة على رقاب الناس: كما حدث في عهد الانفتاح الساداتي في مصر؛ لذلك ترى السياسة الأمريكية توجيه المساعدات الاقتصادية لتحسين أحوال الفقراء: وذلك ببناء مساكن لهم، وتحسين الحالة المعيشية لهم. وكأن هؤلاء الأمريكان ظنوا أنهم قادرون على شراء الحركة الإسلامية بمساعداتهم الاقتصادية.

٦- يقترح أحد الخبراء الأمريكان: أن يعيد الأمريكان دراساتهم نحو (خلق الشقاق في صفوف الحركات الإسلامية. والأهم من ذلك إعادة النظر في اعتبار كل الإسلاميين إرهابيين متطرفين).

٧- لاحظ الخبراء الأمريكان اهتمام الحركة الإسلامية بقضايا الأمة الإسلامية الكبرى، وفي مقدمتها قضية فلسطين؛ ففكروا في وسائل لتحسين صورة أمريكا، فكان من هذه الاقتراحات: دعوة أمريكا إلى شجب أفعال

إسرائيل[1] العدوانية – فقط – مع الالتزام الكامل بوجود إسرائيل وأمنها.

هذا هو جانب من جوانب المخطط الذي اقترحه السفير الأمريكي السابق إلى حكومته لمقاومة الحركات الإسلامية العامة، أو للقضاء على من يسمونهم بالأصوليين.

وليست أمريكا هي الدولة الوحيدة التي تقوم بهذه المهمة، بل هناك مخططات فرنسية وإنكليزية وغير ذلك ..!!

فهل يعي المسلمون خطورة ما يحاك لهم ولدينهم من قبل هؤلاء وأولئك؟!

وبعد:

فأن اتهام الغربيين ومن سار في فلكهم للمسلمين العاملين بالتطرف أو الإرهاب أو التزمت، إنما كان منصبا على الحركات الإسلامية السياسية؛ لأن الخطر على دولهم وأنظمتهم يكمن فيها، أما الحركات غير السياسية، فليس فيها خطر على دولهم؛ لذلك لا ينعتونها بالتطرف، بل يسهلون لها سبل السيطرة على عقول الناس لتضليلهم والانحراف بهم عن الطريق الصحيح! فلا نعجب إذن إذا رأينا السياسة الأمريكية قد قامت بدراسة لإحدى وتسعين جماعة إسلامية، ووضعت لكل جماعة منها ملفاً خاصاً بها!

إننا أمام عدو يملك ما يملك من التكنولوجيا ويستخدمها في دراسة كل صغيرة وكبيرة مما نقول ونفعل...

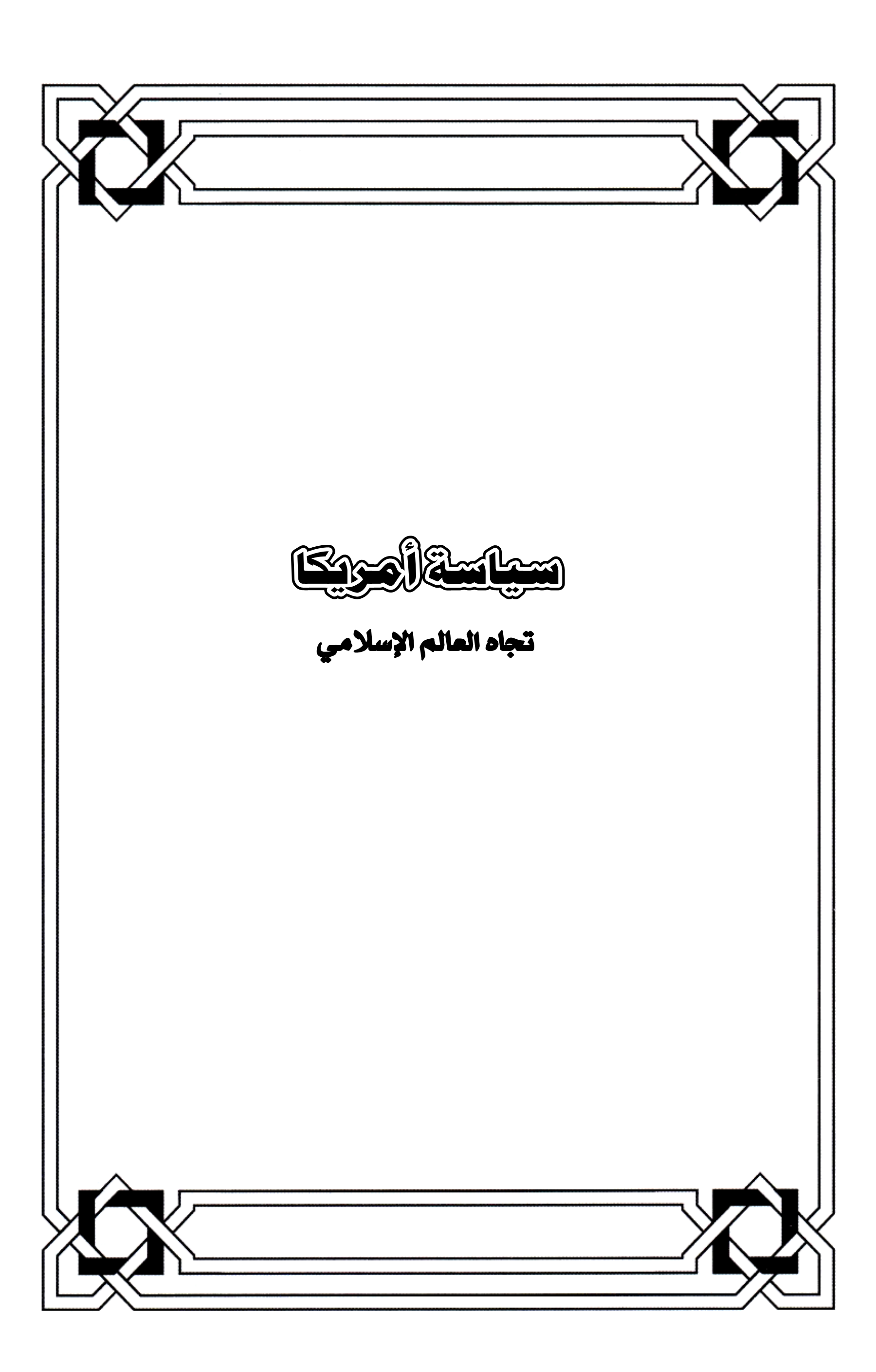
---

(١) الغرب في مواجهة الإسلام: تأليف مازن المطبقاني ص٤٠-٤٤ الطبعة الأولى ١٤١٠-١٩٨٩.

وإذا كان كثير من الحكام -وبخاصة أولئك الذين يسيرون في ركاب أمريكا ودول الغرب– يرمون الدعاة إلى الله بالتطرف؛ فلأنهم لم يقروا أولئك الحكام الظلمة على تسلطهم وافتئاتهم وتحكمهم في رقاب الناس. ولو فعلوا ذلك، واقروا تعاملهم واستعانتهم بالكفار من أمريكيين وفرنسيين وإنكليز وروس لأصبحوا في نظرهم معتدلين ومنفتحين وعقلاء. هكذا يريدون من أبناء الأمة، وهذا ما يريحهم!

إن الشعوب المسلمة، بعد أن ذاقت من الأنظمة والأفكار غير الإسلامية ما ذاقت، كفرت بها وبمن يقف وراءها! وهاهي ذي اليوم في صحوتها المباركة، لا ترتضي غير الله ربا، وغير محمدﷺ قائداً وموجها، وغير دينه ونظامه بديلا.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل هو نعم المولى ونعم النصير.



سياسة أمريكا

تجاه العالم الإسلامي

المقدمـة

الحمد لله حمداً يبلِّغني رضاه، والصلاة والسلام عـلى عبـده ورسـوله محمـد أفضل من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، ومـن أتبـع هداه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فقد كَثُرت كتاباتُ المستشرقين -وبخاصةٍ الأمريكان منهم- بأمر الحركات الإسلامية، التي تريدُ العودةَ بالأمة إلى الإسلام! عقيدةً وشريعةً ومنهـاجُ حيـاة. وقد وصـفوا عنـاصر هـذه الحركـاتِ بأوصـافٍ عديـدة، منهـا: (الأصـوليون) و(المتشـددون) و(المتعصـبون) و(الإرهـابيون). هـؤلاء يَـدْعُون إلى (البعـث الإسلامي) و(الإحياء الإسلامي) و(الصحوة الإسلامية) و(إحيـاء الـدين) ... إلى آخر هذه المصطلحات.

ويَرجعُ اهتمامُ أمريكا بالعالم الإسلامي بصورةٍ عامة، والحركات الإسـلامية بصورةٍ خاصة إلى ذلك التخطيط الذي أعدته المخابرات الأمريكية –ولا زالـت تُعِدُّهُ أيضاً- لتحولَ بين المسلمين وبين يقظـتهم في العـالم الإسـلامي، أو لتـؤخرَ هذه اليقظةَ على أقل تقدير!!

مصادر المعرفة

المصادرُ التي نعرفُ منها سياسة أمريكا تجاه العالَمِ الإسلامي كثيرة وسأقتصرُ هنا على ذكر ثلاثة منها:

أولا: الصحافةُ الأمريكية:

وما أكثرَ تلك الصحف التي كَتَبَتْ -ولا تزال تكتب كذلك- عن الحركات الإسلامية، محذرة من خطرها، وخطرِ تنامي الصحوةِ الإسلامية، فهي تنشرُ المقالات والدراساتِ والحلقاتِ عما يتعلق بيقظة العالم الإسلامي، ودعوتهِ إلى تحكيمِ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه صلوات الله وسلامه عليه في كل أمر من أمور الحياة.

ومنها: ما نشرته جريدةُ (شيكاغو تربيون) تحت عنوان: (الإسلام رياح التغيير)، وما نشرته صحيفة (كريستيان سينس مونيتور) في الشهر العاشر من سنة ١٩٧٨ بعنوان (السياسة باسم الله)، وما نشرته صحيفة (وول ستريت جورنال) في سلسلة حلقات بعنوان (الإسلام يتحرك).

ثانياً: الدراسات الأكاديمية:

ومن أبرز هذه الدراسات: الدراسة التي قام بها (آر هرير دكمجيان) بعنوان (الأصولية في العالم العربي)، وهو مترجم إلى العربية، وقد طبع سنة ١٩٨٥. ومؤلف هذا الكتاب هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة (نيويورك)، ومحاضر في شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية. وقد أعدَّت الدراسةُ تقريراً للحكومة الأمريكية، وساعدته في إعدادها والإشرافِ عليها (مؤسسة

المعلوماتِ الدفاعيةِ) في وزارة الدفاع الأمريكية، وكذلك الدراسةُ التي قام بها (برنارد لويس) في كتابه (اللغةُ السياسيةُ في الإسلام)، فوق مقالاتهِ الكثيرة في هذا الشأن، وغيرُ ذلك.

ثالثاً: التقارير السياسية:

والتقاريرُ السياسيةُ التي تُقدَّم لحكومةِ أمريكا في أمر الصحوة الإسلامية كثيرة. وأصحابُ هذه التقارير من ذوي الشهادات العالية، ومن ذوي الكفاءة في جَمْعِ المعلوماتِ الدقيقةِ عن الحركات الإسلامية، ومن هؤلاء بعض أعضاءِ المخابراتِ الأمريكية، ومن أبرزهم: (ريتشارد ميتشل) الذي أعدَّ دراسةً دقيقةً لمحاربة الحركات الإسلامية وتمزيقها وإضعافها، وكذلك (الدكتور ناداف سافران) الذي ترأس المؤتمر الذي عُقِدَ تحت عنوان (الإسلام والسياسةُ في العالم المعاصر)، وقد تبيَّن -فيما بعد- أن المخابراتِ المركزية الأمريكية وإسرائيل قامتا بتمويله!

توصيات لمواجهة الصحوة الإسلامية

وبعد تلك الدراسات والتقارير، خرجوا بتوصيات كثيرةٍ أعـدوها لمجابهـة الصحوة الإسلامية في العالم، منها ما يأتي:

١- إعادة النظر في مناهج التاريخ الإسـلامي والـدين عامـةً في المـدارس، والعملُ على تغيير هذه المناهج، لـربط الـدين بالأوضـاع الاجتماعيـة والخلقيـة، وليس مع السياسة، مع إبراز مفاسدِ الخلافة، وخاصـةً زَمَـنَ العثمانيـين، وتَقَـدُّمِ الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

٢- التركيز المستمرُّ لمحو فكرة إرتباط السياسة بالدين.

٣- تحريك قضايا التطرف الديني من وقت لآخر، وتسليط الأضواء عليها إعلامياً، ثم ربط هذه القضايا بالعمالة لبعض دول الرفض المتطرفة.

٤- يحرم بتاتاً قبول ذوي اللحى، وذوي التاريخ الحركي الإسلامي، سواء في المدارس أو الجامعـات أو أقـاربهم، حتـى الدرجـة الثانيـة مـن الانخـراط في السلك العسـكري، أو البـوليس، أو المراكـز السياسـية والإعلاميـة، مـع عـزل الموجودين من هؤلاء في مثل هذه الوظائف، أو نقلهم إلى أماكن أخرى في حالـة ثبوت ولائهم..."[1]

ولا نعجب مـن أمـر اهـتمام أمريكـا بـالنظر في أمـر تغيـير منـاهج التربيـة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، لأنها تعلم علم اليقين أن المسلم إذا فهم إسـلامه فهماً صحيحاً، لا يمكن أن يكون ذيلاً لأمريكا ولا لغيرها، ولا يكون ولاؤه عند

---

(١) الغرب في مواجهة الإسلام –معالم ووثائق جديدة–، تأليف مازن المطبقاني، ص٥٢.

ذاك إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، لذلك نرى دولة الإجرام الكبرى أمريكا تـدعو الباكستان إلى القيام بتبديل أو تعديل مناهج المدارس الإسلامية فيها!!! وهكـذا فعلت بعض دول الخليجُ إذ أجرتْ ستةً وثلاثين تعديلاً على المنـاهج الدراسـية، شمل إلغاءَ الآيات القرآن التي تُدينُ اليهودَ وأخلاقهم في علاقاتهم مـع العـرب والمسلمين، وحُذِفَ من مـادة الاجتماعيـات موضـوعان يتعلقـان بالصـهيونية، وكثير من الدول العربية تنهج هذا النهج الآن.

أمريكا والحركات الإسلامية

الكل يعلم أن الولايات المتحدةَ كان همُّها الأكبرُ منصباً على مراقبـةِ الاتحـادِ السوفيتي قبل أن يتمزق، لكنَّ توجَهَها –بعد ذلك- اِنصبَّ على مراقبةِ الحركاتِ الإسلاميةِ في العالم. فهذه هيئةُ الإذاعةِ البريطانية، تُذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي:

((إن الجُهـدَ الـرئيسَ للمخـابراتِ الأمريكيـةُ الـذي كـان منصـباً لمراقبـة إمبراطورية الشر - تعني الاتحاد السوفيتي- سـيتجه أساسـاً لمراقبـة الجماعـات الأصولية في العالم الإسلامي، ووَضْعِ العقباتِ والعراقيلِ أمامها)).

وأذاعت -أيضاً- تعليقاً لصحيفة (الفاينشال تايمز) قالت فيه:

((إذا كانت أمريكا تشـجعُ الاتجاهـات الديمقراطيـةَ في شرق أوربـا ودولِ العالم الثالث، فإنه يجب عليها أن لا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسـلامي: إنها بذلك تَدْفَعُ –دون أن تدري- بالأصوليين إلى تسلم زمـامِ السـلطةِ في ذلـك العالم)).

أما المستشرق الأمريكي (و. ك. سميث) الخبيرُ بشؤون الباكسـتان، فيقـول بكل صراحة:

((إذا أُعطي المسلمون الحرية في العالم الإسـلامي، وعاشـوا في ظـل أنظمـةٍ ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصرُ في هذه البلاد وبالدكتاتوريات -وحدها- يمكن الحيلولةُ بين الشعوبِ الإسلامية ودينها)).

((وينصحُ رئيسُ تحرير (مجلة تايم) في كتابه (سفر آسيا) الحكومة الأمريكية

أن تنشئَ في البلاد الإسلامية دكتاتوريات عسكريةً للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصارُ على الغرب وحضارتهِ واستعمارِه لكنهم لا ينسون أن يُعطوا هذه الشعوبَ فتراتِ راحةٍ حتى لا تنفجر)).

وقال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس (جونسون) لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧:

((إن الظروف التاريخية تؤكد: أن أمريكا إنما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي بفلسفته وعقيدته ونظامه ... وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض الآخر من تاريخ العالم الشرقي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في (الدين الإسلامي). وليس في وسع أمريكا التنكر لانتمائها للعالم الغربي، إذ إنها بذلك إنما تتنكر للغتها ودينها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها))[1].

لا أريد أن أسترسل في ذكر الوثائق التي تدعو فيها أمريكا إلى الوقوف أمام الإسلام والحركاتِ الإسلامية في العالم، بيد أني أضربُ مثلاً بالرئيسين الأمريكيين السابقين (ريتشارد نيكسون) و (جيمي كارتر). فإن (نيكسون) ألف كتاباً ضخماً عنوانه (نصر بلا حرب)، وله بحوث أخرى، وله مشاركاته المباشرة. وقد حَدَثَ أثناءَ زيارة (غورباتشوف) لواشنطن أن (نيكسون) مع تحذيره وتهويله من الاتحاد السوفيتي عامة، وشخصيةِ (غورباتشوف) خاصة، قد أطلق

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير، تأليف سعد جمعة ص ٨٢، الطبعة الثالثة ١٩٦٩، دار الكاتب العربي.

سنة ١٩٨٥ صيحة صليبية قال فيها:

((يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية)).

ويؤكد نيكسون في كتابه المذكور هذا: ((أن رسالة أمريكا في الحياة هي زعامة العالم، وأن الوسيلة الوحيدة لهذه الزعامة هي القوة، وينصُّ بكل صراحةٍ على أن العدو الأكبر في العالم الثالث هو الأصولية الإسلامية)).

أما (جيمي كارتر)، فمعروف عنه تعصبه لمذهبه الكنسي، فكان يتنقل بين (أفغانستان) و(أثيوبيا) و(إسرائيل) و(سوريا) مروراً بالسعودية وغيرها من دول الخليج، حاملاً معه مشروعاتٍ كثيرةً لوأدِ الصحوة الإسلامية في بلاد العرب والمسلمين، يقول كارتر:

((والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية، هو الإسلام المتطرف. ولا يقتصرُ التهديدُ الإسلاميُّ على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديدِ الأنظمةِ العربيةِ أيضاً، والولاياتُ المتحدةُ لن تسمحَ بنشر ثورةٍ إسلاميةٍ جديدة، في أيِّ دولةٍ عربيةٍ من الدول ذاتِ الأهميةِ الكبيرة)).

صليبية أمريكا

وإذا كان بعضٌ من شبابنا، ممن أجرى لهم الغرب عملية غسل الدماغ، يظن أن أمريكا دولةٌ ديمقراطيةٌ لا تحارب أيَّةَ ديانةٍ كانت فإن الأحداث الأخيرة التي وقعتْ في بلادنا، كشفتْ عن صليبيةٍ حاقدةٍ قد استقرت في نفوس كثيرٍ من

حُكّامِ وشعوبِ الأمريكان، ألم يصرِّح (بوش) قبيل شنه الحربَ على أفغانستان الذبيحة، بأنه يريدها حرباً صليبية على مرأى ومسمع العالم كله؟!

ألم يصرح (نورمان شوارسكوف) الذي قاد العمليات في الاعتداء على بلدنا العراق، أنه أتخذ شعاراً رمزياً صليبياً لمحاولة تطويق الجيش العراقي، هذا الشعار هو (المجدُ للعذراء). والعذراء: هي مريم البتول عليها السلام.

قال الكاتب المعروف (محمد حسنين هيكل) في كتابه (حرب الخليج) في الصفحتين ٥٤٦-٥٤٧:

((ولسوء الحظ، فإن هذا الاسمَ الرمزي، يستعيدُ للأذهانِ أصداءَ صليبيةٍ سُمِعَتْ من قبل: فحين دَخَلَ (الجنرال اللنبي) فاتحاً إلى القدس يوم ٩/ ديسمبر/ ١٩١٧ كانت قولته المشهورة: الآن انتهت الحروب الصليبية!! وحين دخل (الجنرال غورو) دمشق يوم ٢١/ يونيو/ ١٩٢٠، توجه مباشرة إلى قبر صلاح الدين، ووقف أمامه وقال قولته المشهورة: ها قد عدنا يا صلاح الدين!!))

يقول هيكل:

((والآن جاء الدور على قائد أمريكي لكي يقول بعد سبعين سنة (المجدُ للعذراء)، وهو نداء في حد ذاته طيب، ولكنه في الملابسات التي علا فيها، وفي إطار عمليات بادئةٍ من السعودية، وفي السياق الواصل من (اللنبي)، إلى (غورو) إلى (شوار سكوف) كان لابد له أن يستثيرَ التأملَ والاستغراب)) أ. هـ.

وأعلق على كلام محمد حسنين هيكل فأقول:

١- ليست دوافعُ الغربِ الصليبيةُ في حربنا بجديدةٍ ولا غريبة، والغربيون لا يستحيون من إعلانها، حتى إن إذاعة (كندا) سمَّتْ في برنامجها الإنكليزي (حرب الخليج)، سمته بـ(آخرِ حربٍ صليبية).

٢- إن استغرابَ هيكل، الكاتب المعروف، من صليبية الغربيين واستخفافهم بمشاعر المسلمين، يبعث على الاستغراب! فمتى أخفى الغربيون حقيقة مشاعرهم نحونا؟!

أليس في موقف الغرب من مأساة عراقنا الحبيب، ومن مأساة إخواننا في فلسطين، ومن مأساة إخواننا في الأفغان، ومن مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك، ومن مأساة إخواننا في الشيشان وكشمير والفليبين، ما يزيل استغراب هذا الكاتِبِ وأمثالِه، من تعصب هؤلاء وحقدِهم الأسودِ تجاهنا؟!

أمريكا حاميةُ إسرائيل

تطلعت أمريكا إلى تكوين وطن قومي لليهود، وكانت بريطانيا على اتصال دائم بها لصياغة (وعد بلفور)، وكان الرئيس الأمريكي (ولسون) يَرْغبُ أنْ يُذيَع خبرَ موافقةِ أمريكا على هذا الوعد المشؤوم بنفسه. وهكذا كان. فلا نعجب إذا علمنا أن أمريكا تبذل وسعَها من أجل أن تكون دولةُ اليهود قوية... كما لا نعجب -أيضاً- إذا علمنا أن القادة اليهود يصرحون بأن إسرائيل قاعدة مهمة تخدم المصالحَ الأمريكية في الشرق الأوسط. قال (كيسنجر) وزيرُ خارجيةِ أمريكا السابق:

((إن ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو جيد لإسرائيل

ومصالح إسرائيل، والولاياتُ المتحدةُ تتناسب مع بعضها البعض؛ لأن وجودَ إسرائيل قويةً هو لصالح المصالح الأمريكية)).

أما (كندي) رئيسُ الولايات المتحدة السابق، فقد بين في خطابه الانتخابي الذي ألقاه في مدينة (نيويورك) بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٩٦٠ بيَّنَ السياسة التي يتبناها الحزبُ الديمقراطي في الشرق الأوسط فقال:

((إن إسرائيل قد وُجِدَتْ لتبقى، وهذا التزامٌ لا يقبل النقاش والنقض، وإن الصداقةَ بين هذه البلاد وإسرائيل ستنمو وتزدهرُ على الدوام. وإذا كان الرئيس (ترومان) هو أولَ من أعترف بخلقِ إسرائيل، وَمَنَحها الدعمَ والمضمونَ الواقعيَ في المجال الدولي، فأنا أزيد على ذلك، بأني أوُمن، وألتزمُ بصورة قاطعة، باستمرار هذه السياسة، وبأن واجبَ البيت الأبيض أن يرعاها ويؤكدها في كل مجال))[1].

وقال (آبا أيبان) وزيرُ خارجية إسرائيل السابق:

((لن تتخلى الولاياتُ المتحدةُ عن إسرائيل؛ لأنها توصلت إلى استنتاج: هو تدعيم إسرائيل ليس مجرد العطف عليها، بل لأن ذلك ضروري للمصالح الأمريكية، وستعمل أمريكا على مساعدة إسرائيل بناءاً على اعتبار مصالحها))[2].

وقال مناحيم بيكن رئيسُ وزراء إسرائيل السابق:

((إن المصالح بين إسرائيل وأمريكا مشتركة، وقد قامت إسرائيلُ بتقديمِ

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير، تأليف سعد جمعة، ص٩-١٠.

(٢) الإسلام وفلسطين، ص٥٠.

أعظمِ الخدماتِ للمصالح الأمريكية))[1].

فلا نعجب إذن لَمَّا سمعنا نبأ ما قامت به أمريكا حين ضمَّت كلاً من (حماس) و(الجهاد الإسلامي) و(الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) و(حزب الله) إلى قائمةِ المنظماتِ التي يجب محاربتها من الناحية الاقتصادية كمرحلة أُولى.

ولم تضم أمريكا المنظمات الإسلامية في اللائحتين الأولى والثانية؛ لأنها في تحالفها الدولي ضدَّ ما يُسمى بالإرهاب، أرادت أن تكسب وُدَّ الدول العربية والإسلامية، ولئلا تُحْرَجَ الدولُ العربيةُ والإسلامية مع شعوبها.

والحقيقة أن هذا القرار لا يُقصد به محاربةُ الإرهاب، بل يُقصد به محاربة الإسلام؛ لذلك صار اليهودُ يُصَعِّدون عمليات الاغتيال في المنظمات الإسلامية؛ لأنها بحسب التصنيف الأمريكي: منظمات إرهابية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى الخطاب الذي ألقاه (ناحوم غولدمان) في مؤتمر المثقفين اليهود، فقد قال ما نصه:

((إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستمرار في الشرق الأوسط، فعلينا أن نفسخ الشعوب المحيطة بنا إلى أقليات متنافرة، تلعب إسرائيل خلالها دوراً طليعياً، وذلك بتشجيع قيام دويلة علوية في سورية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة صليبية في الأردن، ودويلة كردية في العراق، ودويلة قبطية في مصر، وأن تخلق جواً من الكراهية وعدم الثقة بين السعودية وجاراتها، وبين إيران والدول

---

(١)الإسلام وفلسطين، ص٥٠.

العربية))[1].

وأخيراً

فلقد حذر كثير من العقلاء المخلصين لأمتنا المسلمة قديماً وحديثاً من أمريكا وخطرها على العالم الإسلامي، فكتب سيد قطب -رحمه الله- مقالة بعنوان (عدونا الأول: الرجل الأبيض) وذلك في سنة ١٩٥١ قال فيه:

((الذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوربي هم قوم: إما مغفلون أو مخادعون، يشتغلون طابوراً خامساً للاستعمار المنتظر لبلاد الشرق الأوسط...)).

((إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول سواء كان في أوربا أو كان في أمريكا... وهذا ما يجب أن نحسُبَ حسابه، ونجعلَه حَجَرَ الزاوية في سياستنا الخارجية، وفي تربيتنا القومية كذلك))[2].

وقال:

((إن الجبهةَ الغربيةَ المؤلفةَ من أمريكا

وإنجلترا وفرنسا تستعبدنا، وتستذلنا، ولا مكان لنا فيها إلا مكانَ الذيول والعبيد))[3].

وقال:

---

(١) الغرب في مواجهة الإسلام، ص ٩٨.

(٢) مجلة الرسالة، السنة ٢٠، العدد ١٠٠٩.

(٣) معركة الإسلام والرأسمالية، ص٢٩.

((أمريكا بدولاراتها، وطياراتها، ودباباتها، وقنابلها الذرية، تحمي الاستعمار في كل مكان، وتردُّ له هيبته الضائعة، وتقتل المواطنين الأحرار الذين يدافعون عن بلادهم، وتخذل قضايا الحريةِ في هيئة الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن ...))[1].

ويقترح أن نُدَرِّسَ أبناءنا ما صنعته وتصنعه أمريكا في بلاد المسلمين –وما بعيد عنا ما صنعته في بلادنا الحبيبة العراق– لنغرِسَ ذلك في نفوسهم؛ لعلهم يُجازون الأمريكان على سوء فعلتهم في المستقبل فقال:

((إن الرجلَ الأبيض يدوسُنا بقدميه ... فلنحاول أن نَغْرِسَ بذورَ الكراهيةِ والحقدِ والانتقامِ في نفوس الملايين من أبنائنا، ولنعلِّمهم من نعومةِ أظفارهم: أن الرجل الأبيضَ هو عدوُّ البشرية، وأن عليهم أن يحطموه في أول فرصة)).

ولا تعجب -أخي القارئ- من موقف أمريكا السيئ من العالم الإسلامي، ولا تعجب –أيضاً– من مواقف فرنسا وإنكلترا وروسيا وغيرها وغيرها من أمتنا المسلمة ... اجتمعوا قديماً على محاربة الإسلام، واجتمعوا حديثاً –أيضاً– على محاربة هذا الدين بكل لونٍ من ألوان المحاربة. وقد أخبرنا الله ﷻ بهذا، فقال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ

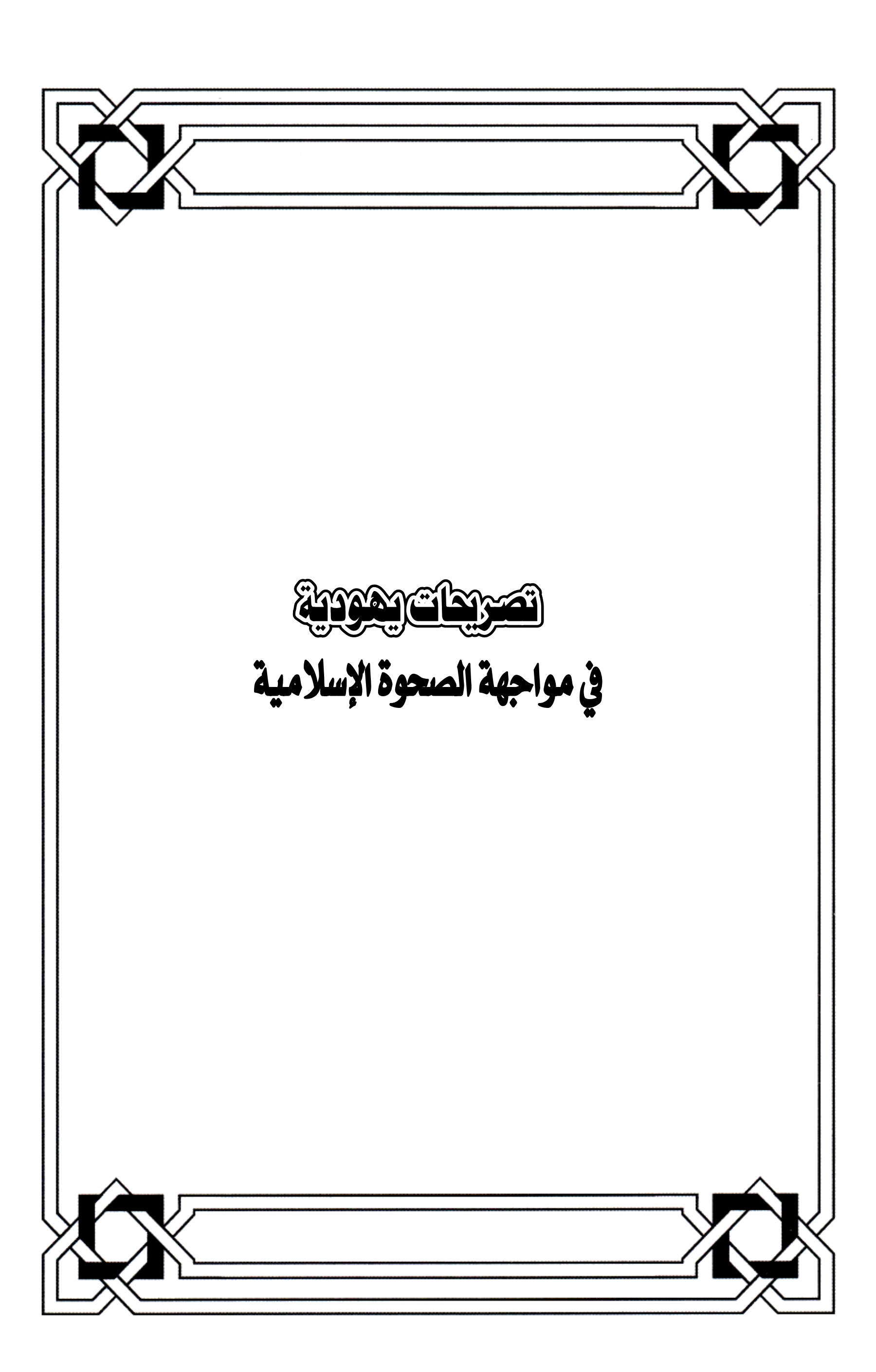
(١) دراسات قرآنية، ص١٦٩-١٧٠.

﴿ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ سورة البقرة.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾
سورة البقرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾
سورة آل عمران.

وصدق الله العظيم



تصريحات يهودية

في مواجهة الصحوة الإسلامية

مقدمـة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه! والصلاة والسلام على عبـده ورسـوله محمـد، وعلى آله الطيبين، وصحبة المخلصين الصادقين، ومن اتبع هواه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فإن من الحقائق الثابتة: أن الهـزائم التـي لحقـت أُمتنـا المسـلمة منـذ قـرون وقرون، كانت بسبب ابتعادها عن دينها، يشهد بذلك مَنْ أرَّخوا لتلك الفـترات مسلمين وغير مسلمين. وعلى مقـدار تسـيُّب الأمـةِ المسـلمةِ مـن دينهـا تكـون الهزيمـة. وهكـذا نـرى الحقيقـةَ واضـحةً كالشـمس في ضـحاها في مأسـاتنا في فلسطين. فإنَّ النكبة قبل أن تحل بهذا البلد الشهيد، أصاب المسلمين مـا أصـابهم من وهْن في عقيدتهم، وضعف في نفوسهم، وتَشَتتت الأمةٌ وتفرقت تحت راياتٍ تعددت ألوانها، وكثرت تسمياتها، فأثمرت التمزق والـوهن. وهـذا سرُّ نجـاح الأعداء في كل ما أحرزوه فينا. ففي الوقت الذي لمَّ فيه اليهـودُ شَـعَثَهم، ورَتَقُـوا فَتْقهم، ووحَّدوا أشتاتهم، وقوّموا مَيْلَهم، وحسموا داءهم –نجد الأمة المسـلمة قد اعوجَّ دربُها، وزاغَ نهجها، بعد أن وقعتْ بمكايد وحبائل الأعداء.

وحين نلقي نظرةً إلى مأساتنا في فلسطين، ونكبتنـا في أولى القبلتـين وثالـث الحرمين الشريفين، نراها تكاد تكون صورةً طبـقَ الأصـل لمأسـاتنا في الأنـدلس –فردوسنا المفقود– من تفرُّق الكلمة، وتبدد الشمل، حتى عَبَـثَ فـيهم الشـاعر فقال:

مما يُزَهِّدني في أرض أندلسٍ ألقابُ معتصـمٍ فيها ومُعْتضـدِ

ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها   كالهرِّ يحكي انتفاخاً صَوْلَةَ الأسدِ

ولكن أين صولةُ الأسد من صولة الهر؟!!

وليس هذا وحده الذي أصابنا في فلسطين، فقد زاد على ذلك كلـه، محاولـةُ فئات كثيرة إخراجَ قضيتنا من إطارها الإسلامي إلى الإطار القومي. وفي هذا من النجاح ما كان أُمنيةً من أعـزّ الأمـاني لـدى اليهـود وأشـياعهم، ظلـوا يحلمـون بتحقيقه عشرات من السنوات، وأعطيناه إلى اليهود هديـة سـائغة بـلا مقابـل. وهكذا وقع أبناء من جلدتنا فريسةً في حبائل (الصهيونية) من حيث يشعرون أو لا يشعرون!

إن من الحقائق التي ينبغي أن يعرفها كـل مسـلم في هـذا الوجـود: أنـه لـو صدرت في العالم العربي آلافُ الصحف والمجلات التي تحمـل الأسـماء الرنانـة، والعبارات الطنانة، رافعةً الشـعارات الثوريـة، ووقـف كـل الـزعماء والرؤسـاء والملوك والأمراء والحكام الثوريين وغير الثوريين يُدَبِّجُون الخطبَ الناريـة عـلى شاشات التلفاز أو الإذاعات ... فإن هذا كله لا يهدد إسرائيـل بـالزوال، بـل لا يزعجها، بل لا يعكر حتى مزاج حلفائها وأتباعها الظاهرين منهم: كالأمريكان، ومَنْ ينصرونهم من وراء ستار كالشيوعيين لكنَّ اليهـود وحلفـاءهم الظـاهرين والمتسترين يعلو صراخهم، ويشتد عويلهم، إذا علموا بأية بادرة كانت من بوادر (اليقظة الإسلامية) تسري في جسد الأمة المسلمة، ذلك أنهم يعلمـون أن الـذي يهدد إسـرائيل –بحق– : هو دخول الإسلام في خضم المعركة مع اليهود وجهـاً لوجه. فقد صار من الحقائق المسلمة: أن أقرب طريق لتحرير فلسطين لا يكـون

إلا تحت راية الإسلام، التي ما حارْبنا تحت لوائها إلا كُتِبَ لنا النصر المؤزر، وما حاربنا تحت لواء غير لوائها إلا كُتِبَ لنا الاندحارُ والهزيمة.

ويظل اليهودُ وأعوانهم في الشرق والغرب يعملون ويعملون في محاربة الإسلام والإسلام وحده، لأنه هو الذي يرعبهم بحق. وقد قال (بن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل الأسبق:

((... نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ من جديد))[1].

وقال (شمعون بيريز) رئيس وزراء إسرائيل السابق في مهرجان خطابي أثناء المعركة الانتخابية في إسرائيل سنة ١٩٧٨م:

((إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يُغمِدَ الإسلام سيفه إلى الأبد))[2].

وقال (اسحق رابين) أحد رؤساء وزراء إسرائيل:

((إن مشكلة الشعب اليهودي: هي أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع، وليس مستعداً لقبول أية حلولٍ مع إسرائيل: إنه عدونا اللدودُ الذي يهدد مستقبل إسرائيل وشعبها))[3].

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، تأليف زياد أبو غنيمة ص٤٦، دار التوزيع والنشر الإسلامية/ القاهرة.

(٢) المصدر نفسه ص٤٧.

(٣)المصدر نفسه ص٤٧.

وقال (مناحيم بيغن) في مؤتمر صحفي:

((إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة (كامب ديفيد) وملحقاتها مع مصر، إلا بعد أن يتم القضاء نهائياً على الحركة الإسلامية في مصر بشكل خاص، وعلى الحركة الإسلامية في كل المنطقة العربية بشكل عام))[1].

ونشرت جريدة (يديعوت أحرنوت) في ١٨/ ٣/ ١٩٧٨ مقالاً رئيساً قالت فيه:

((لقد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد. ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأيِّ أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا ...)).

وقالت:

((...إننا نخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا. وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا بالمقابل في إقناع (أصدقائنا) بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب، فإن على إسرائيل -حينذاك- أن تواجه عدواً حقيقياً لا (وهمياً)، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة. وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح

---

(١)عداء اليهود للحركة الإسلامية ص١٢١.

المتعصبون))[1].

وقال (اهارون ياريف) أحد مدراء المخابرات الإسرائيلية السابق:

((لا أعتقد أنَّ العربَ بأوضاعهم الحالية يستطيعون أن يزيلوا إسرائيل من الوجود حتماً، مع وجود أسلحة جديدة ومتطورة. ولكن الأمر قد يصبح أكثر خطورة بالنسبة لإسرائيل في المستقبل إذا نجح المتعصبون المسلمون في تغيير الأوضاع في الأقطار العربية لصالحهم. **ولكننا نأمل أن أصدقاءنا الكثيرين سينجحون في القضاء على خطر المتعصبين المسلمين في الوقت المناسب**))[2].

وهذا الذي كان. فإن اليهود لم يحققوا انتصاراتهم إلاَّ بعد أن زجَّ الطغاة الظالمون الدعاة إلى الله في غياهب السجون، وكان الشباب المؤمن تحت رحمة الذين ليست في قلوبهم رحمة، وحيل بين هؤلاء الشباب الذين يمتلئون غيرة وحماسة على فلسطين وبين جهاد اليهود وأعوانهم. وكيف لا يخشى اليهود من الشباب المؤمن والله ﷻ يقول:

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ سورة الحشر.

وهـذه التصـريحات التي أوردتها فـي هذا الرسالة لقادة اليهود وأحبـارهم وسدنة الفكر فيهم هي وثائق مهمة، تنص نصاً واضحاً على أن عـدوة إسرائيـل اللدود إنما هي الحركة الإسلامية، وكل ما يبـث الـوعي الإسـلامي في صـفوف

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٣٢-٣٣.

(٢) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص١٢٩-١٣٠.

الناس، لذلك وقفت محجماً عن التعليق عليها إلا ما كـان مـن كلـمات قلـيلات، ولسان حالي يردد ما قاله شاعرنا القديم:

وإذا المخاطب مثل ذهنك واعياً   أغنى اختصار القول عن تطويله

ولما كان أكثـر موضـوعات الكتـاب يتعلـق بتصرـيحات قـادة إسرائيـل في مواجهة الصحوة الإسلامية المعاصرة، فقد جعلت عنوان الكراس:(تصرـيحات يهودية في مواجهة الصحوة الإسلامية). ولا يظننَّ أحد أن هذا العنوان يتنـاقض والموضوعات الأخرى التي ضمنتها البحث كتلك المقتطفات من بروتوكـولات حكماء صهيون، ونماذج من الشعر المتعلق بمأساة فلسطين، وإسرائيـل لا تفـرِّط بدينها ... فإن صلة هذه بالعنوان ليست بالبعيدة.

ولا بد لي أن أقرر هنا: أني انتفعت في كتابة هذا البحث المتواضـع بـما دبجـه يراع الأستاذ زياد أبو غنيمة في كتابة القيم: (عداء اليهود للحركة الإسلامية) فله الفضل في ذلك.

إنها صرخة أوجهها لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، لعلها تلامس آذاناً تسمع، وقلوباً تعـي وتخشـع، وعيونـاً تبصرـ وتـدمع، لتـدرك أن الإسـلام هـو المستهدف، وأن الدوائر في العالم كله تدور عليه.

فهل نأخذ العبر ونتعظ ونتمسك بهذا الدين الذي به –وحده– لا بسواه كنا خير أمة أخرجت للناس؟؟

ذلك ما نأمل، وليس ما نأمله بعزيز على الله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تصريحات يهودية في مواجهة الصحوة الإسلامية

زعماء اليهود والإسلام

١- قال (بن غوريون) -رئيس وزراء إسرائيل الأسبق-:

((نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد)).

٢- وقال (شمعون بيريز) رئيس وزراء إسرائيل السابق في مهرجان خطابي أثناء المعركة الانتخابية في إسرائيل عام ١٩٧٨:

((إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه. ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يُغمدَ الإسلام سيفه إلى الأبد)).

وقال تعليقاً على نجاح (ريغان) في انتخابات الرئاسة الأمريكية:

((إن سياسة الولايات المتحدة في عهد (ريغان) ستتسم باتخاذ إجراءات عنيفة ضد الجماعات المتطرفة في المنطقة)).

٣- وقال (إسحق رابين) أحد رؤساء وزراء دولة الاغتصاب اليهودي:

((إن مشكلة الشعب اليهودي: هي أنَّ الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع، وليس مستعداً لقبول أية حلول مع إسرائيل إنه عدونا اللدود الذي يهدد مستقبل إسرائيل وشعبها)).

٤- وقال (موشيه دايان)

((إن على دول الغرب -وعلى رأسها الولايات المتحدة- أن تعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل، باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير

الثورة الإسلامية ...)).

وهدد (دايان) بعد ذلك مسلمي فلسطين المحتلة قائلاً:

((إن عليهم أن يدركوا أن إسرائيل لن تسمح بانجرافهم نحو الاتجاهات الإسلامية المتعصبة. وأنه في الوقت الذي تشعر فيه إسرائيل أن العرب الذين بَقَوا في فلسطين، قد بدأوا في التمسك بالاتجاهات الإسلامية المتعصبة؛ فإنها لن تتردد في القذف بهم بعيداً؛ لينضموا إلى إخوانهم اللاجئين))[1].

حقاً إن الإسلام مارد عظيم، نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد ... بدأ يكتشف حقيقة نفسه، وما يمتلكه من قوة لا يقف أمامها شيء؛ لذلك نجد اليهود قد أقضَّ مضجعهم الوعي الإسلامي الذي أخذ مكانه في صفوف الشباب خاصة. وكيف لا يقض الوعي الإسلامي مضاجعهم، وكيف تنام إسرائيل ملء جفونها مطمئنة على مستقبلها، وهي ترى الشبابَ المؤمن الذي يطلب الموت لتوهب له الحياة تعود إليه صحوته، ويستيقظ من رقاده الذي طال أمده؟؟!!

إن المسلم لا ينام على ضيم، ولا يرضى بأنصاف الحلول: فهو لا يقبل بأي حلٍّ كان إلا إذا عادت فلسطين إلى أصحابها الشرعيين أرضاً إسلامية.

ولا شك أن من يقف في وجه التيار الإسلامي، ويزج بالدعاة إلى الله في غياهب السجون، متخذاً أساليبَ الكذب في إلصاق التهم بهم، إنما يخدم بذلك اليهودَ وأشياع اليهود -ولو تستر بألفاظ (التقدمية) و (الثورية) و ...- إذ

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٥٢.

الحقيقة لم تعد تنطلي على الناس، والشمس لا تُغطى بالغربال كما يقولون.

الإسلام هو المستهدف

محاولات اليهود في هدم المسجد الأقصى- وبناء هيكلهم مكانه دائمة مستمرة، وإن غاراتهم على مسجد (إبراهيم الخليل) في مدينة الخليل قائمة على قدم وساق لا تفتر. ولكن لماذا يعمل اليهود في تدنيس مسجدنا، ويرتكبون جرائمهم فيها؟

والجواب عن ذلك جاء على لسان (بني ايلون) أحد كبار حاخامات اليهود، ورئيس منظمة مستوطني (جوش ايمونيم):

((إذا لم نفهم آسم العدو، فإننا سوف نسير إلى كارثة ... اسم العدو هو الإسلام ... لا يمكن أن نستمر في إهمال الإسلام))[1].

ولقد أنشأت حكومة اليهود معسكرات كثيرة لتدريب الأطفال من الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة على القتل والخطف ... وأن شواخص التدريب (الأهداف): عبارة عن فلسطيني يرتدي (الكوفية) مكتوب عليها بالعبرية اسم سيدنا محمد ﷺ، حيث يقوم أولاد اليهود بالتجمع يومياً من المستوطنات كافة للتدريب بالرمي على الهدف الوهمي، ويكون الإيعاز من قبل المشرف على المتدربين (أُقْتُلْ محمداً)[2]!!!

---

(١) أنظر: مجلة فلسطين المسلمة في عددها السادس من شهر حزيران سنة ١٩٩٤.

(٢) أنظر كتابنا: رسالة المسجد ص٢٦-٢٧، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٨م.

وهكذا يتضح لكل ذي عينين أن الإسلام هو المستهدف، وأننا -كذلك- مستهدفون لكوننا مسلمين! فمتى يفهم العرب هذا يا ويح العرب؟!!

اليهود والصحوة الإسلامية

كان موضوع احتمال انتشار (صحوة إسلامية) في فلسطين المحتلة هو الموضوع الرئيس الذي تناوله عدد من كبار المتخصصين اليهود في الشؤون العربية، خلال ندوة خاصة نظمها معهد (شيلواح) في جامعة (تل أبيب) في أواخر شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٩م. وفيما يلي مقتطفات من أقوال العلماء اليهود المتخصصين في الشؤون العربية الذين شاركوا في الندوة:

١- قال البروفيسور شارون مستشار مناحيم بيغن:

((ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام: من حيث قدرته على اجتذاب الجماهير. فهو يشكِّل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية)).

٢- قال البروفيسور (يوشواح بورات):

((إن المساجد هي دائماً منبع دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودي)).

٣- قال البروفيسور (الباريش):

((إن الإسلام قوة سياسية واجتماعية قادرة على توحيد الجماهير وخاصة في الضفة الغربية، حيث يقوم علماء الدين المسلمون بمهمة توحيد الصفوف ضد اليهود)).

٤- قال البروفيسور (موشيه شارون):

((إن الجهود الأولى التي بذلت منذ أكثر من نصف قرن بوساطة علماء الـدين المسلمين ... كان لها تأثير كبـير في كسـب العـالم الإسـلامي إلى جانـب العـرب الفلسطينيين بأسم الإسلام، وبأسم حماية الأماكن المقدسة)).

فلا نعجب إذا علمنا: أن اليهود لم تهتم بأمر كاهتمامها بالصحوة الإسلامية. وما لها لا تهتم بذلك، وهي ترى بعينيها الأعمال البطولية التي يقـوم بهـا شـباب مؤمن، رباهم المحراب، وصقل نفوسـهم قيـام الليـل والنـاس نيـام ... شـباب أسمى أمانيه أن يقع شهيداً في سبيل الله؛ ليحضى بجنة الله التي وُعِدَ بها المؤمنون المجاهدون!!

الحمية الإسلامية وإسرائيل

صّرح وزير الدفاع الإسرائيلي السابق (اسحق رابين) في الجـيروزلم بوسـت بتاريخ ٥/ ٩/ ١٩٨٧م فقال:

((إن ما يثير القلق بالفعل هو تعاظم قوة التيارات الدينية في يهودا والسامرة (الضفة الغربية وقطاع غزة)، وإننا نخشى أن يتحول الأمر إلى صراع ديني)).

وقال مناحيم بيكن:

((إن المشاعر الإسلامية المتنامية هي الخطـر الأكـبر الـذي يتهـدد إسرائيـل الآن)).

وقالت رويتر في ٩/ ١١/ ١٩٨٧:

((إن الحمية الإسلامية بين صفوف المقاومـة الإسـلامية أصـابت مسـؤولي الأمن اليهود بالذعر)).

وقال قائد قوات الاحتلال في الضفة (عمرام ميسناع):

((إن ظاهرة اليقظة الدينية في الضـفة والقطاع تنذر بالخطر، وتشكِّلُ تهديداً يؤرقنا)).

بالعنف نقضي على خطر المسلمين المتطرفين

نشـــرت صـحيفة (صـندي تلغـراف) البريطانيـة في عـددها الصـادر في ١٧/ ١٢/ ١٩٧٨ وعـلى الصـفحة السـابعة عشرـة مقـالاً بقلـم (يبرغـرين دورستورن) أشار فيه إلى أن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطـر المسـلمين المتطـرفين، الـذين تعـاظم نشـاطهم بشكل مذهل، رغم كل ما أوقعته بهم النظم الصديقة للغرب في المنطقة من محـن وتنكيل.

ويؤكد كاتب المقال أن الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسـط، تشـير إلى أن التيار الإسلامي المتطرف، أصبح متواجداً في جميـع بلـدان المنطقـة بـدون استثناء.

ويقول الكاتب: (إن أكبر خطأ يرتكبه الغربيون: هو عدم تفكيرهم بجديـة بضرورة التدخل العسكري المباشر في المنطقة، في حالة عجـز الأنظمـة الصـديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين ... لأن خطـر هـؤلاء المتطـرفين المسـلمين لا يقارن بأي خطر آخر مهما كان).

ويختم الكاتب مقاله بقوله:

((إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضـة الإسـلامية في الشرـق الأوسـط لـن

يفيدنا بشيء. وإذا لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكري يفوق عنفها الديني، فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين يجلبه على نفسه إذا استمر تهاوننا في مواجهة المسلمين المتطرفين)).

لقد أخطأ (يبرغرين دورستورن) حين ظن أن الغربيين لا يفكرون بجدية بالتدخل العسكري المباشر إذا عجزت الأنظمة الصديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين. وأمامنا اليوم (الجزائر) خير شاهد. لقد حلَّ بها الدمار يوم أُجهضت الانتخابات فيها، لأن فوز المسلمين في الانتخابات أصبح قاب قوسين أو أدنى. ويعلن (ميتران) رئيس فرنسا السابق على رؤوس الأشهاد قائلاً:

((إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر، فسوف أتدخل عسكرياً، كما تدخل (بوش) في بنما)).

إن العالم الغربي قد رفع شعار (الديمقراطية)، فهو يدعو لها، ويعتبرها مبدءاَ من مبادئه، ومفخرة من مفاخره. لكن (الديمقراطية) تركل بالأقدام، ولا يلتفت إليها إذا كان الأخذ بها يوصل المسلمين إلى الحكم بما أنزل الله.

فمتى يستفيق عبيد الغرب من المحسوبين على هذه الأمة من سباتهم، ويدركون أن الدائرة في العالم اليوم تدور على الإسلام والإسلام وحده؟!!

ما تخشاه إسرائيل

تعمل إسرائيل جاهدةً على أن لا تكون معركتها القريبة والبعيدة مع الإسلام. إنها تريد تجريدنا من ديننا، لأنها تعلم -علم اليقين- أنها لا قِبَلَ لها بجنود يبيعون لله أنفسهم، ويرخصون في مرضاته أرواحهم! تقول جريدة

(يديعوت احرنوت) اليهودية:

((ولكن نخشى أن تستغلَّ الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر الإسلامية ضدّنا. وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب، فإنَّ على إسرائيل أن تواجه حينذاك عدواً حقيقياً لا وهمياً: هو عدو حَرَصْنا أن يبقى بعيداً عن المعركة، وستجد إسرائيل نفسَها في موضع حرج إذا نجحَ المتعصبون المسلمون في تحويل معركتنا إلى معركة ضدّ المجاهدين)).

وتقول الجريدة اليهودية إياها -أيضاً-:

((إننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة. ولهذا فيجب علينا أن لا نَغْفُلَ لحظةً عن تنفيذ خطتنا في مَنْع يقْظة الروح الإسلامية بأي شكلٍ وبأيِّ أسلوب، ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية)).

إن أخشى ما تخشاه إسرائيل أن تبعث الروح الإسلامية من جديد، ويعلن الجهاد، ويحقَّ قول الرسولﷺ:

[لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي خَلْفي تعالَ فأقتلْه إلاَّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود] متفق عليه.

مستقبل إسرائيل في خطر

نقلت صحيفة الرأي الأردنية في عـددها الصـادر في ١٤/ ٨/ ١٩٨١م عـن مجلة (النيوزويك) الأمريكية مقابلة أجرتها مراسـلة (النيوزويـك) في نيويـورك السيدة (مارلين ديسنر) مع (أهارون ياريف) أحد مدراء المخابرات الإسرائيليـة السابقين. ومن الأسئلة التي وجهت إلى (أهارون ياريف) السؤال الآتي:

هل سيكون بمقدور الأقطار العربية على المدى البعيد أن تُزيل إسرائيل...؟

وقد أجاب (أهارون ياريف) قائلاً:

((لا أعتقد أن العرب بأوضاعهم الحالية يستطيعون أن يزيلوا إسرائيل مـن الوجود حتماً، مع وجود أسلحة جديدة ومتطورة. ولكن الأمر قـد يصـبح أكثـر خطورة بالنسبة لإسرائيل في المستقبل، إذا نجـح المتعصـبون المسـلمون في تغيـير الأوضاع في الأقطار العربيـة لصـالحهم. **ولكننـا نأمـل أن أصـدقاءنا الكثـيرين سينجحون في القضاء على خطر المتعصبين المسلمين في الوقت المناسب**)).

أخطر ما يهدد إسرائيل

قال معلق الإذاعة الإسرائيلية للشؤون السياسية في الساعة العاشرة والربـع من مساء الخامس من أيلول سنة ١٩٧٨ من راديو إسرائيل:

((إن عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجئ دليل على فشل جميع أساليب القمع التي استعملها أصدقاؤنا للقضاء على الروح الإسلامية في المنطقة، مما يحتم على جميع الذين يعتبرون الإسلام عدواً تاريخياً لهـم: أنْ يعيـدوا النظـر في الأمـر للتوصل إلى الاتفاق على أساليب جديدة وحاسمة؛ لوقـف الزحـف الإسـلامي

الجديد، الذي بدأت بوادره في مصر وسوريا ... ونخشى أن تمتد إلى تركيا: ذلك البلد الذي بذلنا نحن اليهود جهودا مضنية حتى استطعنا القضاء على الروح الإسلامية فيه على يد أعواننا وأصدقائنا هناك))

وأختتم التعليق بقوله:

((إن على اليهود وأصدقائهم أن يدركوا أنَّ الخطر الحقيقي الذي تواجهه إسرائيل: هو خطر عودة الروح الإسلامية إلى الاستيقاظ من جديد، وأن على المحبين لإسرائيل أنْ يبذلوا كل جهدهم لإبقاء الروح الإسلامية خامدة؛ لأنها إذا اشتعلت من جديد، فلن تكون إسرائيل وحدها في خطر، ولكن الحضارة الغربية كلها ستكون في خطر))[1].

اليهود وقادة الحركة الإسلامية

نشر الكاتب اليهودي (ايرل برغر) كتاباً بعنوان (العهد والسيف) سنة ١٩٦٥ قال فيه:

((إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية: هو أن العرب لابد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معنا. **ولكن هذا التعاون لن يتحقق إلا بعد القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي. وفي مقدمة هذه العناصر: رجال الدين المتعصبون من أتباع الإخوان المسلمين))**[2].

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٣٦-٣٧.

(٢) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٢٢.

إن الواقع الذي تعايشه البلاد العربية، هو صورة صادقة لكلام هذا اليهودي. ومن هنا نرى كثيراً من البلاد العربية تتهافت على أقدام اليهود طلباً لرضاهم. ورضاهم لابد له من ثمن. وثمنه كما يقول الكاتب اليهودي: ((القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي، وفي مقدمة هذه العناصر (رجال الدين) المتعصبون من أتباع الأخوان المسلمين)).

فهل يدرك مَنْ يقف في وجه (الحركة الإسلامية) في العالم متصدياً لها حقيقة ما يقدم عليه من خدمة لليهود أعداء الله: أشد الناس عداوةً للذين آمنوا؟!

محاورة مع قائد الجيش اليهودي

حَدَّث ضابط عربي كبير وقع أسيراً في أيدي اليهود عام ١٩٤٨م أن قائد الجيش اليهودي دعاه إلى مكتبه قبيل إطلاق سراحه، وتلطَّفَ معه في الحديث.

سأله الضابط المصري: هل أستطيع أن أسال: لماذا لم تهاجموا قرية (صور باهر)[1]؟

أطرق القائد الإسرائيلي إطراقة طويلة ثم قال: أجيبك بصراحة: إننا لم نهاجم (صور باهر)؛ لأن فيها قوةً كبيرةً من المتطّوعين المسلمين المتعصبين.

دُهِشَ الضابط المصري وسأله: وماذا في ذلك؟ لقد هجمتم على مواقع أخرى فيها قوات أكثر وفي ظروف أصعب؟!

---

(١) قرية قريبة من القدس.

أجابه القائد الإسرائيلي: إنَّ ما تقوله صحيح، لكننا وجدنا أنَّ هؤلاء المتطوّعين من المسلمين المتعصبين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين، يختلفون تماماً؛ فالقتال عندهم ليس وظيفةً يمارسونها وفقَ الأوامر الصادرة إليهم، بل هواية يندفعون إليها بحماس وشغف جنوني، وهم في ذلك يشبهون جنودنا الذين يقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية إسرائيل. ولكنَّ هناك فارقاً عظيماً بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين من المسلمين، إن جنودنا يقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه، أما الجنود المتطّوعون من المسلمين فهم يقاتلون ليموتوا، إنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون، ويندفعون إليه كأنهم الشياطين!!! إنَّ الهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة، يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش، ونحن لا نحب مثل هذه المغامرة المخيفة. ثم إن الهجوم عليهم قد يثير علينا المناطق الأخرى فيعملون مثل عملهم، فيفسدون علينا كل شيء، ويتحقق لهم ما يريدون.

دُهِشَ الضابط المصري لإجابة القائد الإسرائيلي، لكنه تابَعَ سؤاله ليعرف منه السبب الحقيقي الذي يخيف اليهود من هؤلاء المتطوّعين المسلمين.

قال له: قل لي برأيك الصريح، ما الذي أصاب هؤلاء حتى أحبُّوا الموت، وتحّولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول؟!

أجابه الإسرائيلي بعفوية: إنه الدين الإسلامي ... إن هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة العقد في طريق الإسلام الذي يجب أن نتعاون عليه، وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لإقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم.

وتابع قائد الجيش اليهودي مستدركاً: إنَّ خطر هؤلاء ليس مقتصراً علينا وحدنا، بل هو خطر عليكم أيضاً؛ إذ إن أوضاع بلادكم لن تستقرّ حتى يزول هؤلاء، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله، هذا المنطق الذي يخالف رقيّ القرن العشرين: قرن العلم وهيئة الأمم والرأي العام العالمي وحقوق الإنسان.

وأختتم القائد الإسرائيلي حديثه بقوله:

أتمنى أن نلتقي لقاءاً قادماً لنتعاون في جوٍّ أخوي لا يعكره علينا المتعصبون من المسلمين المهوسين بالجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله[1].

إسرائيل لا تفرِّط بدينها!

ذكرت وكالة (الأسوشيتدبرس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة (تشرشل) في لندن أن (شازار وبن غوريون) اللذين مثَّلا الحكومة الإسرائيلية في ذلك الاحتفال، سارا مسافة ميل ونصف، وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين ورفضا ركوب العربة، لأن يوم الاحتفال كان يوم السبت، والدين اليهودي يحرِّم استخدام وسائل النقل في ذلك اليوم..

وبن غوريون وغيره من القادة اليهود -جميعهم دون استثناء- لا يأكلون الطعام إلاَّ إذا أُعِدَّ على وفق العقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة في التوراة ... وقد كان (يوسف تيكواه) مندوب إسرائيل في الهيئة الدولية قد عطل اجتماع مجلس الأمن ليقوم بالطقوس الدينية ...

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله للأستاذ جلال العالم، ص٣٣-٣٦.

والجماهير اليهودية حين وصلت إلى حائط المبكى في السابع من حزيران المشؤوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر؛ فعلا (النواح) وجلجلت الأصوات الهادرة: ليسقط محمد. اليوم انتهى محمد (محمد مات مات ما خَلَّفْ إلا بنات) يا لثأرات خيبر ...

لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسي أو عارف أو الحسين أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم؛ لأن هدف المؤامرة: هو محمد والإسلام.

ومع ذلك لم نسمع صوتاً واحداً يرتفع في الساحة العربية للدفاع عن محمد، ولم نجد مفكِّراً واحداً يكتب حرفاً في تعيير اليهود بالأرضية الدينية، ولم نجد عربياً يسأل نفسه: لماذا يهتف القوم ضد محمد؟ ... ذلك لأن معظم مَنْ واجهوا إسرائيل في معركة الذل من التقدميين لا يعرفون محمداً، بل لا يعرفون الله ...!

ثم ألم تسمع بالمتدينين اليهود يُهرعون إلى ساحات المسجد الأقصى ليقرعوا البوق وقت الأذان في مسجد عمر، ويقيموا حلقات الرقص في ساحات الكنائس والمساجد احتقاراً واستهزاءاً بالديانتين السماويتين.

إسرائيل والتوراة

ادعى كثير من الناس أن إسرائيل إنما هي مجرد دولة عنصرية، وأن الصهيونية حركة قومية سياسية فحسب، وأغفلوا العامل الديني في قيام الصهيونية وفي تكوين إسرائيل، كما أغفلوا هذا العامل في توجيه شعوبهم وجيوشهم، على حين عُنِيَتْ إسرائيل كلَّ العناية؛ فربحت وخسروا، وانتصرتْ وانهزموا.

لقد كتب (بـن غوريـون) في رسـالته إلى الـرئيس (ديغـول) في مطلـع عـام ١٩٦٨ يقول:

((إن سـر بقائنا بعد التدميرين البابلي والرومـاني وحقـد المسـيحيين الـذين أحاطوا بنا ألف عام يكن في صِلاتنا الروحية بالكتاب المقدّس. وعنـدما جـاءت اللجنـة الملكيـة البريطانيـة إلى القـدس في آخـر سـنة ١٩٣٦ لتـدرسَ مسـتقبلَ الانتداب قلتُ لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة. لقـد اسـتخرجنا منـه قوّتنـا لنقاوم عالماً عادياً، ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا))[1].

أقول: إذا كان الأمر كذلك مع التوراة التي أصابها مـا أصـابها مـن تحريـفٍ وتغيير وتبديل، فماذا يقول لنفسه مَنْ وقف نفسه موقف الخصم المعانـد للقـرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟!

إنه الجهل الكبير بحقيقة ما في القرآن، أو هو الهوى واتباع شهوات الـنفس! فمتى نعود إلى رشدنا ونعتقـد اعتقـاداً جازمـاً أنّ سرَّ بقائنـا في العمـل بـالقرآن الكريم الذي أعجزَ الناس قديماً ولا يزال يعجزهم بـما يحتويـه مـن أسرار أشـار إليها قبل أربعة عشر قرناً؟!!!

مقتطفات من بروتوكولات حكماء صهيون

بروتوكولات حكماء صهيون تعتبر دستور الحركة الصهيونية العملي، وهـي تمثل المبادئ الصهيونية المبعثرة، مصاغة في تبويب موضوعي مركـز، وذلـك هـو القدر المتيقن من أمر البروتوكولات الذي لا مجال للجدل أو الشك فيه، بعـد أن

---

(١) جريدة لوموند الفرنسية الصادرة في ١٠/ ١/ ١٩٦٨.

ظهر تنفيذه في خطوات الصهيونية التي نفذتها بعد المؤتمر الصهيوني الأول وحتى الآن... وهذه مقتطفات من تلك البروتوكولات:

- جاء في البروتوكول الثامن: ((لا يتيسَّرُ إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود، فإننا سنسند المناصب المهمة إلى أُناس من ذوي السمعة السيئة، حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوَّة سحيقة، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزجّ بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أمرنا)).

- وجاء في البروتوكول التاسع: ((لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود، وأفسدنا خُلُقَه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها في ذهنه، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلاً أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذي لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعَّالة)).

- وجاء في البروتوكول السابع عشر: ((لقد عُنِيْنا عنايةً خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا كذلك في الأضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها، حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام... وسنعمل على أن يكون دورُ رجال الدين وتعاليمهم تافهاً، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاتراً إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسياً)).

- وجاء في البروتوكول الأول: ((إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربين اللاتي يعملن

في بيوت الأثرياء، والموظفين والنساء اللـواتي يعملـن في أمـاكن اللهـو، ونسـاء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف)).

أقول: إن هذه المقتطفات من (البروتوكولات) لا تحتاج إلى تعليق؛ ذلك أن الواقع الذي يعايشه العالم اليوم، وبخاصـة العالم العربي والإسلامي خـير دليـل على نجاح اليهود في مخططاتهم وبروتوكولاتهم ...!

والعجب كل العجب: أن العرب يقرؤون ذلك وكأنهم لا يقـرؤون. وهـذا يذكَّرنا بما كان من (موشيه دايان)، فقد نشر كتاباً سنة ١٩٥٧م عـن حـرب قنـاة السويس سنة ١٩٥٦م، وذكر فيه خطة مفصلةً عن هجوم إسرائـيلي مقبـل عـلى (سيناء). ووقعت الواقعة، ونفذت الخطة حرفياً في حرب الخامس مـن حزيـران سنة ١٩٦٧م. ولمَّا سأله أحد الصحفيين عن سبب نشره لتلك الخطـة العسـكرية الهجومية بكل تفصيل في كتاب يقرؤه العدو والصديق، أجاب (دايان):

((إن العرب لا يقرؤون))!

فمتى يقرأ العرب؟

ومتى ينظرون إلى واقعهم بعين مبصرة؟!

المخابرات الأمريكية والحركات الإسلامية

نقلت صحيفة الرأي الأردنية في عددها الصادر في ٢١/ ١/ ١٩٧٩ عن وكالة الأنباء الفرنسية أن صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية ذكرت أن الرئيس الأمريكي السابق (جيمي كارتر) طلب من وكالة المخابرات الأمريكية أن تعد دراسة عن نشاطات الحركات الإسلامية في العالم كله.

ونسبت صحيفة (الواشنطن بوست) إلى (زبيغينو بريجينسكي) مستشار البيت الأبيض آنذاك لشؤون الأمن القومي قوله:

إن الإدارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ إزاء تزايد نشاط الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى إعداد دراسة جديدة حول الحركات الإسلامية المتشددة؛ ليسهل على الإدارة الأمريكية وأصدقائها في المنطقة الإسلامية مراقبتها عن كثب؛ حتى لا تفاجأ باندلاع ثورة إسلامية جديدة في أي مكان في العالم الإسلامي؛ لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام المتشدد بأن يلعب دوراً مؤثراً في السياسة الدولية.

وذكرت صحيفة (القبس) الكويتية في عددها الصادر في ٢٤/ ١/ ١٩٧٩م:

أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من هيئة المخابرات البريطانية، تزويد الإدارة الأمريكية بكل ما يتوافر لديها من معلومات تتعلق بالحركة الإسلامية؛ للاستعانة بها في وضع الخطط الكفيلة بالقضاء على خطرهم قبل فوات الأوان.

مؤتمر خاص في حيفا

أذاع راديو العدو الصهيوني في نشرته الإخبارية في الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الاثنين ١٤/ ١٢/ ١٩٨١م خبر افتتاح الجلسة الأولى للمؤتمر الخاص الذي نظمته جامعة (حيفا) لدراسة تأثير الإسلام بشكل عام، وتأثير الأخوان المسلمين بشكل خاص، خلال نصف القرن المنصرم على مجريات الأمور في مصر والسودان، ولدراسة مدى التأثير الذي يمكن أن يلعبه الإسلام بشكل عام والإخوان المسلمون بشكل خاص في المنطقة، وخاصة ما يتعلق بمستقبل (إسرائيل) بشكل خاص، ومستقبل المصالح الغربية في المنطقة بشكل عام.

وذكرت إذاعة العدو: أن بضعة مئات من المتخصصين في تتبع الشؤون والحركات الإسلامية من أكثر من ٣٥ دولة سيشاركون في المؤتمر. ومن بين المشاركين: مندوب عن النظام المصري هو الدكتور أحمد جمعة الملحق الثقافي في سفارة النظام المصري في إسرائيل، بالإضافة إلى عشرات المتخصصين الأمريكيين والإنجليز والهولنديين والكنديين والفرنسيين واليابانيين.

ويجدر بالذكر أن هذا المؤتمر الذي كُرِّس لدراسة تأثير الحركة الإسلامية الجادة في المنطقة ليس المؤتمر الأول أو الوحيد، فقد سبقته عدة مؤتمرات ..

كما ويجدر بالذكر الإشارة إلى أن معظم المشاركين في هذا المؤتمر وما سبقه من مؤتمرات يتسترون وراء ألقابهم العلمية؛ ليخفوا ارتباطاتهم المشبوهة بأجهزة المخابرات في بلدانهم، حيث يعملون كخبراء في تتبع ورصد نشاطات الحركة

الإسلامية الجادة[1].

مناحيم بيغن يحذر صديقه السادات

نقلت صحيفة (القبس) الكويتية في عددها رقم ٣٣٨٢ الصادر في ١٢/ ١٠/ ١٩٨١م نقلت مقابلة إذاعية أجراها راديو إسرائيل مع (مناحيم بيغن) قبل أسبوعين من مقتل السادات وفيما يلي ما ورد على لسان (مناحيم بيغن) في تلك المقابلة:

سؤال المذيع: ألا تقلقك المصاعب التي نواجه الرئيس السادات من قِبَلِ المعارضة بسبب معاهدات (كامب ديفيد)؟

جواب بيغن: إنني أدرك تماماً الأخطار التي تهدد صديقنا الرئيس أنور السادات ولستُ أنكر أنني حذرته مراراً من أولئك المتعصبين المتطرفين الذين يحملون أفكاراً عدائية لإسرائيل، ويريدون العودة إلى تطبيق قوانين وعادات العصور الوسطى بل العصور الحجرية.

وعندما كنتُ في أمريكا قام الرئيس السادات بحملة اعتقالات ضد أعدائه من (الأخوان المسلمين). وقد سمعت اعتراضات كثيرة هناك ضد هذه الحملة باعتبارها تتعارض مع التقاليد الديمقراطية، ولكنني دافعتُ عن إجراءات السادات بحرارة، **وأقنعتُ المعترضين بأنه عليهم أن يتناسوا التقاليد الديمقراطية حين يتعلق الأمر بالمسلمين**. وقلتُ للمعترضين: إنه لو لم يقم السادات بضرب المعارضين المسلمين في الوقت المناسب، فقد كان من غير المستبعد أن يضربوه هم

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٦٥-٦٧.

في أية لحظة.

سؤال المذيع: هل التعاون الإستراتيجي مع الولايات المتحدة موجه ضد السوفيت بشكل خاص؟

جواب بيغن: لا نعتقد أننا أعداء بنفس الدرجة للسوفيت، فنحن لا ننسى مواقف سابقة طيبة لهم معنا. وكما أننا لا نستطيع أن نتجاهل بعض التصرفات الطيبة التي بدرت مؤخراً من السوفيت. فمثلاً: لقد سَرَّنا أن يطلب وزير خارجية روسيا (غروميكو) بنفسه الاجتماع مع وزير خارجيتنا (اسحق شامير) في نيويورك بعد قطيعة امتدت فترة من الزمن، كما أننا سررنا بما نقله لنا وزير خارجيتنا من أن (غروميكو) لم يعترض – ولا بكلمة واحدة – لموضوع معاهدة التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل. ونعتبر سكوته بمثابة قبول حقيقي واعترافاً بحقنا في عقد المعاهدة.

صحيفة اليهود في بريطانيا تحذر من عودة الروح الإسلامية

في (لندن) مجلة اسمها (جويش كرونيكل) وهي أوسع الصحف اليهودية انتشاراً في أوربا. وقد وجهت في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني ١٩٧٩م نداءاً إلى الحلفاء الغربيين وإلى الاتحاد السوفيتي في وقت واحد، وحذرتهم فيه من الأخطار الكامنة وراء عودة الروح الإسلامية إلى الظهور من جديد في منطقة الشرق الأوسط.

فقالت المجلة في مقالها الافتتاحي تحت عنوان (الجهاد في سبيل الله):

((إن على خبراء الاستراتيجية السياسية في بلدان الحضارة الغربية، وفي

بلـدان المعسـكر الشـيوعي أن ينتبهـوا جيـداً للأخطـار التـي تمثلهـا الحركـات الإسلامية المتعصبة: كجماعة الأخوان المسلمين المنتشرة في كل البلـدان العربيـة، ومعظم البلدان الإسلامية، التي تهدف إلى إحياء نظرية الجهـاد في سـبيل الله مـن جديد، والتي تكافح بشدة لإقناع العرب والمسلمين بالعودة إلى تعاليم الإسـلام من جديد)).

واختتمت الصحيفة اليهودية مقالها بالقول:

((إنه لا العالم الغربي، ولا الاتحاد السوفيتي يستطيعان أن يرقبا بهـدوء هـذه اليقظة الإسلامية التي لو أحسن توجيهها من قبل الجماعات المتعصبة لنـتج عـن ذلك ليس هلاك إسرائيل فقط، وإنما زعزعة استقرار جزء كبير من العـالم، ولـن تسلم من ذلك: لا الحضارة الغربية، ولا الحضارة الشيوعية))[1].

الحركة الإسلامية والتطبيع

نقلت وكالات الأنباء العالميـة تصـريحاً (لمنـاحيم بـيغن) أدلى بـه في مـؤتمر صحفي عقده قبيل اختتام زيارته التي قام بها للولايات المتحـدة في أواخـر أيـام شـهر آب سـنة ١٩٨١م التـي أسـفرت عـن التوصـل إلى اتفـاق بـين اليهـود والأمريكان لعقـد معاهـدة تعـاون اسـتراتيجي بيـنهما. وممـا ورد في تصـريح (بيغن) -وتجاهلته وسائل الإعلام العربية- قوله:-

((إنني لن أطمئن على مسـتقبل معاهدة (كامب ديفيد) وملحقاتها مع مصر إلا أن يتم القضاء نهائياً على الحركة الإسلامية في مصـر بشـكل خـاص، وعـلى

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، ص٥.

الحركة الإسلامية في كل المنطقة العربية بشكل عام)).

وأردف بيغن يقول:

((لقد حملتُ معي أثناء زيارتي إلى مصر في الأسبوع الأول من شـهر أيلـول الماضي حقيبة مليئة بالمنشورات والمطبوعات التي في مصر ضد اليهود بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص، وقلتُ لصديقي الرئيس السادات:

كيف تريدني أن أصدق أنك راغب فعلاً في تطبيع العلاقات مـع إسرائيـل، بينما تسمح للمسلمين المتعصبين بنشر الدعايات المعادية لليهود وإسرائيل؟؟)).

واستطرد بيغن قائلاً:

((إن صديقي الرئيس السادات أبدى اهتماماً شديداً بما قدمته له مـن وثـائق تدين المتطرفين المسلمين بالعمل ضد اتفاقيات (كامب ديفيد)، وتدينهم بعرقلـة عمليات تطبيع العلاقات مع إسرائيل. وأكدت له بدوري أن إسرائيل لا تريد أن تكتفي بسماع تصريحات مطمئنة، ولكنها تريد إجراءات حازمة وعنيفـة لتأديـب قادة الحركة الإسلامية، وإيقافهم عنـد حـدهم. وبخـلاف ذلـك فـإن إسرائيـل ستظل تنظر بريبة إلى مستقبل اتفاقيات السلام مع مصر)).

وأختتم بيغن تصريحه قائلاً:

((ولقد كان صديقي الرئيس السادات عند حسن ظننا به، إذ لم أكـد أغـادر مصر عائداً إلى إسرائيل حتى بدأ حملة عنيفـة للقضـاء عـلى الحركـة الإسـلامية. وإنني أتمنـى لـه النجـاح مـن كـل قلبـي في القضـاء عـلى هـؤلاء المسـلمين

المتعصبين))[1].

صحفية يهودية تحذر من الحركة الإسلامية

في مطلع عام ١٩٤٨ نشرت صحيفة (صنداي ميرور) البريطانية مقالاً لصحفية يهودية أسمها (رون كاريف)، وجاء في نهاية المقال:

((إذا كان اليهود في فلسطين يطالبون الآن مجلس الأمن بإرسال قوة دولية لتنفيذ مشروع التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة، فإنهم يطالبون بذلك، لأن الدولة اليهودية (إسرائيل) في حاجة للدفاع عن نفسها، ولكنهم يريدون إرسال هذه القوة الدولية إلى فلسطين، لتواجه رجال الحركة الإسلامية وجهاً لوجه، ليدرك العالم كله الخطر الكبير الذي تمثله الحركة الإسلامية. وإذا لم يدرك العالم خطر هذه الحركة في وقت قريب، فإن أوربا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي حين هاجمتها الحركة النازية الفاشية، إذ ما الذي سيحمي أوربا إذا لم تنتبه الآن إلى خطر الحركة الإسلامية؟ ومن الذي سيحميها من هجمة إسلامية فاشية تمتد من شمال إفريقيا إلى الباكستان، ومن تركيا إلى المحيط الهندي؟)) [2].

أمريكا والتدخل العسكري

نشرت صحيفة (القبس) الكويتية في عددها الصادر في ١٢/ ١٠/ ١٩٨١

---

(١) عداء اليهود ص ١٢٠-١٢٢.

(٢) عداء اليهود للحركة الإسلامية تأليف زياد أبو غنيمة ص ١٦/ دار التوزيع والنشر الإسلامية/ القاهرة/ ١٩٩٠.

خبراً قالت فيه:

إن (دين فيشـــر) المستشـــار الأول للـرئيس الأمريكـي (ريغـان) أَكَّـدَ أن الولايات المتحدة مستعدة للتدخل عسكرياً لحماية نظام (حسني مبارك) ضد أي خطر داخلي من قبل المتطرفين المسلمين.

ونقلت (القبس) عن مراسلها: أن (ريتشارد الن) مستشـار الأمـن القـومي للرئيس (ريغان) أكد على عزم الولايات المتحدة على دعم نظام (حسني مبـارك) لضمان استمراره في سياسة السلام مع إسرائيل.

ونشرت (القبس) في العدد نفسه نبأ لمراسلها في (واشنطن) يقول فيه:

إن الحكومة الأمريكية حريصة جداً على أن لا تفلت (مصر) من قبضتها إلى قبضة المتطرفين المسلمين عن طريق قلاقل داخلية، وإنها عازمة عـلى منـع ذلـك ولو أدى ذلك إلى التدخل العسكري المباشر في مصر، لأن مصر أصبحت حجـر الزاوية للنفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط.

الإسلاميون ومستقبل إسرائيل

نقلـــت صـــحيفة (القـــبس) الكويتيـــة في عـــددها ٣٣٨٦ الصـــادر في ١٦/ ١٠/ ١٩٨١ مقالاً نشرته مجلة (يو.أس.نيوز) الأمريكية للـدكتور (ميشـيل هورسون) الخبير في الشؤون العربية وشؤون الشرـق الأوسـط يعلـق فيـه عـلى الأوضاع الداخلية في مصر بعد وفاة السادات، ومما جاء في المقال قوله:

((أعتقد أن الفئات الإسلامية (المتطرفة) ستشـكل خطـراً حقيقيـاً بالنسـبة للرئيس الجديد (حسني مبارك)، لأن القضية بالنسـبة لهـؤلاء المتطـرفين ليسـت

فقط في المطالبة بالحكم بالإسلام في مصر لتخليصها من الأزمات المتتابعة التي تعايشها، **بل إنهم يعتبرون قضية القدس وفلسطين جزءاً مهماً من قضيتهم.** ولذلك فإني أعتقد أنهم سيمارسون ضغوطاً شديدة على الرئيس (حسني مبارك)، لإعادة النظر في موقفه من قضية فلسطين، **وهذا الأمر يزعج إسرائيل**)).

خبير المخابرات الأمريكية .. والحركة الإسلامية

نشرت مجلة (الدعوة) المصرية في عددها ٣٢ نص مذكرة سرية للغاية قدّمها خبير المخابرات الأمريكية بشؤون الحركة الإسلامية الدكتور (ريتشارد ميتشل) رداً على استفسار من الحكومة الأمريكية حول احتمالات المعارضة التي قد يواجهها الرئيس السادات إذا أقدم على عقد معاهدة سلام مع إسرائيل، وجاء في المذكرة ما يأتي:

- إن القوة الحقيقية التي تقف في وجه اتفاقية السلام مع إسرائيل: هي الجماعات الإسلامية بصورها المتعددة في (مصر) والدول العربية، وإمتداداتها في أوربا وأمريكا الشمالية.

- ونظراً لما لمسناه من أن وسائل القمع والإرهاب التي اتبعت في السابق ضد (الإخوان المسلمين) لم تؤد إلى القضاء عليهم، بل على العكس، فقد أدت إلى ازدياد عطف الجماهير وإقبال الشباب عليهم .. لذلك فإنني أنصح بالاكتفاء بإجراءات القمع الجزئية ضد قياداتهم. والأفضل أن يتم التخلص من هذه الشخصيات القيادية بطرق تبدو طبيعية.

ندوة سياسية

أذاع التلفزيون الإسرائيلي مساء يوم الأحد ٢٥/ ٧/ ١٩٨١ ندوة سياسية شارك فيها (الياهو بن ساسون) أول سفير يهودي لدى نظام السادات، وسعد مرتضى أول سفير مصري لدى إسرائيل، وذلك بمناسبة مرور ٢٩ عاماً على ثورة (يوليو) المصرية التي أفرزت نظام جمال عبد الناصر، ومن بعده نظام أنور السادات. **وقد أكد (الياهو بن ساسون): أن الإخوان المسلمين هم الخطر الحقيقي على مبادرة السلام المصرية الإسرائيلية.**

وقال:

((إن إسرائيل لن تشعر بالثقة التامة بمستقبل السلام مع مصر إلا بعد القضاء على الحركة الإسلامية))[1].

الأمريكان والنفوذ الإسلامي في مصر

نشرت جريدة (القبس) الكويتية تقريراً من واشنطن قالت فيه:

((إن مجلس الأمن القومي الأمريكي شكّل فريقاً خاصاً لمراقبة التطورات الخطيرة في مصر أولاً بأول، وعلى مدار الساعة)).

وقالت:

((إن التقرير أشار إلى أن تشكيل ذلك الفريق جاء على أثر تلقي الحكومة الأمريكية تقريراً من جهاز مخابراتها في مصر، يؤكد خطورة الوضع الداخلي في

---

(١) عداء اليهود ص ١٢٢-١٢٣.

مصر، ويحذر من خطورة تزايد نفوذ التيار الديني في مصر))[1].

مع سفير بريطانيا في دمشق

كان عبد الرحمن عزام -رحمه الله- أول أمين عام للجامعة العربية عند تأسيسها. وقد دخل في نقاش مع السفير البريطاني في دمشق حول جدية الإدعاء اليهودي بأن الشيوعيين العرب المدعومين من الاتحاد السوفيتي يشكلون خطراً ضد إسرائيل، ففوجئ بالسفير البريطاني يؤكد له: أنه لا الشيوعية العربية ولا الشيوعية العالمية ستكون في يوم من الأيام خطراً على إسرائيل، وإن اليهود لا يحسبون حساباً لأي خطر كما يحسبون للخطر الذي تمثله الحركة الإسلامية ضد إسرائيل[2].

كارتر والجماعات الإسلامية

نشرت مجلة (المجتمع) الكويتية في عددها الصادر في ٢٤/ ذو القعدة/ ١٤٠١هـ الموافق ٢٢/ ١٠/ ١٩٨١م خبراً أوردته وكالات الأنباء العالمية: حول إصدار الرئيس الأمريكي السابق (كارتر) في أعقاب انهيار نظام العميل الأمريكي شاه إيران المتوفى أوامره إلى أجهزة المخابرات الأمريكية بضرورة تشديد إجراءات مراقبتها للحركات الإسلامية المتطرفة المعروفة بعدائها للولايات المتحدة وإسرائيل. وكما طلب كارتر من المخابرات البريطانية والإسرائيلية والمصرية تقديم كل ما يمكنها من مساعدة في هذا المجال، وذلك

---

(١) عداء اليهود ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) عداء اليهود للحركة الإسلامية ص ٢٣-٢٤.

لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بالقضاء على هذه الحركات الإسلامية، قبل أن تفاجئ العالم بثورة إسلامية تقضي على جميع المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة، وتزيل إسرائيل من الوجود.

يطالبون بإغلاق المساجد

نقلت مجلة (الإصلاح) التي تصدر في دولة (الإمارات المتحدة) عن صحيفة (الأكونوميست) في عددها ٤٣ الصادر في ذي الحجة ١٤٠١ هـ تقول:

((إذا كان الرئيس السادات يريد فعلاً إسكات الأصوات المعارضة لسياسته الموالية لأمريكا وإسرائيل، فليس أمامه إلا إغلاق المساجد في مصر ...)).

ولعل الرئيس السادات اقتنع بهذه النصيحة، فأصدر أمره في ٥/ ٩/ ١٩٨١ بتأميم ٤٠ ألف مسجد في مصر.

كلمة حق من عدوٍّ حاقد

لقي وزير الدفاع الإسرائيلي في إحدى جولاته شاباً مؤمناً من مجموعة من الشباب في حيٍّ من أحياء قرية عربية باسلة، فصافحهم بخبث يهوديٍّ غادر. غير أن الشاب المؤمن أبى أن يصافحه وقال له:

((أنتم أعداء أمتنا تحتلون أرضنا، وتسلبون حريتنا، ولكن يوم الخلاص منكم لابدَّ آتٍ بإذن الله، لتتحقق نبوءة الرسولﷺ: لتقاتلن اليهود ...))

فابتسم (دايان) الماكر وقال: ((حقاً سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض... وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلاً ... ولكن متى؟))

واستطرد اليهودي دايان يقول:

((إذا قام فيكم شعب يعتزُّ بتراثه، ويحترم دينه، ويقدِّر قِيَمَهُ الحضـارية، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثهُ، ويتنكّر لتاريخه ... عندها تقوم لكم قائمـة وينتهـي حكم إسرائيل!!))

نعم إن الذين سيدحرون جموع اليهود المحشـودة في (دولـة إسرائيـل) أمـة واحدة، تتخذ الإيمان قاعدة، والقرآن منهـاج حيـاة، وتجعـل الاستشـهاد سـبيلاً يؤدي بها إلى الفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة!!

تلكم الأمة التي خاطب سلفها من قبل (أبو بكـر الصـديق) ﷺ: احرصـوا على الموت توهب لكم الحياة.

وثيقة للسلطان عبد الحميد

هذه وثيقة بعث بها السلطان عبد الحميد بعد خلعـه ونفيـه إلى (سـالونيك) وقد عثر عليها عند ورثة أحد شيوخ الطرق الصـوفية في (دمشـق)، وكـان هـذا الشيخ على صلة بالسلطان عبد الحميـد يقـول السـلطان في رسـالته إلى الشـيخ (محمود أبو الشامات) شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية في دمشق:

((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العـالمين، وأفضـل الصـلاة وأتـم التسليم عـلى سـيدنا محمـد رسـول رب العـالمين، وعـلى آلـه وصـحبة أجمعـين، والتابعين إلى يوم الدين!

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد ليلاً ونهاراً، وإنني لا زلتُ محتاجاً لدعواتكم الطيِّبة بصورة دائمة)).

بعد هذه المقدمة:

((أعرض على أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية - كأمانة في ذمة التاريخ-: إنني لم أتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية (الاتحاد والترقي) المعروفة باسم (جون ترك)، وتهديدهم، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إنَّ هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة. ورغم إصرارهم، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بالجواب التالي:

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل بتكليفكم. لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فكيف أسوّدُ صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، فقبلت بهذا التكليف، وحمدتُ المولى أنني لم ألطِّخْ وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي. وقد كان بعد ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرِّرُ الحمد والثناء على الله المتعال، وبه أختم رسالتي...))

الانتصار على اليهود

من المبشرات بانتصار الإسلام ما رواه ابن عمر ﭬ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

[تقاتلكم اليهود فَتُسلّطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم، هـذا يهـودي ورائي فاقتله] رواه البخاري ومسلم.

ومثل هذا الحديث قولهﷺ:

[لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهـود، فيقـتلهم المسـلمون، حتـى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فأقتله].

فهل ينطق الحجر بلسان المقـال –آيـة مـن آيـات الله، -ومـا ذلـك عـلى الله بعزيز- أو ينطقان بلسان الحال؟ بمعنى أن كل شئ يَدُلُّ عـلى اليهـود ويكشـف عنهم؟

وأياً كان المراد، فالمعنى: أنَّ كل شيء سيكون في صالح المسلمين، وضدَّ أعدائهم اليهود، وأنَّ النصر آت لا ريب فيه، وأنَّ أسطورة (القوة التي لا تُقهر) التي يشيعها اليهود لن تستمر، وأن الذين اغتصبوا فلسطين بقوة السلاح وسلاح القوة، سيخذلهم الله الذي يملي للظالمين، ثم يأخذهم أخذاً أليماً شديداً، ولن تُغني عنهم ترسانتهم النووية التي يُدِلُّون بها، كما لم تغن حصون أسلافهم من بني النضير عنهم شيئاً، حين جاءهم بأسُ الله الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين، كما قال تعالى في شأنهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الحشر.

وبعد:

فلقد بان لكل ذي عينين أن المسلمين في العصر الحديث يواجهون هجمة شرسة من أعداء ألداء عُرِفُوا بحقدهم على هذا الدين منذ أمد طويل وإلى يومنا هذا. ويمثلهم في هذا القرن ثالوث الحقد: أمريكا وفرنسا وبريطانيا. وأن المؤامرات التي نسجوها وينسجونها في الليالي الليلاء كثيرة كثيرة، وذلك بتوجيه الصهيونية الحاقدة، والصليبية الغادرة. أما أدوات تنفيذ هذه المؤامرات: فهم أبناء من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا، ويتمثلون بالمستغربين والحكام الذين وضعوا أيديهم بأيدي الغرب، من أجل الحفاظ على عروشهم المهلهلة ...!

لكن هذه المؤامرات وتلك المخططات لم تزد شباب المسلمين إلا ثباتاً على دينهم؛ لأن دينهم هو المستهدف. فكما تصدوا من قبل لتلك المؤامرات اللئيمة، سيتصدون الآن لكل هجمة تحاول أن تحول بين الشعب المسلم ودينه. ومن أوائل تلك المؤامرات ما يسمى بعملية التطبيع مع اليهود، لينسى المسلمون فلسطين، ويتناسوا تلك الدماء التي عجنت بها تربة أُولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين منذ الفتح الإسلامي الأول، مروراً بالحروب الصليبية وإلى يوم الناس هذا. قال (المقريزي) المؤرخ:

((لو رفعتَ كل حجر في بلاد الشام -ومنها فلسطين- لرأيتَ تحتَها دماً لشهيد))

ولقد كان عدد من دفنوا في ثرى فلسطين وسواها من بلاد الشام من صحابة رسول الله ﷺ لا يقل عن ٣٠.٠٠٠ ثلاثين ألفاً.

ولكن هيهات! فإن المسلم يؤمن بحديث رسول الله ﷺ:

[لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهـود، حتـى يختبـئ اليهـودي مـن وراء الحجر والشجر؛ فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفـي تعـال فأقتله إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود] رواه البخاري ومسلم.

السلام الهزيل

شعر: يوسف العظم

أي سِـلْمِ هـذا الـذي تنشـدونه — وشـعار هـذا الـذي تَرْفَعونَـهْ

أنْ تُزيلـوا العـدوان دون جهـاد — وتـدكُّوا في كـل أرض حُصـونَهْ

والعـدوُّ الـدخيل في كـل شـبر — بـثَّ فيكـم آذانـه وعيـونـهْ

يمـلأ الأرضَ والفضـاء فسـاداً — ويُغـذِّي بكـل حقـد جنـونَهْ

كـم صـغيرٍ ذاق الـردى بيديـه — وصغيرٍ مـا عـاد يلقـى (الحنونـة)

وعجـوزٍ في عتمـة الليـل باتـت — جرحهـا ينـزفُ الـدماء سَـخينة

دمَّـروا بيتَهـا فصـار حُطامـاً — واسـتباحوا في حقلهـا زيتونـه

وفتـاةٍ عـذراءَ مزَّقهـا القيـد — وكانـت رمـز العفـاف مصـونة

وفتـىً ثائـرٍ يـذوب جـراحاً — هَجَـرَ النـومُ والنعـاس جفـونه

مـن لظـى جُرحـه يصـوغ نـداءاً — عـلَّ قومـاً تخـاذلوا يسـمعونه

يا حمـاةَ الأقصى- الجـريح أفيقـوا — أيـن أقصـاكمُ الـذي تحمونـه؟

قَدْ ملأتُمْ رَحْبَ الفضـاءِ كلامـاَ — وأثَـرْتم مـن الحـديث شـجونه

ومضـيتُمْ لمجلس الأمـن ضَـعْفاً — وهوانـاً وذلـةً تـرجونـه

أنْ يُدِينَ العـدو يا لهـف نفسـي — كيـف نرجـو (عصـابةً) أن تُدينـه

هـزَّني الشـوقُ للكتائـب تُعـلي — رايـةَ الفـتح فـي الأكـفِّ الأمينـة

تَنْهَـلُ المجـدَ عـزةً وفخـاراً — مـن سـنا مكـةٍ ونـورِ المدينـة

والرسول العظيم في صحبه الغـرّ — فـداءاً وهيبـة وسـكينة

قاد جند الرحمـن عزمـاً وحزمـاً — وسـيوفاً بتـارةً مسـنونة

يفتــدي بالــدم الزكــي لــواءاً وبصــدق الجهــاد يحمــي عرينــه

لكَأَنــي بمســجد القدس يدعــو وينــادي أمــا ســـمعتم أنينَــه؟

كيف نرجو الخلاصَ والنصرَ ممن خَــتَمَ الــذل والهــوانُ جبينــه؟

إنــما الحــربُ عــدةٌ وجهــاد لا خطــابٌ منمــقٌ تُلقونـــه

أيــن ســعد وخــالد والمثنــى كلُّهــم بالدمــاء ينصــر دينــه

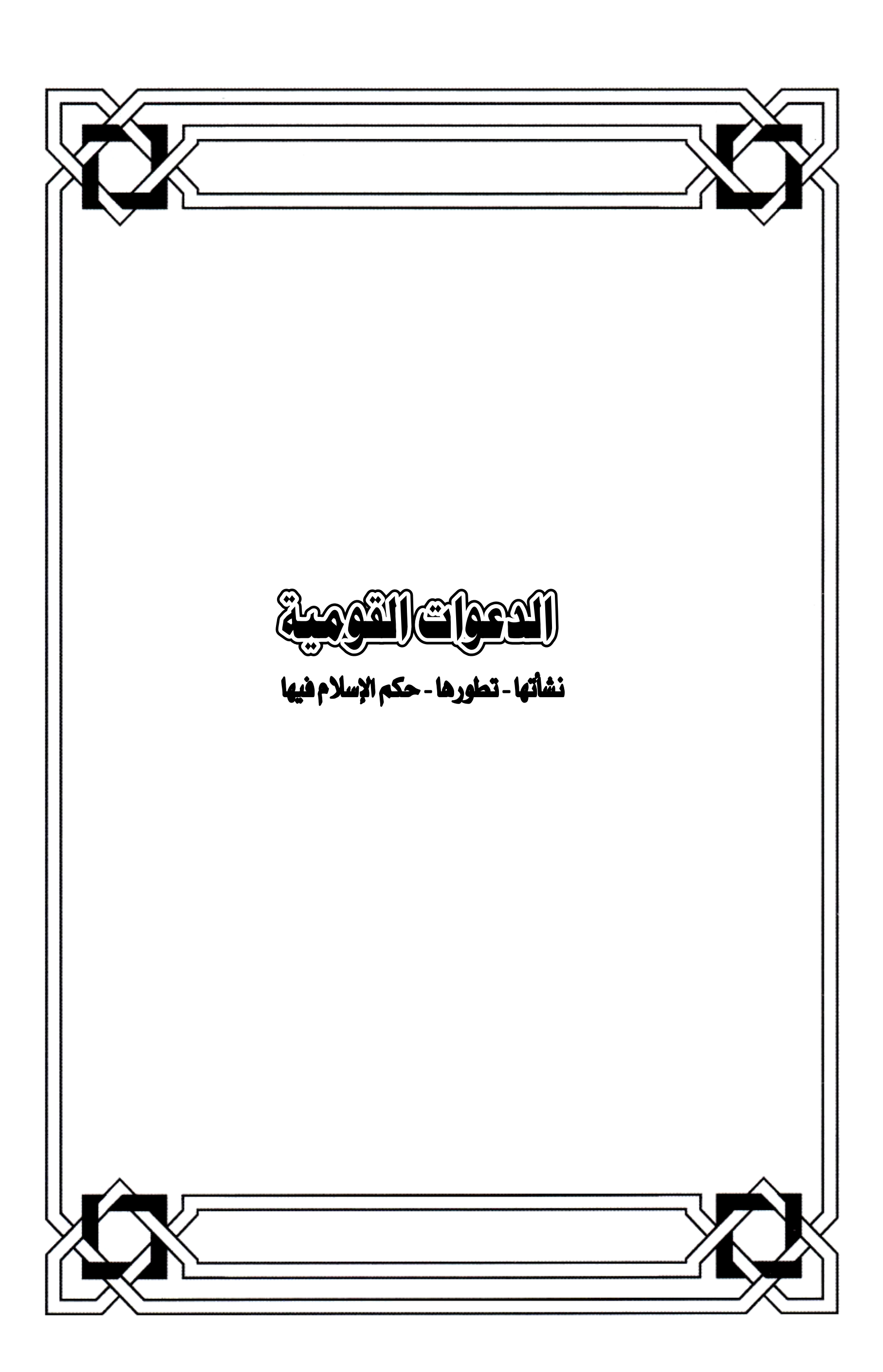
والســرايا يقودُهــا ابــنُ زيــاد أخضــع البحــر لا يهــاب ســفينه

وصـلاح كغـرَّةِ الصــبحَ يرْجـو أن تُعيــدوا وتبعثــوا حطينــه

أيهــا المســجد الجـريح ســلام لَكَ عهـد عـلى المـدى لـن نخونـه

إنْ عَلَـتْ رايـةُ الرسـول ودوّتْ دعــوةُ الله وهـــي فينــا ســجينه

أنْ تَسيــل الدمــاء حتـى تُرّوي صخرةَ القُــدس والقبـابَ الحزينة



الدعوات القومية

نشأتها - تطورها - حكم الإسلام فيها

مقدمة

الحمد لله حمدا يُبلّغني رضاه! والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين!.

أمّا بعد:

فما كان بودّي أن أكتب في موضوع عفى عليه الزمن، ونُكست راياته، وأخفقت شعاراته، في البلاد العربية، بعد أن ظلّ مدّة ليست بالقصيرة من الزمن رافعا رأسه هنا وهناك، وصارت له شعبية جماهيرية كبرى، حتى صار النّاس يقيسون إخلاص المخلص لأمته بقدر تحمّسه للدعوة إلى هذه القومية أو تلك: فمن القومية الطورانية التي دعا إليها (حزب الإتحاد والترقّي) في تركيا، إلى القومية الفينيقية التي دعا إليها (أنطوان سعادة) في سوريا ولبنان، إلى القومية الفرعونية التي دعا إليها عدد من الأدباء الذين يُشار إليهم بالبنان في مصر، إلى القومية الآشورية التي دعا إليها غير المسلمين في العراق، إلى القومية الكردية التي دعا إليها القوميون من الأكراد–وما زالوا كذلك– إلى القومية البربرية في الجزائر، إلى غيرها من القوميات...! وقد اختطت كل قومية من هذه القوميات وغيرها منهجا لها: فبعضها نهج منهج الأخذ برابطة الطين والأرض، كما فعل دعاة القومية السورية، وبعضها أخذ بالرابطة العنصرية: كدعاة القومية الكردية والبربرية، وبعضها نهج منهج الأخذ برابطة اللغة والتاريخ كدعاة القومية العربية... وهذه الدعوات وإن كانت أُميتت وصارت في ذمة التاريخ، إلاّ أنّها تنتفض بين حين وآخر، ويقف دعاة لها هنا وهناك يرفعون راياتها من جديد،

ويدعون إليها، سواء كان الدعاة لتلك القوميات من العرب أو الأكراد أو التركمان أو غيرهم.

ولا نريد أن نميط اللثام في هذه المقدمة عن الوجوه التي كان لها الأثر الكبير في إثارة تلك النعرات القومية التي فرّقت أمتنا، ومزّقت وحدتنا، وأضعفت كياننا، حتى استبدل دعاة القومية رابطتهم القومية بالرابطة الإسلامية، فكان الشتات والضياع، وكان الضعف والهوان.!

وفي مقابل الدعوات إلى القومية العربية رفعت عقيرتها (الشعوبية الحديثة): فقد وجدت مرتعا خصبا للنيل من العرب بعد دخول قوات الاحتلال إلى العراق، حتى صار الشعوبيون يرفضون القول بأنّ العراق بلد عربي، مع أنّ ما يقرب من ٨٠٪ (ثمانين في المائة) من سكانه هم من العرب، بل إنّ العراق كان عربيا في العصور الإسلامية الأولى-وما زال كذلك- وإنّ أعدادا كثيرة من القبائل العربية سكنت العراق، حتى قبل بعثة النبي محمدﷺ، وإنّ هذا البلد الذي يتنكرون لعروبته هو من المؤسسين للجامعة العربية. ولو كان (طرفة بن العبد) الشاعر الجاهلي بيننا، ورأى الشعوبية تصول وتجول بعد احتلال العراق لأنشد:

يـــا لـــكِ من قبَّرةٍ بمَعمـــر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقّـري ما شِـئت أن تنقِّـــري

ولابد لي أن أسجل هنا أنّ قسما من دعاة الإسلام في العراق، كانوا يتحاشون من ذكر العروبة والعرب، مجاملة للأكراد والقوميات الأخرى أولا،

وكردّ فعل على حركات القومية العربية العلمانية التي أساءت في نهجها؛ فنفَّرت القوميات الأخرى ثانيا.! ولكن لا يجوز أن يكون هذا مؤديا إلى غمط النّاس حقّها، فإنّ العرب هم الذين نشروا الإسلام في بقاع الدنيا؛ ولولاهم-بعد الله- لما دخلت هذه الأمم والشعوب في دين الله.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ هذا البحث لا يُرضي المتعصبين للفكر القومي، سواء كانوا من العرب أو الأكراد أو التركمان أو غيرهم! وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ كثيرا من دعاة القومية لا يريدون أن ينسب إلى قوميتهم أي نقص كان، فيعمل كل واحد منهم على الدفاع عنها بأي أسلوب كان. وقلّما نجد من هؤلاء من يعترف بالأخطاء التي ارتكبوها، والإساءات التي وقعوا فيها. ولا يهمني سخط هؤلاء أو أولئك، فحسبي أنّي أرضيت ضميري، وكتبت ما اعتقده صوابا، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمنّي ومن نفسي المقصرة.

وفي هذا البحث المتواضع ذكر عن نشأة الدعوة القومية، ومناهج دعاتها، وموقف الغرب من نشرها، وحكم الإسلام فيها، ولماذا اختار الله العرب لحمل رسالة الإسلام، وما موقف المؤرخين من العرب في العصر الجاهلي، وأنهيت البحث بخاتمة. والله أسأل أن يسدد خطانا، ويلهمنا الصواب فيما نقول ونعمل، ويجمع كلمتنا تحت لواء الإسلام، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

الدعوات القومية وحكم الإسلام فيها

تعريف القومية

القومية في اللغة: مصدر صناعي بإضافة ياء النسبة وتاء التأنيث إلى القوم.

والقوم: مصدر قام، وقد غلب على الرجال دون النّساء، وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته[1].

أمّا في الاصطلاح: فإنّ دعاة الفكر القومي لم يتفقوا على تعريف واحد للقومية، حتى قال بعضهم:

((إنّ التعريف الجامع المانع للقومية يكاد يكون مستحيلا))[2].

وهناك من اختار التعريف الآتي لها فقال: هي مبدأ سياسي اجتماعي، يفضل معه صاحبه كل ما يتعلّق بأمته على سواه مما يتعلّق بغيرها.

حب الإنسان لقومه ووطنه فطرة

إنّ الله ﷻ فطر الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم على حب كل واحد منهم لأهله وعشيرته وقومه وأمته ووطنه. ويظلُّ هذا الحب مغروسا في قلبه ونفسه، حتى ولو أصابه من أهله وعشيرته الظلم والغبن، وقد قال الشاعر:

بـــلادي وإن جارت عـــليّ عزيزة   وأهـــلي وإن ضنوا عليّ كـــرام

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٥٠٥، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٢٤.

(٢) جذور الفكر القومي والعلماني للدكتور: عدنان محمد زرزور ص٤٣. الطبعة الثالثة ١٤٢٠-١٩٩٩، المكتب الإسلامي، بيروت.

وقال آخر:

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى   مــا الحـبُّ إلا للحبيـب الأول
كـــم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى   وحنيـنــه أبـــدا لأوّل مـنـــزل

وقال آخر:

ذكرت بلادي فاستهلّت مدامعي   بشوق إلى عهد الصبـا المتقـادم
حننت إلى أرض بها اخضرّ شاربي   وقطّـع عنّـي قبـل عقد التمائم

لذلك نجد النبي صلوات الله وسلامه عليه وقد أخرجه المشركون من موطنه -وهي أحبُّ بلاد الله إليه- يحنُّ إليها، وقد خاطب مكة يوما فقال:

[ما أطيبك من بلد، وأحبّك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك][1].

وفي المدينة المنوّرة كان النبيﷺ يدعو الله أن يحبب إليهم المدينة كما حبب لهم مكة أو أشد فقال:

[اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد][2].

ويدلنا على هذا-أيضا- ما كان من أمر النبيﷺ-وهو في المدينة- حين يأتيه آت من مكة، فقد كان يسأله عن آخر أحوالها. فلما جاءه (أُصيل بن عبد الله

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٩٣٥ وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. تحفة الأحوذي ٣٩٥/١٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة (باب:١٢) فتح الباري ١٢٩/٤، الطبعة الثالثة ١٤٢١-٢٠٠٠. الناشر مكتبة دار السلام في الرياض ودار الفيحاء في دمشق ورواه مسلم في كتاب الحج (باب: الترغيب في سكنى المدينة) صحيح مسلم ١٠٠٣/٢.

الهذلي) قادما من مكة سأله النبي الكريم:

[يا أُصيل، كيف عهدت مكة؟!]

وبدأ أُصيل يصف له دروبها وأشجارها وثمارها، فتملك النبي الحنين لها،حتى بلغ مبلغ الحزن؛ فطلب منه أن يقف عن الاسترسال في وصفها قائلا له:

[حسبك يا أُصيل.. دع القلوب تقر.. لا تحزنا][1].

وكذلك كان صحابته الكرام الذين هاجروا هجرتهم المباركة إلى المدينة، فكان سيدنا بلال بعد أن تقلع عنه الحمى التي أصابته يقول:

الا ليت شعري هـل ابيـتنّ ليلـةً ... بـواد وحـولي اذخـر وجليـل

وهـل أرِدَن يومـاً ميـاه مجنةٍ ... وهل يبدون لي شامة وطفيل؟![2].

والذي كان يشعر به النبيﷺ وصحابته إنما هو فطرة فطر الله الناس عليها، يستوي فيها الناس كلهم: عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم ...

الإسلام والعصبية القبلية

كانت العصبية القبلية سببا مهما من أسباب صد الناس عن صراط الله المستقيم، حين أرسل الله محمداﷺ. فقد كانت القبائل العربية تتبارى في الشجاعة

---

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١/ ١٢١-١٢٢ طبعة دار الشعب، القاهرة، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني١/ ٩٣ بتحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤/ ١٢٩. وشامة وطفيل: جبلان.

والكرم والغيرة والنجدة وكل خلق كريم، ولا تخشى من شيء خشيتها أن تسبقها إلى تلك السجايا والمثل العالية قبيلة أخرى من القبائل. وننظر في المجتمع الذي بُعث فيه النبيﷺ، فنجد فيه ناسا كانوا يعرفون صدقه ﷺ، وانّه نبي الله بحق، ولم يمنعهم من الإيمان بنبوته إلا الحسد القبلي الذي سدّ عليهم طريق الهداية. ويدلنا على هذا ما كان من أبي جهل حين سأله الأخنس بن شريق عن رأيه فيما سمعه من آيات كان يتلوها رسول اللهﷺ بالليل في داره، فقال أبو جهل:

((ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنّا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه))[1].

ولم يكن هذا رأي أبي جهل وحده، بل هو رأي الكثير من الكفار والمشركين الذين ناصبوا رسول اللهﷺ العداء.

وإذا كانت بنو هاشم وبنو المطلب قد دافعوا عن النبيﷺ، ولم يسلموه إلى المشركين، وانحازوا مع المسلمين، ودخلوا معهم شعب أبي طالب لّما قاطعتهم القبائل، فإنّ ذلك لم يكن إلا بسبب العصبية القبلية. ولم يسلم اليهود مع علمهم أنّ محمدا رسول من الله بحق بسبب العصبية النسبية. فقد كانوا يتوقعون أن

(١) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني ١/ ٣٩٠، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن.

يبعث النبي المرتقب من بني إسرائيل، فلما بُعث من بني إسماعيل كذّبوه ولم يؤمنوا بدعوته، وانحازوا إلى المشركين، وتآمروا عليه.!

مفهوم القومية بين الجاهلية والإسلام

ولقد اتجه الإسلام بالقومية اتجاها يختلف عن اتجاه الجاهلية. فقد كان مفهومها في الجاهلية: العصبية للأهل والعشيرة والقوم والدم؛ ونصرتهم في الحق والباطل كما قال الشاعر الجاهلي قريط بن أنيف:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

لكن يسيرون أشتاتا إذا فزعوا ... وينفرون إلى الغارات وحدانا

لذلك كثرت الحروب القبلية بينهم، فغيّر الإسلام هذا المفهوم فجعله متمثلا بالفكر الإسلامي: بعقيدته وشريعته. ونجد في المجتمع الإسلامي الأول ناسا لم يتشرّبوا هذا المعنى الإسلامي للقومية، فتعجبوا من حماسة غير العرب من الموالي مثل بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي من حماستهم لدعوة النبي العربي مع أنّهم غير عرب ولا يمتّون إليه بنسب، فلمّا علم النبي الكريم بذلك أمر بدعوة النّاس إلى المسجد، وخطب فيهم قائلا:

[أيّها النّاس، إنّ الرب واحد، والأب واحد، وإنّ الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنّما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي][1].

وبهذا جعل النبيﷺ للقومية مفهوما آخر غير المفهوم الذي كان عليه القوم

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ١٨٩. طبعة دمشق.

في الجاهلية: إنّها اللغة العربية لأنّ القرآن لا يُفهم إلا بها، والمجتهد لا يكون مجتهدا إلا إذا كان ملمّا بها: نحوا وبلاغة...لذلك لابد أن تكون دولة الإسلام عربية بهذا المفهوم.

وهذا لا يعني أن يتجرّد الإنسان من حبه لقومه، فإنّ هذا شيء فطر الله النّاس عليه، ولكنّه يعني أن يكون عادلا في احكامه على الأشياء كلّها: فلا ينصر قومه إذا كانوا ظالمين، بل يعمل على منعهم من الظلم، فحين سأل الصحابي (واثلة بن الأسقع) رسول الله ﷺ قائلا:

((يا رسول الله، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟))

فأجابه النبي الكريم بقوله:

[لا، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم..][1].

حكم الإسلام في العصبية

إذا أردنا معرفة الحكم الشرعي في أية قضية كانت من القضايا، فلا بد لنا أن نرجع إلى مصادر تشريعنا، وأولها القرآن، وثانيها السنة النبوية، فماذا يقول القرآن في أمر العصبية القومية؟

يقول الله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٩٢٦، المسند ١٣/ ٢٢٥ وإسناده صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن (باب: العصبية) حديث ٣٩٤٩. سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٠٢.

والآية صريحة في مبدأ المساواة بين البشر؛ فان الله -سبحانه وتعالى- خلق الناس من أب واحد وأم واحدة: فهم متساوون في أصل الخلقة؛ فلا وجه للتفاخر بين الناس بالنسب أو اللون أو الجنس.

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ سورة النساء.

وحين نقرأ أسباب نزول بعض آيات القران، نرى أن الله-سبحانه- يؤكد على هذا الجانب، فقد روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود قال:

((مر الملأ من قريش بالنبيﷺ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين؛ فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟! أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟! اطردهم عنك؛ فلعلك إن طردتهم ان نتبعك؛ فنزلت هذه الاية:

﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾))[1]

أما النبي ﷺ، استهداءاً بمنهج القرآن الكريم، فقد طفر بالأمة طفرة في محاربته للتعصب القومي لم يسبقه اليها سابق ولم يلحقه لاحق، وذلك في جانبين

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٢٠٠. الطبعة الثانية ١٣٧٣-١٩٥٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

اثنين :

أولهما: التطبيق العملي لحقيقة المساواة بين العناصر والأجناس والألوان، فساوى بين العربي والأعجمي، والأسود والأبيض، والقوي والضعيف... فآخى بين المهاجرين والأنصار، والضعفاء من غير العرب وكبار الصحابة من العرب: فآخى بين مولاه زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، وآخى بين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق، وآخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وآخى بين بلال الحبشي وأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي[1]. ولم يكتف النبي الكريم بهذا، بل ساوى بين الناس كلهم في الوظائف، فجعل بلالا والياً على المدينة في وقت كان فيها كبار الصحابة، وجعل أسامة بن زيد قائدا على جيش فيه ابو بكر وعمر...هذه المساواة التي طبقها النبيﷺ هي التي جعلت الموالي من غير العرب يتسنمون -فيما بعد- أعلى المكانة في الفقه والعلم والسياسة...

ثانيهما: أحاديثه الشريفة التي وضعت حدا لأي تعصب قومي كان، من ذلك:

١- عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول اللهﷺ:

[من قتل تحت راية عميَّة، يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية][2].

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: السيرة النبوية لابن هشام مع شرح ابي ذر الخشني ٢/ ١٧٢-١٧٥

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...)حديث ١٨٥٠. صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٨.

[...ومن قاتل تحت راية عُميَّة، يغضب لعصبةٍ، او يدعو إلى عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية...][1].

٣- عن جبير بن مطعمﷺ أنّ رسول اللهﷺ قال:

[ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية][2].

٤- عن ابن مسعودﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:

[من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردّي، فهو يُنزع بذنبه][3].

٥- [لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنّما هم فحم جهنّم، أو ليكوننّ أهون على الله من الجُعل الذي يدهده الخراء بأنفه. إنّ الله قد أذهب عنكم عِّبيّة الجاهلية، إنّما هو مؤمن تقي وفاجر شقي. النّاس كلهم بنو آدم، وآدم خُلق من تراب][4].

٦- عن ابيّ بن كعبﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الامارة (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...)حديث١٨٤٨ صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٦.

(٢) رواه أبو داؤد في كتاب الأدب (باب: في العصبية) ينظر: عون المعبود ١٤/ ١٨، والحديث حسن لغيره.

(٣) رواه أبو داؤد في كتاب الأدب (باب: في العصبية) ينظر: عون المعبود ١٤/ ١٧.

(٤) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: فضل الشام واليمن) حديث ٣٩٦٤. يُنظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٤٢١-٤٢٢.

[إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا][1].

٧- روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى الإمام مالك قال:

جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فقال: هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هذا، فقام إليه معاذ بن جبل بتلبيبه، ثم أتى النبيﷺ فأخبره بمقالته فقام النبيﷺ مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي أن الصلاة جامعة، وقال النبيﷺ: [يا أيها النّاس إنّ الرب واحد، والأب واحد وإنّ الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنّما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي].

ولاء المسلم

لا يكون ولاء المسلم الا لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة المائدة .

فلا يكون الولاء للقوم ولا للأهل ولا للقبيلة ولا للجنس ولا للنسب ولا للمصاهرة إن استحبوا الكفر على الإيمان، فقد كان (أبو لهب) عماً للنبيﷺ، وهو في الذؤابة من قريش، ولما وقف موقفه ذاك من الإيمان بالله، وعدائه للنبيﷺ، نزلت (سورة اللهب) في تبيان خيبته وخسارته، وأنه ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾، يقرأ هذه السورة المسلم العربي والفارسي والهندي وكل مسلم؛ فإذا كان الأمر

(١)رواه الطبراني برقم ٥٣٣. قال الهيثمي رجاله ثقات. ويُنظر: فيض القدير ١/ ٣٥٧، ومعنى فأعضوه: أي أسمعوه من الكلام ما يكره.

هكذا بالنسبة لأبي لهب وهو عمُّ النبيﷺ فكيف بمن دونه؟!.

ونأتي إلى القرآن الحكيم، فنتلو قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة التوبة.

وقوله:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة التوبة.

فإن قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ فيه اشارة إلى رابطة الجنس والنسب.

وفي قوله: ﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ فيه إشارة إلى رابطة المصاهرة.

وفي قوله: ﴿ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾ إشارة إلى رابطة القومية أو القبلية.

وفي قوله: ﴿ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ إشارة إلى المصالح الاقتصادية.

وفي قوله﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ إشارة إلى رابطة الأرض والوطنية.

وفي قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ إشارة

إلى رابطة العقيدة.ورابطة العقيدة هذه، هي التي يجب على المسلم أن يكون ولاؤه لها. فإذا انساق وراء أية رابطة غيرها، فيصير قد نأى عن المنهج الذي يجب عليه أن يسير على وفقه.

وفي هذا المعنى ورد قول الله تعالى:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ سورة المجادلة/ ٢٢.

وهكذا تحول المسلم في ولائه من تلك الولاءات إلى الولاء لله ورسوله؛ فصار الابن يقاتل أباه، والقريب يقاتل قريبه. ونجد النبيﷺ لم يهادن أقرباءه من قريش الذين كانوا وثنيين مشركين.

ولقد أدرك السياسيون الغربيون الذين عملوا في البلاد العربية والإسلامية، أن الإسلام له المكانة الأولى في قلوبهم، فلا يُقدّم شيء عليه، وانّ انتماء المسلم لا يكون إلا لهذا الدين على العكس من الرجل الغربي الذي يكون انتماؤه لوطنه. فهذا (ديلسبس) قنصل فرنسا العام في سوريا، كتب تقريرا إلى حكومته في ١٩/ ٨/ ١٩٦٥ جاء فيه:

((من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد درس هذه البلدان المكانة التي احتلها الدين في نفوس الناس، والسلطة التي له في حياة الناس. فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة، وفي اللغة وفي الأدب، وفي جميع المؤسسات الاجتماعية. والرجل الشرقي لا

ينتمي إلى وطن ولد فيه -الشرقي ليس له وطن- بل إلى الدين الذي ولد فيه. وكما أنّ الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنّه في الشرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي: هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو، وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب))[1].

وصية النبيﷺ لأمته في حجة الوداع

أوصى النبيﷺ أمته بوصايا قيمة في حجة الوداع، إن أخذت بها لم يكن للشيطان سبيل إليها. ومن تلك الوصايا: خوفه من أن يدب في الأمة دبيب العصبية الجاهلية؛ ذلك أنّ العصبية هذه تفرّق جمع المسلمين، وتشتت شملهم، وتقوّض صرح دولتهم؛ لذلك نجد النبيﷺ يتشدد في هذا الأمر، وتأتي خطبته الشريفة في حجة الوداع في أسلوب فيه أشد أنواع التحذير من تلك العصبيات الجاهلية، ويكفينا أن نعلم في خطبته هذه قوله:

[..لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض][2].

وما كان المسلم يخشى من شيء خشيته أن ينهج منهج الكفار، بعد أن أنقذه الله بهذا الدين، وجاءت أحاديثه الشريفة لتكون حدا فاصلا بين حقيقة هذا الدين ودعوات العصبية الجاهلية، فقال:

[يا أيها الناس، ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على

---

(١) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا تأليف الدكتور يوسف القرضاوي ص١٦٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الديات (باب: ٢) حديث ٦٨٦٨. فتح الباري ١٢/ ٢٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: لا ترجعوا بعدي كفارا...) صحيح مسلم ١/ ٨٢.

أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى][1].

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي نضرة برقم ٢٣٣٨١. مسند الإمام أحمد ١٧/ ١٢.

كيف نشأت الدعوة الـى القومية

هناك أسباب أدت إلى نشوء الدعوة إلى القومية في البلاد العربية، وسأقتصر هنا على ذكر سببين اثنين منها:

١- انبهر الناس بالتقدم الحضاري المادي الذي حققه الأوربيون في القرن التاسع عشر، وقد كانت البلاد العربية -آنذاك- تئن من وطأة التخلف والجهل. ونظر الناس إلى تلك العلوم والمعارف والمخترعات والصناعات التي حققها الغرب، فهالهم ما رأوه، وأخذ ذلك بألبابهم. وقد صاحب التقدم الصناعي انتشار الفكر القومي في أوربا؛ فاتجه من اتجه إلى تقليد الاوربيين في الدعوة إلى القومية، وبخاصة بعد أن فتحت المدارس الحكومية في ظل الاستعمار والانتداب والاحتلال والوصاية؛ إذ كانت تلك المدارس تعكس مناهج ونظم البلاد المستعمرة.!

لقد كانت الأمة العربية والإسلامية -آنذاك- متخلفة من ناحية التقدم الحضاري والصناعي، وكانت مغلوبة لا غالبة، وضعيفة وليست بالقوية، وقد قرر علماء الاجتماع أن الأمة المغلوبة تقلد الأمة الغالبة، والضعيفة تقلد القوية،وقد قال العلامة ابن خلدون:

((... ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب: في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله))[1].

وقد كان هذا سببا من أسباب ظهور الدعوات القومية في البلاد العربية

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص١٤٧، الطبعة الرابعة، دار احياء التراث العربي، بيروت.

والإسلامية.

٢- أما السبب الثاني الذي كانت له أهميته: فهو اضطهاد العنصر العربي من قبل دعاة القومية الأتراك، وبخاصة (حزب الاتحاد والترقي).

لقد عاش العرب والأتراك عددا من القرون إخوة متحابين متعاونين، مستظلين براية الإسلام التي جمعت بين القوميات -كلها- ولم تفرق بين العربي والتركي والكردي... وكيف تفرق وكلهم ربهم واحد، ونبيهم محمدﷺ، ويقفون في صلاتهم في صف واحد متساوين، متجهين إلى قبلة واحدة؟!

وسار الخلفاء العثمانيون هذه السيرة الطيبة، فكان هذا من أسباب قوة الأواصر بين القوميات كلها. وهكذا ظلت الدولة العثمانية واقفة وقفة الأبطال بوجه الغزو الصليبي للعالم الإسلامي طوال ثلاثة قرون او تزيد، فلم يتمكن الغربيون من احتلال الوطن العربي. ولم ينس الغربيون ذلك الجرح الغائر بانتزاع القسطنطينية منهم وانضوائها تحت لواء الإسلام، وصار اذان (الله أكبر) تصدح بها مآذنها. لذلك كثرت حملات التشهير غير المنصفة ضد الدولة العثمانية، من أجل تفتيت وحدتها، وإضعاف كيانها. وقد نجح هؤلاء حين شجعوا (حزب الاتحاد والترقي) بتبني الدعوة إلى القومية الطورانية العلمانية، مدعيا أنّ العنصر التركي أفضل من العناصر الأخرى، وأن حضارتهم أسبق من حضارة غيرهم. يقول الأمير شكيب أرسلان –رحمه الله-:

((..وهناك فئة ثانية تدعى الفئة الطورانية، يزعمون أن الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجداً، وأسبقها إلى الحضارة، شعارهم: عدم التدين،

وإهمال الجامعة الإسلامية: نحن أتراك، وكعبتنا طوران))[1].

ولم يكتف هؤلاء بتلك الادعاءات العريضة التي تؤدي إلى ردود فعل لدى القوميات الأخرى، بل قاموا باضطهاد العرب، فنالهم ما نالهم من الأذى؛ نتيجة سياسة التتريك التي اتبعها ذلك الحزب، بعد أن قام قادتهم بخلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩. والمعروف عن هذا الحزب أن أكثر أعضائه من الدونمة، وهم من اليهود الذين اخفوا معتقداتهم، وتسموا بأسماء إسلامية، وتظاهروا بدخولهم في الإسلام؛ ليتمكنوا من الكيد به. وهكذا انخرطوا في سلك الشرطة، وفي مراكز مهمة في الحكومة، بل استطاعوا حتى النفاذ في قصر السلطان عبد الحميد، وكانت سياستهم واضحة في عدائهم للإسلام وللخلافة العثمانية، تلك السياسة التي عرفت بالسياسة الطورانية[2]. واشتد الظلم على العرب في جوانب عدة، حتى صار التعليم باللغة التركية في مرافق الدولة كلها، بل حتى اللغة العربية صارت تدرس باللغة التركية، وفوق ذلك قللوا من حصص تلك الدروس بالعربية.

أما الموظفون من غير العرب في البلاد العربية فقد كثروا، وأصاب الغبن

---

(١) حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب ارسلان ١/ ١٥٨ -١٥٩.

(٢) يراد بالسياسة الطورانية: (الرجوع إلى خصائص الأسلاف الطورانيين (من سكان التركستان في أواسط اسيا) قبل دخول الترك في الإسلام. ولهذا فقد رفعوا شعار (الذئب الأغبر) الذي كان معبود الأتراك في جاهليتهم هذه، وبدأوا-في الوقت نفسه- بفرض اللغة التركية وحدها على جميع شعوب الدولة العثمانية، ومحاولة صبغها بالثقافة التركية).

ينظر: جذور الفكر القومي والعلماني للدكتور: عدنان محمد زرزور ص٥١.

رجال العرب في وظائف الدولة الرئيسة وغير الرئيسة غبناً كبيراً. وكان (حزب الاتحاد والترقي) ومن سار على نهجه يصفون العرب بصفات مهينة فيقولون مثلا (بيس عرب) أي العربي النجس و(جنكنه عرب) أي العربي الغجري، ومازال المعمِّرون من أهل الموصل يذكرون ذلك. وقد بدأ هذا التحقير للعرب حتى قبل إعلان الدستور، وازداد بعد إعلانه، فقد اخرج ثلاثة عشر متصرفا عربيا ، وحل محلهم اتراك((ولقد كان في وزارة الخارجية ١٢ موظفا عربياً من أصل ٦٠٠، فاخرجوا جميعهم بحجة التنسيق، ولم يعين الا عربي واحد. ولقد أصبح موظفو وزارة المالية بعد التنسيق ١١١ تركيا و١٣ يهوديا، وعشرة من الأرمن، وأربعة من الروم، وواحد من العرب...))[١].

إن هذه المواقف - وغيرها كثير- هي التي جعلت ردة فعل لدى الشباب العربي للدعوة إلى القومية العربية، والتذكير بأمجاد العرب، وطالبوا بأن يكون التدريس باللغة العربية، وكذلك في المحاكم ودوائر الدولة، وأن تعطى لهم الحرية في انتخاب نوابهم.. وما الجمعيات العربية التي نشأت -آنذاك- الا كردٍّ فعل لما اتبعه حزب (الاتحاد والترقي). ونشير هنا إلى ان هذه الجمعيات العربية كانت قوية الجذور بالإسلام، فلم تتعرض للإسلام بالإساءة، ولم ترفع شعارات تناهض به هذا الدين، ولم تدع إلى الاعتزاز بالتاريخ الجاهلي والتفاخر به.. فقد كانت أهدافها العامة: رفض سياسة التتريك التي فيها تجاوزات على العرب

---

(١) نشأة الحركة العربية الحديثة تأليف: محمد عزة دروزة ص٣٠١. الطبعة الثانية المكتبة العصرية، بيروت

والإسلام. وإذا كان عدد ليس بالقليل من العرب دخل أول الأمر في حزب (الاتحاد والترقي)، ولكن سرعان ما انسحب الواحد منهم بعد الآخر، بعد أن اتضحت أهداف وأساليب هذا الحزب، ووقفوا موقف المعارضة لهم.

وهكذا نجد الدعوات الأولى للقومية تبتغي جمع شمل العرب في دولة واحدة ورفع الغبن عنهم. يقول الكاتب الألماني (باول شمتز):

((مثلت القومية العربية دور القومية الإسلامية، فهي عربية في ظاهرها، إسلامية في مخبرها وأهدافها. ويتجلى ذلك واضحا في معارضتها الشديدة لأوربا وللمسيحية))[1].

لكن هذه الدعوات لم تنجُ من المؤامرات التي حيكت لها في الغرب، وبخاصة من الانكليز، من أجل الانحراف بتيار القومية العربية عن مسارها الأول؛ لتصير خادمة للأهداف البريطانية. فهذا (الكولونيل كليتون) قام سنة ١٩١٦ بمهمة كبيرة: وهي تأسيس المكتب العربي البريطاني في القاهرة، وقد قام المكتب بعمله مع عدد من الضباط الانكليز؛ لينحرف بحركة القومية العربية، حتى تصير خادمة للأهداف الحربية البريطانية[2].

أمّا المفكر الصهيوني (ماكس نوردو)، فقد أشار قبل ذلك إلى ضرورة

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية تأليف: باول شمتز ص١٤٣، نقله إلى العربية الدكتور محمد شامة، الطبعة الأولى ١٣٩٤-١٩٧٤ مطبعة الحضارة العربية، القاهرة.

(٢) ينظر: لورنس العرب على خطا هرتزل (تقارير لورنس السرية) تأليف: زهدي الفاتح ص٦٤، الطبعة الأولى ١٣٩٠-١٩٧١،نقلا عن كتاب (الوقائع السرية في حياة لورنس العرب) ص٤٨-٤٩.

استغلال القومية العربية لضرب العرب بحكام الإمبراطورية العثمانية، والقضاء على الاثنين معاً[1].

وهكذا استطاع المستعمرون ان يفرغوا الدعوات القومية من أهدافها الأولى، فظهرت الدعوة إلى القومية المنفصلة عن التراث الإسلامي، والدعوة إلى القومية العلمانية على وفق المنهج الغربي.

لقد وقعت الحرب العالمية الأولى، وتقسمت البلاد العربية بين(انكلترا) و (فرنسا)، ووجدت القوميات–آنذاك– تربة خصبة لنشر دعوتها، وكثرت الدعوات، فصارت كل قومية تدعو لقوميتها بإحياء تاريخها قبل الإسلام، ومن هذه القوميات: القومية العربية، وقد انقسم دعاتها على قسمين:

الأول: دعاة القومية المحافظون الذين تحدثنا عنهم، وقد كانوا لا يفرقون بين الإسلام والعروبة، وكل ما في الأمر: أنهم يريدون جمع العرب الذين تقترب مساكنهم في دولة واحدة، وكان همهم الأول منصبا على تحرير البلاد من المستعمرين، وكانوا لا يفرقون بين الإسلام والعرب. وظل هذا الفكر ساريا في البلاد العربية مدة ليست بالقصيرة من الزمن: فقد كان أهل العراق –مثلا– قبل قرن من الزمان لا يفرقون بين القومية والعروبة والإسلام، إذ كان مفهومها عندهم متقاربا، وهكذا في المغرب العربي والجزائر، فكانوا لا يفرقون بين المسلم

(١) ينظر: لورنس العرب على خطا هرتزل ص٦٤-٦٥.

والعربي، مقتدين بما كان عليه الناس في العصور الإسلامية الأولى [1]. وقد عبر عن هذا المعنى خير تعبير الشاعر محمود غنيم –رحمه الله– فقال:

هي العروبـة لفظ إن نطقت به | فالشرق والضاد والإسلام معناه

وهذا المفهوم الذي ذكرته للقومية والعروبة، يختلف عن المفهوم الذي كان سائدا في (لبنان) و (سوريا) و (الشام)..

الثاني: دعاة القومية من المتأثرين بالفكر الغربي، فكانوا يدعون إلى القومية بالفكر نفسه الذي يدعو إليه غلاة دعاة القومية في الغرب، من غير أن يولوا اهتماما بالفكر الإسلامي، فان دعوتهم لم تقف عند حدود الاعتزاز بالقوم، بل تعدتها لتتخذ العلمانية منهجا لها تسير على وفقه لا تتجاوزه، وهذا واضح من تصريحات كثير من قادة الأحزاب القومية في البلاد العربية؛ فقد أعلنوا على رؤوس الأشهاد دعوتهم إلى العلمانية (اللادينية)، لتكون بديلة عن الرابطة الإسلامية التي تجمع القوميات كلها، وأرادت أن يكون الدين محصورا بين جدران المساجد لا يتعداها، وهو نفس الفكر الغربي العلماني؛ ذلك لان نشأة الدعوة إلى القومية ظل محصورا بأناس تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التبشيرية، وقد عرف هذا الاتجاه أول ما عرف في بلاد الشام على أيدي

---

(١) ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه في حوادث سنة ١١٠هـ، أنّ دخول الناس في الإسلام في (سمرقند) قد كثر، ووضعت الجزية عنهم؛ فقلّ الخراج :(فجاء البعض إلى الاشرس بن عبد الله المسلمي (والي خراسان) وهم يقولون: ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس عرباً..)؟

ووجه الشاهد في هذا النص: أن الناس آنئذ كانوا يسمون المسلمين عربا، وكل من أسلم منهم يسمى عربياً

النصارى، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدد من البلاد العربية. ومن هنا وقع الصدام بين الفكر القومي العلماني بشتى اتجاهاته وبين الفكر الإسلامي، وقد خسر الفكر القومي في هذا الصراع بعد أن أحرج بشتى اتجاهاته، ولم يستطع الوقوف أمام من يحملون الفكر الإسلامي ويدعون إليه.

تجريد العروبة من الإسلام

جرت محاولات كثيرة من علمانيي دعاة القومية العربية ممن تأثر بالفكر الغربي والنفوذ الاستعماري لتجريد العروبة من الإسلام والفصل بينهما؛ ليكون لكل منهما منهجه الخاص به.

وحين نتأمل بالشريعة الإسلامية، نرى ارتباطا عميق الجذور بين الإسلام والعروبة لم ينفصل في غضون القرون الخمسة عشر؛ ذلك أن العروبة تمثل جزءا من أجزاء الإسلام إذ الإسلام هو الذي وحد العرب تحت رايته، وجعل منهم قوة عظيمة أخرجت الأمم من الظلمات إلى النور، وقد حافظ (الإسلام) على عروبة البلاد التي غزيت، فوقف بوجه الحروب الصليبية، وردها على أعقابها تجر أذيال الخيبة والهزيمة. وانتصر الإسلام هذا الانتصار، حتى بعد أن تكوّن للصليبيين أربع أمارات صليبية، في وقت وصلت البلاد العربية إلى حالة من الضعف والوهن بسبب تفرق حكام المسلمين، فجاء صلاح الدين الأيوبي المسلم الكردي، وخلص البلاد وبيت المقدس الذي تشد إليه الرحال باسم الإسلام، وليس باسم القومية العربية. وهكذا الأمر في الاجتياح المغولي التتري للبلاد العربية، فإن الذي وقف بوجههم هم المماليك، وكانت صرخاتهم في

الحروب: واإسلاماه! لقد قاتلوهم باسم الإسلام لا باسم غيره.!

ولست أدري، هل علم أصحاب هذه الدعوات في البلاد العربية حقيقة الخطورة التي ترتبت وتترتبُ على الأخذ بالقومية المجردة عن الإسلام أم لا؟

فإن لم يعلموا ذلك، فليستمعوا إلى المفكرين من غير العرب ومن غير المسلمين.. أولئك الذين رفعوا أصواتهم محذرين الأمة من مغبة الأخذ بالقومية المجردة عن الإسلام؛ ذلك لان الأخذ بها لا يبني أمة ولا ينهض بها فقال (الفريد كانتول سميث):

((إن القومية المجردة ليست هي القاعدة الملائمة للنهوض والبناء، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه، فلن تثمر الجهود، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على ذلك))[1].

ويحق لكل منصف ان يقول –بعد ذلك–: كم أساء إلى أُمته ويسيء من يحاول تجريد العروبة عن الإسلام؟!.

مناهج دعاة القومية وأهدافهم

تعددت مناهج دعاة القومية، كما تعددت أهدافهم، لكن هناك عامل مشترك بين منهاج وأهداف أكثر دعاة القومية، منها ما يأتي

١- يقدم كثير من دعاة القومية رابطة قوميتهم على الرابطة الإسلامية: فهناك من يفضل العربي غير المسلم على المسلم غير العربي! ونحن المسلمين

---

(١) معلمة الإسلام تأليف: أنور الجندي ٢/ ٢٢١ الطبعة الثانية ١٤١١-١٩٩١، دار الصحوة، القاهرة.

نعتقد اعتقادا جازما أن رابطة أخوة الإسلام أقوى من أي رابطة كانت، لان الله ﷻ يقول:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ سورة الحجرات/ ١٠، ولان النبيﷺ يقول: (المسلم أخو المسلم)[1].

ونهى القرآن الحكيم أن يوالي المسلم أباه أو أخاه إن استحب الكفر على الإيمان فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ سورة التوبة.

ويشير القرآن الحكيم إلى هذا المعنى فيقول:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾ سورة المجادلة/ ٣٢

لذلك صار الابن يقاتل أباه، والقريب يقاتل قريبه: ففي غزوة بدر قتل ابو عبيدة عامر بن الجراح أباه، وقتل عمر ابن الخطاب خاله العاص بن هشام، وهمّ أبو بكر الصديق بقتل ابنه عبد الرحمن -وكان آنئذ مشركا- لولا أن النبيﷺ قال لأبي بكر: متِّعنا بحياتك يا أبا بكر.

٢- يتخذ القوميون العلمانيون العلمانية منهجا لهم، فيعزلون الدين عن

(١) رواه البخاري حديث ٢٤٤٢ ومسلم ٢٥٨٢ .

الدولة والمجتمع، ويحصرونه بين جدران المساجد ، وينظرون إلى الإسلام نظرتهم إلى المسيحية التي يدين بها الغرب الآن سواء بسواء. وربما جهل هؤلاء البون الشاسع بين الإسلام ومسيحية الغرب في مجال التشريع: فان الإنجيل المتداول بين الناس الآن ليس فيه أحكام تنظم حياة الناس، وقد اقتصر على ذكر الصلاة والمواعظ والترغيب والترهيب.. وليس كذلك الإسلام، فانه دين ينظم كل ما يتعلق بحياة الناس: الدينية والدنيوية من الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...

٣- لم يقف القوميون عند الدعوة إلى علمانيتهم، بل جنَّدوا أنفسهم لمحاربة الإسلام، ولكل من يريد تحكيم الشريعة الإسلامية في المجتمع. ومن أسباب ذلك: أن أساطين الدعوات القومية كانوا من غير المسلمين، فلا تتوقع منهم غير ذلك. فهذا (أنطوان سعادة) يدعو إلى قومية سورية، وهكذا (سلامة موسى) يدعو إلى قومية مصرية، وهذا (جورج حبش) يدعو إلى القومية العربية... فهل يوالي هؤلاء الإسلام ورسالته ودعاته؟!

٤- يعمل القوميون المتأثرون بالفكر الغربي على تفضيل قوميتهم على القوميات الأخرى، بل ويستعلون بقوميتهم على غيرها من القوميات، وحين ذاك يكون ظالما للقوميات الأخرى، فيعطي لأهل قوميته ما لا يعطيه للقوميات الأخرى. يقول العلامة أبو الأعلى المودودي:

((فمعنى القومية: هو أن يفضل القوميون في كل امة قوميتهم على جميع القوميات الأخرى، وأن يكون هذا القومي قوميا ظالما عدوانيا؛ لان من

مستلزمات القومية: أن يفرق على الأقل بين القومي وغير القومي، فيحفظ لأهل أمته أكثر الامتيازات، كما يقوم بالحفاظ على المثل التاريخية والعصبية التي تقوم عليها قوميته، ويرعى وينمي ما بداخله من عواطف الفخر والتفاخر القومي، فهو لن يشرك معه أهل القوميات الأخرى في أي مجال من مجالات الحياة على أسس متساوية؛ ولأنه من الواجب أن تتمتع أمته بفوائد ومنافع أكثر من الأمم الأخرى؛ فان قلبه يعمى عن العدل والإنصاف..))[1].

الغرب والدعوات القومية

وكان للجهود الأمريكية في تشجيع الدعوة إلى القومية الأثر الكبير في نشوئها، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر. يقول جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب):

((إن قصة الحركة القومية بدأت في بلاد الشام سنة ١٨٤٧ بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية))[2].

ولم يتبلور العمل المنظم في الدعوة إلى القومية الا بعد أن تأسست جمعية سرية في الكلية السورية بعد إنشاء الجمعية الأدبية السابقة بربع قرن: أي في سنة ١٨٧٥. وقد أخذت هذه الحركة طورا جديدا في عملها بعد أن جعلت لها علاقة

---

(١) الأمة الإسلامية وقضية القومية تأليف: أبي الأعلى المودودي ص١٥٣-١٥٥ نقلا عن القومية بين النظرية والتطبيق تأليف مصطفى محمد طحان ص٣٣٣-٣٣٥.

(٢) يقظة العرب تأليف جورج انطونيوس ص٧١ ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس. الطبعة السابعة. بيروت.

بالحركة الماسونية التي أخذت محافلها بالانتشار في الدولة العثمانية. يقول جورج انطونيوس:

((يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥ حين ألّف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية السورية الإنجيلية (التي سميت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية) جمعية سرية وكانوا جميعا نصارى))[1].

ولم تمض غير سنوات ليست بالكثيرة، حتى صار ناس من المسلمين يحملون هذا الفكر. وهكذا انتقلت الدعوة إلى القومية من النصارى إلى المسلمين، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. يقول جورج انطونيوس:

((ولذلك انتقلت هذه الآراء التي بذرها النصارى في البداية، وأصبحت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تجد تربة صالحة للنمو بين المسلمين))[2].

وقد بذل الغرب جهوده الجهيدة لربط المسلم بالقوميات التي سبقت الإسلام في الزمن: ففي لبنان كثرت الدعوات إلى (الفينيقية) مدعين أن اللبنانيين لا ينتمون إلى العرب، بل ينتمون إلى حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر نشطت الدعوة إلى (الحضارة الفرعونية)، وانتشر اسم (رمسيس) و (أبو الهول)، وقد اتخذ (ابو الهول) شعارا لمصر. وما إن بدأت مصر بالتحضير لإقامة السد العالي حتى قامت اليونسكو بضجة إعلامية لإنقاذ معبد (أبي سنبل)

---

(١) يقظة العرب ص١٤٩.

(٢) يقظة العرب ص١٦٨

الفرعوني ونقل تمثال (رمسيس)-فرعون مصر- إلى القاهرة، وصار شعار(مصر للمصريين) يرفع هنا وهناك من كبار الأدباء وأصحاب الأسماء اللامعة.

وفي تركيا رفع شعار(تركيا للأتراك)، حتى صار الكماليون يقولون: ((نريد أن نبني إسلاما تركيا يصبح ملكا لنا، وجزءاً من مجتمعنا الجديد، على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على نمط أنجليزي))[1].

ولا ريب أن هذه هي علة اهتمام الغرب بالاثار في البلاد العربية والإسلامية خاصة؛ ليكون ارتباط المسلمين بهذه الآثار التي لا علاقة لها بالإسلام. لذلك تبرعت مؤسسة مهمة من مؤسسات اليهود (مؤسسة روكفلر) بعشرة ملايين دولار، من أجل إنشاء متحف يعنى بالآثار الفرعونية، ومعهد لتخريج رجال الآثار[2].

وفي إيران عمل (الصفويون) ومن بعدهم (الحكم البهلوي) على إضعاف العلاقة بالعالم الإسلامي، فتأسست أكاديمية مهمتها التخلص من المفردات العربية الموجودة في اللغة الفارسية، وظهر الاهتمام بـ (زرادشت) ومذهبه من جديد، وثارت قوميات هنا وهناك في إيران مثل: (البلوش) و (العرب) و (الأكراد).

وفي العراق برزت الدعوة إلى القومية العربية والكردية والتركمانية،

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية تأليف: الدكتور محمد محمد حسين ص١٧٨ الطبعة التاسعة ١٤١٣/ ١٩٩٣، مطبعة المدني، القاهرة.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية ص١٥٩.

وتعصب كل صاحب قومية لقوميته، وربما يكون هذا -مستقبلا- سببا من أسباب سلخ المنطقة الكردية من العراق لتكون اقليماً مستقلا. ولا شك أن هذا -كله- من أجل قطع صلة المسلمين بإسلامهم، وربطهم بعقائد وديانات جاهلية؛ ليتمكن الغرب من استعباد المسلمين وإذلالهم.

لقد كان للغرب الأثر الكبير في نشوء هذه الدعوات؛ إذ كانت البعثات الإنجيلية الغربية تعمل عملها هنا وهناك، فوق الجهود التي كان يبذلها ساسة الغرب من أجل أن تحل الدعوات القومية والوطنية محل الدعوة إلى الإسلام. يقول(جورج انطونيوس) -وهو نصراني ما روني-:

((وهذه الحركة القومية هي نتيجة من نتائج البعثات التبشيرية الغربية التي يرجع وجودها في بلاد الشام إلى عهد إبراهيم باشا الذي أتاح للمدارس الفرنسية والأمريكية بالعمل؛ واللتين قدَّر لهما أن تحتضنا البعث العربي وترعياه))[1].

وقد أشار إلى هذه القضية -أيضا- رجل المخابرات البريطاني (لورنس) وقد كان يسمى (لورنس العرب) فقال:

((وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام، وتستبدل

(١) يقظة العرب تأليف جورج انطونيوس ص٩٧، والقومية بين النظرية والتطبيق ص٣٢٣.

سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟))[1].

لقد ثبت أن الدعوات القومية العلمانية التي انطلقت في البلاد العربية والإسلامية كانت مؤامرة على الأمة المسلمة، استهدفت تمزيق الوحدة الإسلامية بأجزائها السياسية والاجتماعية والفكرية... وهذا ما صرح به من عرفوا بعدائهم للإسلام ككبير المبشرين البروتستانت (زويمر)، فقد قال:

((إن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات))[2].

وهذا ما قامت به الإرساليات التبشيرية في بعض البلدان العربية -وبخاصة في بيروت-فقد رفعت شعار الدعوة إلى القومية العربية، من أجل تمزيق تلك الوحدة بين العرب والترك.

وهناك علامات استفهام كثيرة شغلت أذهان كثير من دعاة القومية، ولم يستطيعوا أن يجدوا جوابا شافيا لها ومن تلك: لماذا كان الدعاة الأول للقومية العربية من المتأثرين بالفكر الغربي من المسيحيين العرب وبخاصة من لبنان من أمثال (بطرس البستاني) و(ابراهيم اليازجي) و (فارس الشدياق) و (أديب اسحق) و(سليم تقلا) و...!

ولماذا اهتمت فرنسا بالمؤتمر الأول لدعاة القومية الذي انعقد في فرنسا واحتضنته، مع أن الفرنسيين معروفون بعدائهم لامتنا؟

ولماذا اهتمت بريطانيا بدعاة القومية وأيدتهم وأمدتهم بالدعم المالي

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٣٣ سنة ١٩٧٩.

(٢) معلمة الإسلام تأليف: أنور الجندي٢/ ٢١٧.

والمعنوي إبّان نشأة الدعوة القومية، مع أن عداء الانكليز لامتنا صار أوضح من الشمس في رابعة النهار؟

ولماذا كان نشوء الدعوة إلى القومية العربية في المؤسسات التبشيرية مثل الكلية السورية الإنجيلية التي سميت –فيما بعد– باسم الجامعة الأمريكية، ولم تنشأ في المؤسسات المعروفة بحبها وإخلاصها لهذه الأمة.

ولماذا كان الجاسوس الانجليزي (لورنس) هو الذي خطط للثورة العربية؟

ولماذا صار القنصل الفرنسي في بيروت عضوا في حركة القوميين العرب؟[1].

إن هذه الأسئلة –وغيرها كثير– لتضع الشك بعد الشك في نوايا دعاة القومية العلمانية من المتأثرين بالفكر الغربي.

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: القومية والغزو الفكري تأليف: محمد جلال كشك في صفحات ٢٨٣و٢٨٥ و ٢٨٦ و٣٠٤ الناشر مكتبة الامل، الكويت.

لماذا اختار الله العرب لحمل رسالة الإسلام

أراد الله ﷻ أن تكون رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، وشريعته خاتمة الشرائع، وأن تكون إلى الناس -كلهم- عربهم وعجمهم، لا تنسخ ولا تبدل إلى قيام الساعة، وأن تلبي حاجات كل الأمم والشعوب؛ فأرسل محمداﷺ -وهو من العرب- لما يعلمه -سبحانه- من اتصافهم بميزات كريمة تفقدها غيرها من الأمم، مع وجود استعداد لحمل هذه الرسالة تؤهلهم لنشرها في الآفاق و﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ سورة الأنعام / ١٢٤

لقد كان العربي يشعر بحقيقة العزة التي تنطوي عليها جوانحه، وبالنفسية العالية التي يسمو بها فيفرض نفسه على من حوله. وربما وصل به هذا الشعور إلى حد التطرف كما قال قائلهم:

لو كان في الالف منـا واحد فدعـوا ... من فارس؟ خالـهم أيـاه يعنونا

وكما قال طرفة بن العبد صاحب المعلقة:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت انني ... عُنيت فلـم أكسـل ولم اتبـلد

وكل من تكون نفسيته هكذا يتحلى بمكارم الأخلاق من الصدق والشجاعة والأمانة والغيرة والكرم والوفاء بالعهد..

ومن تلك الصفات التي كانت سجية للعرب: صفة الكرم، ولم تكن خاصة بالأغنياء منهم، بل كانت تشمل حتى الفقراء، وقد قال قائلهم:

نصبوا بمدرجة الطريق قدورهم ... يتسابقـون إلى قـرى الضيفان

ويكـاد موقدهـم يجـود بنفسه ... حب القرى حطبا على النيران

ومن صفاتهم التي صارت مضرب الأمثال: غيرتهم على الأعراض. وبلغ التطرف مبلغه في بعض القبائل، حتى صاروا يئدون البنات خشية العار.

ومما امتاز به العرب: نخوتهم، فإذا دخل أحد في جوارهم يدافعون عنه ولا يسلمونه–ولو أدى إلى فناء كثير منهم–. فهذا (المطعم بن عدي) –وقد كان مشركا– يدخل النبي الكريم في جواره بعد أن عاد من الطائف التي لم تكتف بعدم الإيمان بدعوته، بل أساءت إلى شخصه الكريم. ويحمل (المطعم) مع بنيه السلاح ليقاتلوا من يريد الإساءة إلى النبي الذي دخل في جواره. إنّ هذه النخوة وهذا الجوار لا نجد لهما مثيلا في أية أمة كانت من الأمم آنذاك. ولو أنّ صاحب دعوة ظهر في فارس أو الروم، وكانت دعوته لا يتقبلها كسرى أو قيصر، لأخذ صاحب الدعوة من بين أهله وسُجن، أو ضُربت عنقه وانتهى خبره. يقول الإمام ابن تيمية –رحمه الله–:

((وسبب هذا الفضل–والله أعلم– ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أنّ الفضل:إمّا بالعلم النافع، وإمّا بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ: وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم...والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني...وأمّا العمل، فإنّ مبناه على الأخلاق: وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم. فهم أقرب للسخاء، والحلم،

والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة..))[1]

وقال محمود شكري الآلوسي:

((والحاصل أنّ العرب لما كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما، وأطلقهم ألسنة، وأوفرهم أفهاما، استتبع ذلك لهم كل فضيلة، وأورثهم كل منقبة جليلة، فإنّ العقل المشرق للإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبداهة والكيس والخير وإصابة الظن والفراسة والزكافة والكهانة والعرافة والإلهام ودقة النظر والرأي والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة وسائر الأخلاق المحمودة والأعمال الممدوحة))[2].

وقال لوثروب ستودارد:

((كان العرب في عصر صاحب الرسالة أمة كريمة الأخلاق، سليمة الطباع، نيرة السجايا، مقاديم، يركبون كل صعب، تحركهم روح الرسالة، بغاية غاياتها، وتبعث فيهم عزما شديدا وغيرة متوقدة))[3].

وإذا كان العصر الذي سبق مبعث النبيﷺ يسمى بالعصر الجاهلي، فإنّ الجاهلية هذه لم تكن ضد العلم، بل كانت من الجهل بالدين الحق، والجهل الذي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية بتحقيق محمد حامد الفقي ص١٦٠-١٦١ الناشر: دار المعرفة، بيروت.

(٢) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب للآلوسي. وانظر: العرب من هم وما قيل عنهم تأليف عمر رضا كحالة ص٧٨-٧٩.

(٣) العرب ص٨٠.

هو ضد الحلم والعقل في بعض الأحيان؛

ولا يظننّ أحد أنّا حين نتحدث في العصر الجاهلي ننزهه عن مثالب ومساوئ كانت فيه، فإنّ مع هذه السمات العالية، نجد بجانبها صفات سيئة انتشرت فيما بينهم، ومن ذلك: عبادة الأصنام والأوثان، والتعامل الربوي، وأكل القوي فيهم حقوق الضعيف، والحرب لأتفه الأسباب التي تدوم سنوات طوالاً تأكل الأخضر واليابس وتهلك الحرث والنسل، وكذلك ما عُرفوا به من اللدد عند الخصام، والعصيان، وعدم الطاعة، والمكابرة، والمعاندة...ومع ذلك نجد العرب-آنذاك- خير أهل الأرض لاتصافهم بصفات بوأتهم تلك المنزلة الرفيعة، وذلك بما يملكونه من صفات حميدة لا يملكها غيرهم. يقول الإمام ابن تيمية وهو يتحدث عن العرب عند مبعث النبيﷺ:

((كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطّلة عن فعله، ليس عندهم علم منزّل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي...فلمّا بعث الله محمداﷺ بالهدى -الذي ما جعل الله في الأرض ولا يجعل أعظم منه قدرا- وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية، والظلمات الكفرية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتهم. فلما تلقّوا عنه ذلك الهدى العظيم، زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدى الله الذي أنزل على عبده ورسوله، فأخذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطرة الجيدة؛ فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي انزل الله إليهم...فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار

أفضل الناس بعدهم: من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة من العرب والعجم...))[1].

حب العرب

وردت أحاديث كثيرة عن النبيﷺ يدعو فيها إلى حب العرب. وإذا كان قسم من تلك الأحاديث ضعيفة، فإنّ ضعفها يتقوى إذا جاء من طرق أخرى، فمنها ما رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللهﷺ:

(([يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك]؛ فقلت: يا رسول الله، وكيف أبغضك وبك هدانا الله عز وجل؟ قال: [تبغض العرب فتبغضني]))[2].

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) قال: قال رسول اللهﷺ:

[..فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص١٦١-١٦٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٣٦٢١ مسند الإمام أحمد ١٧/ ٩٣ وإسناده حسن، والترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب في فضل العرب)، وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد. تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٩٦. ويعلّق المباركفوري على هذا الحديث فيقول: (..والحاصل: أنّ بغض العرب قد يصير سببا لبغض سيد الخلق؛ فالحذر الحذر؛ كيلا يقع الخطر) ١٠/ ٣٩٦.

ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٩٧، حديث ٦٩٩٥/ ٢٥٩٣.

ابغضهم][1].

وقال ﷺ:

[أحبوا العرب وبقاءهم، فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام][2].

واستهداءاً بما قاله النبي ﷺ، نجد العلماء يشيدون بالعرب، ويدعون إلى حبهم، ذاكرين أن من أحب النبي العربي أحب العرب، فقال أبو منصور الثعالبي:

((من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته اليها، ومن هداه الله تعالى للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين))[3].

القرآن والعرب

شاء الله ﷻ أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين من العرب، وأن يكون كتابه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٣، حديث٦٩٥٣/ ٢٥٥١.

(٢) رواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي هريرة. ينظر: جامع الأحاديث للسيوطي ١/ ١٠٧ حديث ٥٦٨، وأخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني،باب الهاء: الهذيل بن عبد الله الصبي حديث ٢٧٢٥ و٣٤٥١.

(٣) فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي ص٢-٣ المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٧/ ١٩٣٨.

بلسان عربي مبين. وحين نتلو القرآن الحكيم، نجد أن الله -سبحانه- خاطب العرب بخطاب فيه ما فيه من المدح، فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة/ ١٤٣.

والآية صريحة في مدح أمة العرب، فهي أمة الوسط وخيار الأمم، وأعدلها وأحسنها، وهي التي حملت أكمل الشرائع، المهيمنة على الأمم، الرقيبة على الناس.

وقال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾سورة آل عمران/ ١١٠.

والخطاب في الآية الكريمة للعرب -أيضا- لان فيهم الخيرية على الناس لصفات أهلتهم لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين، والقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تثبيتا لهم على النهج المستقيم الذي كانوا عليه، وإشعارا لهم أن دينهم هو الدين، ومنهجهم هو المنهج.

وإذا كان من الناس من يظن أن هاتين الآيتين وآيات غيرها جاءت عامة للمسلمين-كلهم- فإن في القرآن قرائن تدل على أنّ المراد بالخطاب هم المسلمون العرب، قال تعالى:

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ سورة الحج/ ٧٨.

وواضح من الآية أن العرب هم المخاطبون بهذا، بدليل قوله تعالى: ﴿أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة.

وواضح من هذه الآيات حقيقة الأبوة لإبراهيم وإسماعيل للعرب.

إن هذه الآيات تدل على أن العرب يمتازون عن غيرهم من الأجناس بميزات بوّأتهم للقيام بنشر دين الله، حين أرسل الله خاتم الأنبياء منهم. وجاءهم هذا المدح من رب العالمين بسبب مسؤوليتهم عن نشر دعوة الله، وذلك لما كانوا يمتازون به من شجاعة نادرة وحب للجهاد في سبيل الله، وتحمل للشدائد. لكن هذا لا يعني أن يستعلي العرب على غيرهم من الأجناس، أو أن يفتخروا به أمام العالمين فيظلموا غيرهم؛ لان الإسلام سوّى بين أجناس الناس كلها في الحقوق والواجبات تسوية تامة، فهم إخوة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وكما قال النبيﷺ:

[المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...][1].

طبيعة هذا الدين

وحين نلقي نظرة على هذا الدين، نرى أن طبيعته عربية في نشأته، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، ولولاهم لظل الناس في عبادة النار والحجر والشجر... فهم الذين نشروا الإسلام، وهم حراسه. يقول الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله-:

((ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم. فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه)).

ويقول:

((وأحب هنا أن ننبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبيﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ ابن جبلؓ:[الا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان])).

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم (باب: لا يظلم المسلم المسلمَ ولا يسلمه، وفي كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل)، ومسلم في البر والصلة (باب: تحريم الظلم).

ويقول:

((ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا هو موقف (الإخوان المسلمين) من الوحدة العربية))[1].

موقفان متضادان

هناك موقفان متضادان في أمر العرب في المجتمع الجاهلي:

أما الموقف الأول، فهو موقف تضخيم تاريخ العرب في العصر الجاهلي، وتصويره بصورة المجتمع البطولي، وانه كان يمثل المرحلة الذهبية، وان حضارته كانت حضارة عملاقة، فيها العلم والثقافة، ويطلق المستشرق (هاملتون جب) على العصر الجاهلي اسم (العصر البطولي).

وهذا الأسلوب في تصوير العصر الجاهلي إن هو إلا محاولة من محاولات تحجيم دور الإسلام والتهوين من شأنه: فكأن العصر الذي سبق مبعث النبيﷺ كان مهيئا للقيام بأعظم حضارة في العالم، ولم يزد دور الإسلام عن أن أخذ بأيدي العرب فنهضوا.

أما الموقف الثاني، فهو على العكس من ذلك: يتمثل في الانتقاص من قدر العرب، والحط من منزلتهم الحضارية، والغاية من ذلك: التقليل من أهمية

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس للإمام الشهيد حسن البنا ص٨٥-٨٦ بتقديمنا مطبعة أنوار دجلة، بغداد١٤٢٤-٢٠٠٣.

الإسلام والحط من قدره؛ لأنهم يسمونه (دين العرب). وقد قام بهذه العمليات التخريبية في الفكر عدد ليس بالقليل من الأعاجم الذين فتح الإسلام بلادهم، واصطلح عليهم المؤرخون اسم (الشعوبية).

الشعوبية

الشعوبية: حركة مدبرة أحيانا، واعتباطية في أكثر الأحيان، حمل لواءها غير العرب، مهمتها: التقليل من شأن العرب، أولئك الذين حملوا لواء الإسلام، وفتحوا البلاد، وأدخلوا الأمم والشعوب في دين الله، وهم الذين عرّبوا الدواوين في صدر الإسلام، ورسموا الإطار العام لهذا الدين، فلا ترى الشعوبية فضلا للعرب على غيرهم، وتلصق المثالب بهم، وقد عمدت إلى قسم من القبائل التي ارتكب أفرادها جريمة أو عملا يؤاخذون عليه، فقيدت ذلك وأذاعته من أجل التشهير بالعرب جميعا، وفي الجانب الآخر قامت بذكر مفاخر العجم، وما استحسن من عاداتهم. ولم يكتفوا بهذا، بل قاموا باختلاق قصص ووضعوها في كتب الأدب من أجل نجاح عملهم التخريبي، ومن هذه الكتب: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني[1].

ومما قامت به الشعوبية: وضعها للأحاديث المختلقة كذبا في فضائل الفرس، وأسندوها إلى الثقات من أصحاب النبيﷺ والتابعين؛ ومهاجمة اللغة العربية، والتقليل من شأنها، وتحريض أصحاب اللغات الأخرى على الكتابة

---

(١) هناك كتاب قيم لأخي الفاضل الأستاذ وليد الأعظمي-رحمه الله- بعنوان (السيف اليماني في نحر الاصفهاني صاحب الأغاني) بين فيه شيئا من الشعوبية التي تضمنها كتاب الأغاني.

والكلام بلغاتهم المحلية.

أما بداية ظهور هذه الحركة، فكانت في آخر عصر الدولة الأموية. وقد حذر العقلاء من خطرهم منذ ذلك التاريخ، فكتب والي خراسان (نصر بن سيار) قصيدة يفصح فيها عما يكنه هؤلاء من حقد على العرب، ومنها:

من كان يسألني عن أصل دينهمُ   فإن دينهـــمُ أن تهلك العــــرب

قوم يقولون قـولا مـا سمعت به   عن النبي ولا جاءت بـه الكتب

فلما ظهرت الدولة العباسية، صار للموالي نفوذ هنا وهناك، وقويت شوكتهم في زمن الخليفة المأمون، فأفصحوا عما كانوا يكنون في أنفسهم.

لقد كان هؤلاء يحنون إلى تاريخهم وجاهلية آبائهم ولا يرون للعرب من فضل، فقال ابن تيمية -رحمه الله- فيهم:

((والغالب أن مثل هذا الكلام – أي تفضيل بعض أنواع العجم على العرب- لا يصدر الا عن نوع نفاق: إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك))[١].

وقال -أيضا-:

((..فانّ الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم، وسريانيهم، ورومهم، وفرسهم، وغيرهم)) [٢].

وأخيرا فما كان بودي أن أتحدث في الشعوبية التي صارت في ذمة التاريخ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص١٤٩.

(٢)المصدر نفسه ص١٤٨.

لولا وجود مثيلات لها انبعثت من جديد في قرننا الواحد والعشرين، وبخاصة بعد احتلال العراق، وهي صورة طبق الأصل لمنهج الشعوبية الأولى قبل أكثر من ألف سنة في تشويه تاريخنا، والطعن بالعرب، وتشجيع اللغات المحلية، وذلك بالتدريس بها في مناهج المدارس في المراحل الدراسية، فيتخرج منها الطالب ويكاد يجهل كل الجهالة اللغة العربية التي كتب بها ديننا وتاريخنا وثقافتنا وحضارتنا...!.

خاتمة

لقد ثبت بما لا يقبل الشك: أنّ الدعوات القومية التي انتشرت في أوربا مزقتها شر ممزق، وأثرت في كياناتها، وصارت تئن من ويلاتها، لذلك اتخذ الاوربيون منهجا واضحا في التخلي عنها. وحين أقدم الناس في البلاد العربية والإسلامية على تقليد الغربيين في الدعوات القومية، ظهر التمزق والشتات في الأمة المسلمة. فهذا (توينبي) يقدم نصيحتين أولاهما للعالم العربي وثانيتهما للعالم الغربي:

أمّا الموجهة إلى العالم العربي، فيحذر فيها من هذه الدعوات، خشية أن يصيبها ما أصاب الإمبراطورية الاسبانية فيقول:

((فهل من الضروري حقا أن يتفتت العالم العربي كما تفتتت الإمبراطورية الاسبانية في أمريكا-لسوء الحظ- إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها، تعيش في قوالب ضيقة غريبة النمط؟ هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية. ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليدا تاماً!. إن سحر القومية

جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة، ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة، بل إلى حكم بالموت والفناء))(1).

وأشير هنا إلى أن الدعوات القومية لم تنشأ ببلاد المسلمين، بل نشأت أولا ببلاد الغرب، ولم يكتب لها الانتشار في العالم الإسلامي إلا بسبب سيطرة الغرب عليه، يقول (توينبي):

((ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية، ويرى أنه مجزأ إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة، يهدد بانهيار البيت كله كاملا على من فيه، بسبب انقسامه هكذا على نفسه. ومع ذلك، فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي-القومية- عن طريق الشعور الإسلامي القومي بالوحدة))(2).

وأما النصيحة الموجهة إلى العالم الغربي، فقد قدمها بعد أن أدرك حقيقة الأخوة والمحبة التي أوجدها الإسلام بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم،وكيف انطفأت جذوة النزعات العنصرية بين المسلمين التي تعتبر من أعظم المنجزات الأخلاقية في الإسلام، فقدّم نصيحته إلى الغرب ، طالبا منه أن يقوم بالانتفاع من الظاهرة الإسلامية هذه فيقول:

---

(1) الغرب والشرق والمستقبل تأليف: توينبي ص59

(2) الغرب والشرق والمستقبل ص28.

((إن من أهم الدروس التي من الممكن للغرب ان يأخذها من الإسلام: إيجاد الأخوة والمحبة بين الأجناس المختلفة والشعوب المتباينة))[1].

ويقول:

((إن انطفاء جذوة النزعات العنصرية بين المسلمين، يعد ظاهرة من أعظم المنجزات الأخلاقية في الإسلام))[2].

ويعلن (توينبي) رأيه صريحا أمام العالم، فيذكر أن الشيوعية والقومية عدوّان للأديان فيقول:

((إن الشيوعية والقومية هما العدوان للأديان؛ اذ هما شكلان مختلفان لموضوع فاسد: الا وهو عبادة الإنسان لنفسه))[3].

وأخيرا: لقد كان للدعوات القومية العربية(هيل وهيلمان) في البلاد العربية-ومنها العراق- وكان كثير منها يحمل فكرا غير الفكر الإسلامي، ومنهجا غير المنهج الإسلامي، وقد عانى دعاة الإسلام من تلك الدعوات، ووقفوا بفضل الله يكشفون زيفها، ويميطون اللثام عن وجوه دعاتها، وينبهون الأمة إلى مخاطرها، وليس هذا في العراق وحده، بل في كثير من أقطار العالم الإسلامي. ويمضي الزمن، وترفع الدعوة إلى القومية العلمانية رأسها مرة أخرى

---

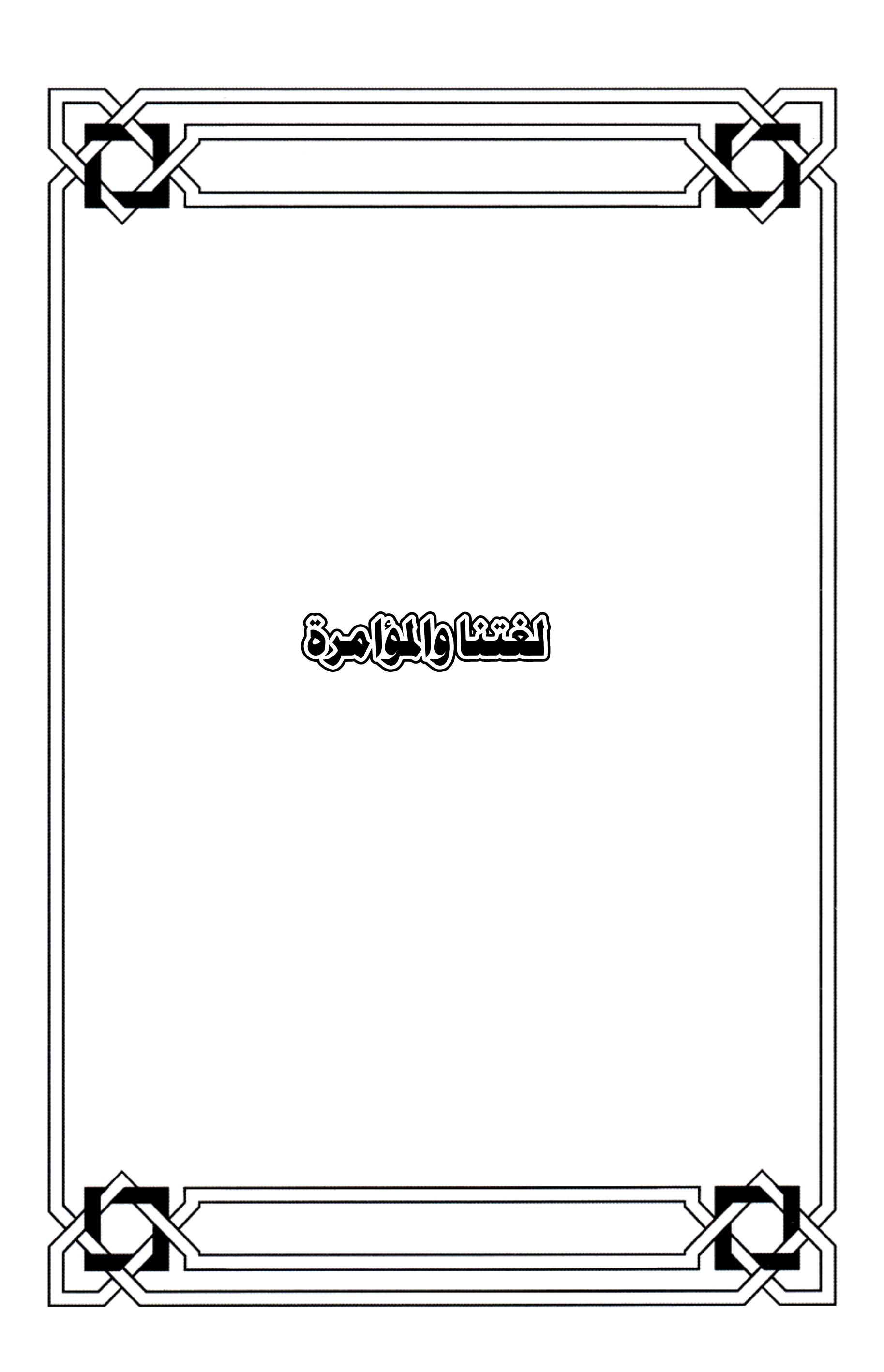
(١) محاضرات في الثقافة الإسلامية تأليف: أحمد محمد جمال ص١٤٣-١٤٤،الطبعة الأولى ١٣٩١-١٩٧١، دار الفكر ودار الثقافة.

(٢) الإسلام والوعي الحضاري للدكتور أكرم ضياء العمري ص١٧٣، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧، دار المنارة، جدة.

(٣) معلمة الإسلام تأليف أنور الجندي ٢/ ٢٢١.

في العراق ولكن عند غير العرب، ويُبتلى بهذا الداء شعب مسلم عريق بغيرته على الإسلام وجهاده في سبيل الله. وإذا كانت الأحزاب العلمانية قد حملت لواء هذه الدعوة بيد أنها لم تبقَ محصورة بهم بل سرت عدواها حتى في صفوف قسم من دعاة الإسلام من حيث لا يشعرون، وذلك بسبب الأحوال السياسية التي مرت بالعراق قبل دخول قوات الاحتلال، وازدادت بعد دخولها، واستغلت الأحزاب العلمانية هذه الفرصة، فعملت عملها في تقوية تيار الفكر القومي الذي يفرق ولا يوحد. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ان الفكر الشعوبي الذي سقطت راياته قبل قرون وصار في متاحف التاريخ، انبعث الآن مرة أخرى من جديد، ليقلل من شأن العرب بل ويتضايق حتى من سماعه بهم.

إنها مؤامرة على الشعوب المسلمة هنا وهناك، وليت المسلمين يدركون ما يراد بهم وبأمتهم.



لغتنا والمؤامرة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وجاهد جهاده إلى يوم الدين!

أما بعد:

فقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الرسالة المتواضعة، وما كان يدور بخلدي أن تُحدث ضجةً في شمال عراقنا الحبيب، ويَغضب منها مَنْ يغضب من إخواننا الأكراد حتى الذين يحملون الفكر الإسلامي منهم والدعاة: فيقوم التلفزيون في (أربيل) بالرد عليها، وتنتقدها الصحف، وتكتب عنها المجلات، وتكون حديث الناس الشاغل هنا وهناك، حتى وصل الأمر أن عُقد مؤتمر في (محافظة دهوك)، وتحدّث المتحدثون فيه –فيما تحدثوا– عن هذه الرسالة منتقدين لها. ونقد المسلم لأخيه المسلم ليس مستغرباً، فإن لكل أحدٍ حقّه في أن يبدي رأيه المبنيّ على العلم في كل ما يقرأ أو يسمع. وأنا – ولله الحمد – لستُ ممن تضيق صدورهم بالنقد البناء، وكيف يضيق صدري بذلك وأنا كثيراً ما أردد ما قاله عملاق الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

((رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي)).

لكن الذي أثار عجبي كيف تمكنت الدعوة إلى النعرة القومية التي سماها رسول الله ﷺ (منتنة) من بعض إخوتنا الذين نرتبط بهم برابطة العقيدة الإسلامية التي يستحيل أن نجد رابطة أقوى منها، وتعمل هذه النعرة المنتنة

عملها فيهم، فيقوم أدعياؤها بإلصاق التهم الكاذبة والأحاديث المفتريات عن موقفي من الشعب الكردي المسلم. ولو كانت تلك الأكاذيب والمفتريات قد أتت من أعدائنا لهان الخطب: فقد صار أمراً طبيعياً أن نستمع إلى الأكاذيب التي تُلصق بنا من هنا وهناك، أما أن تصدر تلك الافتراءات من إخواننا في الإسلام، ومن المحسوبين على علماء شمالنا الحبيب، فهذا من العجب الذي لا ينقضي!!! فقد زعموا –وبئسما زعموا– أني كفَّرت الشعب الكرديّ المسلم، وحرّمت على المنبر بيع الدور إلى الأكراد في الموصل لأنهم سيبيعونها لليهود، واني قمت بطرد أربعة من علماء الأكراد من بين ثمانية وعشرين من العلماء العرب في اللجنة التصالحية التي شكلها الشيخ فيضي، وأني قلت في قناة الجزيرة: هؤلاء الأكراد لا يفهمون من الإسلام شيئاً، وأني استنكرت في قناة العربية تعيين نائب محافظ الموصل لأنه من الأكراد، في الوقت الذي رحبت بتعيين اثنين من المعاونين للمحافظ: أولهما من المسيحيين، وثانيهما من التركمان...! إلى آخر تلك الافتراءات والأكاذيب الكثيرة التي لا أحب أن أُثقل على القارئ الكريم بسردها وتعدادها ..!!

وحين أقول: إن هذه افتراءات وأكاذيب فأنا أعني ما أقول، وأتحدى أيّ إنسان كان أن يثبت شيئاً منها.! وهذه المفتريات ورد بعضها في كتيِّب عنوانه (كياننا والمؤامرة) من تأليف عمر ملا محمد أمين السويري، وهو من منشورات المكتب التنفيذي لاتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان العراق. أما الكتيِّب

الثاني فكان بعنوان (ملاحظات على رسالة الأستاذ إبراهيم نعمة)[1] من تأليف الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي.

والعجيب كل العجب – وإن شئت فقل لا عجب- أن يتهمني كل من الكاتبين وغيرهما ممن ردّ على رسالتي بالتعصب إلى العرب وأني من العنصريين!!. وكل من يعرفني من إخوتي الأكراد قبل العرب من أصحاب الثقافة والفهم الصحيح يعلم أني منذ أن شرفني الله بالإمامة والخطابة قبل أكثر من سبع وثلاثين سنة كنت – وما زالت كذلك – من المحاربين للدعوة إلى التعصب إلى القومية العربية، وما هادنتها يوماً، في وقت كان سوق الدعوة إلى القومية العربية رائجاً، وتحملت ما تحملت من الحكّام نتيجة مواقفي تلك، وبارك الله في أستاذي الداعية (غانم حمودات) وأمدّ في عمره وجزاه الله عني وعن الإسلام خير الجزاء، فقد كان نعم الموجه لي في خطبي ومحاضراتي، كان يلاحظني في كل خطبة من خطب يوم الجمعة. وكل من كان يصلي في أي جامع كان من الجوامع التي كنت أخطب فيها من إخواننا الأكراد، يعلم أني كنت سيفاً مسلطاً على دعاة القومية. وما أنا بآسف على تلك المواقف؛ لأني أعتقد أني أرضيت الله في ذلك وخدمت ديني، وحاربت الدعوة إلى التعصب إلى القومية العربية أو الكردية أو غيرهما.

والذي يبدو أن الشيخ السلفي في رده على رسالتي المتواضعة قد أفصح عمّا

---

(١) هكذا كتب على الغلاف، وكذا في الصفحة الأولى (نعمة) ولم يكتب النعمة وهي اسم عائلتي المعروفة في الموصل.

تكنه نفسه في عقود من الزمان نحو العرب، وبقيت تعتمل في نفسه وكأنّ العرب هم الذين ارتكبوا الجرائم بحق الأكراد وليس النظام السابق، فرأى بعد دخول قوات الاحتلال إلى العراق أن الوقت قد حان ليصرح بما عجز عن التصريح به من قبل؛ لأنه لم يجد وقتاً من الأوقات مناسباً وملائماً لبث ذلك أحسن من هذه الأوقات؛ لذلك أتجه في نيله من (الإخوان المسلمين) و(هيئة علماء المسلمين) و(الحزب الإسلامي العراقي) متهماً إياهم بالعنصرية. ولم يكتف بذلك، بل اتهم أهل الموصل بذلك، مدعياً أنهم لم يقوموا بمساعدة الأكراد في المحنة التي حلّت بهم سنة ١٩٩١!!

ويقف القارئ اللبيب حائراً متسائلاً عن كثيرٍ مما ورد في رسالَتَي الشيخ السلفي والسويري إذ لا علاقة له برسالتي الموسومة (لغتنا والمؤامرة)، ولكن يبدو أنها أقضَّت مضاجع أناسٍ أبوا إلاّ العيش في نتن القومية التي مزقت أمتنا شرّ ممزق؛ إذ عملت عملها في تنبيه إخوتنا الأكراد إلى ما يراد بهم وبمستقبلهم، وردّت بعضهم – ولله الحمد – إلى التفكير السليم بعد أن خُدعوا بمكايد الأعداء الذين ما هادنوا الأمة المسلمة في يومٍ من الأيام.

وإذا كان لي من كلمة عتابٍ أخوية أوجهها إلى إخوتي أعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد علماء كردستان العراق، فهي:

كيف ارتضى إخوتنا لأنفسهم أن ينشروا كتيّباً فيه إساءة إلى عَلَمٍ من أعلام المسلمين وهو: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله؟!

كيف رضي العلماء الأعلام أن يقول السويري عن ابن تيمية:

((فكثيراً ما كـان يتنـاقض مـع نفسـه، فيقـول هنـا كلامـاً، ويفنـده بنفسـه هناك))[1]؟!

كيف رضي العلماء الفضلاء أن يقول السويري عن ابن تيمية:

((..لم يفرّق بين الغث والسمين، ورضي لقوله أسفل سافلين))[2]؟!

كيف رضي الإخوة الفضلاء أن يقال عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

((..ولكن أقواله في كثيرٍ من المسائل – كما نبّه عليها العلماء الأئمـة – وهنـا خاصة مضطربة متناقضة، وظاهرة البطلان بداهة))[3]؟!

أهكـذا يفعـل التعصـب القـومي، حتـى يجعـل صـاحبه ينـال مـن سـلف الأمة؟!!!

لقد وصل التعصب إلى الدعوة العنصرية الكردية مبلغاً مخيفـاً لـدى بعـضٍ من إخواننا حتى وجدنا من ينتسبون إلى العلـم والعلـماء كـأبي بكـر البنجـويني الذي يرتدي الجبة والعمامة يقوم بنشـر مقـال في مجلـة (الحـوار) التـي يصـدرها (الاتحاد الإسلامي الكردستاني) في عددها ٢٤ الصادر في شهر تموز سـنة ٢٠٠٤ بعنوان (رسالة مفتوحة إلى فضيلة الشيخ إبراهيم النعمة) يوجه فيه اتهاماً خطـيراً إلى العرب، حيث يزعم أنهم هم الذين قـاموا بظلـم الأكـراد، فهـو يخـاطبني في رسالته المفتوحة هذه ويخاطب كل الناطقين بلغة الضاد فيقول:

---

(١) كياننا والمؤامرة تأليف عمر ملا محمد أمين السويري: ص١٦.

(٢) كذا وردت في الصفحة ١٧ من الكتيّب نفسه.

(٣) كياننا والمؤامرة ص ١٨.

((أُهدي إليك هذه الرسالة وإلى القراء الناطقين بلغة الضاد الذين ما انفكوا يرددون ظلم اليهود لهم. لقد آن لهم أن يعلموا شيئاً من ظلمهم لنا إن كانوا به جاهلين)).

وفي المقال دواهٍ وكوارث تَدَع الحليمَ حيران، وإني لا أدري كيف أفسِّر هذا الاتهام الصادر من عالم من علماء الأكراد إلى العرب؛ إذ يتهمهم بأنهم هم الذين قاموا باضطهاد الأكراد، وهو يعلم قبل غيره أن العرب لم يملكوا من أمرهم شيئاً، وأن الاضطهاد أصابهم من الحكم السابق كما أصاب الأكراد ...! ويؤلمني ويؤلم كل غيورٍ على وحدة أمتنا المسلمة من مقارنة البنجويني ظلم اليهود للعرب بظلم العرب المزعوم للأكراد.!

ولا أدري – مرة أخرى – كيف رضي (الاتحاد الإسلامي الكردستاني) الذي هو منا ونحن منه أن ينشر هذا المقال الذي يُفرّق ولا يوحد. أهو مجاملة للأحزاب القومية الكردية والعلمانية؟ أم أن التعصب القومي الكردي سرى في عروق أعضائه –أيضاً– كما سرى في عروق الأحزاب الكردية وذلك لانقطاعهم عن إخوتهم العرب في العراق أكثر من عقد من الزمان؟!

وسواء كان السبب هذا أو ذاك، فإنه لا يبرر (للاتحاد الإسلامي الكردستاني) أبداً أن ينزل إلى هذا الحضيض في الدعوة إلى العنصرية.

ولا يقولنّ أحد: إننا نشرنا المقال عملاً بحرية النشر؛ لأن المقال الذي يطعن الأمة طعنة نجلاء في صميم وحدتها، ويبعث على الأحقاد والضغائن بين الأكراد والعرب لا يجوز نشره؛ إذ في الإسلام ثوابت لا يجوز تجاوزها. وهل

الدعوة إلى العنصرية الكردية إلاّ لون من ألوان تجاوز الثوابت في ديننا؟!!

إن كل ما ذكرته في رسالتي التي قام لها شمال عراقنا الحبيب وما قعد تؤكد على أن تراثنا – نحن المسلمين – كتب أكثره قبل أربعة عشر قرناً وإلى يوم الناس هذا باللغة العربية، واشتركت في كتابته أمم كثيرة وشعوب عديدة .. حتى علماء الأكراد ما كان يراعهم يُدوِّن تلك المؤلفات القيمة إلاّ باللغة العربية وسلوا عن مؤلفاتهم ومخطوطاتهم في العراق وغير العراق تنبئكم عن حبهم للغة العربية التي هي لغة الإسلام الرسمية، قبل أن تتسرب الريح الصفراء في الدعوة إلى القومية المنتنة. وهنا أحب أن أقارن بين ما كان عليه الشعب الكردي المسلم في نهاية الأربعينيات من القرن المنصرم وما آل إليه أمر بعضهم في سنواتنا الأخيرة:

حدثني الأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي – أمد الله في عمره – وهو من العلماء الأجلاء والأساتذة الفضلاء الأكراد قال: ألّفت كتاباً في نهاية الأربعينيات أو ابتداء الخمسينيات في علم الفرائض وأنا شاب في مقتبل العمر وكان الكتاب باللغة الكردية. فأردت أن يطلع عليه بعض علماء السليمانية، فذهبت إلى أحدهم وكان من أكثرهم علماً وطلبت أن يقرأه ويبدي رأيه فيه. فلمّا قرأه قال لي: الكتاب جيد جداً ولكن فيه نقص واحد ولمّا سألته عن النقص قال: إنك كتبته باللغة الكردية ولم تكتبه باللغة العربية .. فأخذت منه الكتاب وذهبت به إلى عالمٍ فاضلٍ آخر من علماء السليمانية، فلما قرأه أثنى عليه كما أثنى عليه من سبقه لكنه قال: النقص في الكتاب أنك كتبته بالكردية ولم تكتبه بالعربية!! والرجل لا يزال حيّاً - أمد الله في عمره – فاسألوه إن كنتم لا

تعلمون.

هكذا كان موقف العلماء الأعلام من الشعب الكردي المسلم قبل أن تهب عليه أعاصير رياح القومية الصفراء! وننظر اليوم إلى العنصرية التي تربى عليها من ينتسبون إلى العلم قبل غيرهم، فتكاد قلوبنا تتمزق مما نراه ونسمعه!!

لقد كانت دعوتي للشعب الكردي المسلم أن تكون دراسته بالعربية كما كانت من قبل؛ خشية أن ينقطع عن هذا التراث العريض. وكل من يقرأ بتأمل ما كتبته، يدرك أني لم أدع الشعب الكردي إلى ترك لغته أو إهمالها بل دعوته إلى الاهتمام باللغة العربية كما كان عليه من قبل؛ لأن مصلحة الشعب الكردي لا تكون إلاّ في ذلك. وقد بَدَت أمارات ما قلته في الطلبة الأكراد المتخرجين في السنوات الأخيرة من الإعداديات أو الكليات؛ إذ وجد كثير منهم صعوبات بالغة في الدراسة في الكليات أو قسمِ الماجستير، بل إن عدداً منهم رسب لا بسبب قلة ذكائه، ولكن بسبب جهله باللغة العربية إذ صارت الدراسة باللغة الكردية منذ سنة ١٩٩١؛ فيتخرج الطالب ولا يكاد يفقه من العربية شيئاً، وإني لعلى ثقة بأن الإخوة الأكراد يعلمون هذا، لكن مكابرة قسم منهم، وحب الدعوة إلى القومية الكردية يمنعهم من التصريح بذلك.

وأعود فأقول: إني ألتمس من الشيوخ السلفي والسويري والبنجويني وغيرهم أن يسألوا أيّ واحدٍ كان من الإخوة الأكراد الذين يعرفونني عن كثب عمّا ورد في اتهاماتهم نحوي؛ لتنكشف الحقيقة أمامهم واضحة.

أما ما ورد في نقدهم لمضمون رسالتي، فلا أرد على شيء من ذلك الآن،

لعلمي أنها لا تستحق الـرد، وأتـرك للقـارئ اللبيـب أن يكـون هـو الحكـم فـيما انتقدوه.

وأخيراً: فالله يشهد أني ما كتبت هذه الرسالة المتواضـعة إلاّ لحبـي للشـعب الكردي المسلم؛ خشية أن تنجح النكايـات الاسـتعمارية في إبعـاده عـن إخوانـه العرب، وهي مؤامرة كبيرة خطيرة، عمـل في الـترويج لهـا غـير المسـلمين أولاً، وممن انخدع بأحابيل المستعمرين بعد ذلك. ولكن هيهات أن ينجح المستعمرون في ذلك؛ لأن راية الإسلام هي التي تجمعنا، والقرآن الكـريم هـو الـذي يوحّـد بيننا. وإني لعلى ثقة بأن الذين يدعون إلى العصبية القومية من العرب أو الأكـراد أو غيرهم، سيندمون أشدّ الندم؛ إذ يتضح لهم بما لا يقبـل الشـك أنهـم خـدموا بذلك أعداء أمتهم من حيث لا يشعرون. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فإن المؤامرات التي حيكت في الظلام الدامس على اللغة العربية في العالمين العربي والإسلامي كثيرة كثيرة. وكان من أخطرها ما أقدمَ عليه (مصطفى كمال أتاتورك) وزمرته من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ومنع الكلام بالعربية في أرجاء تركيا كلها. كانت هذه المؤامرة طعنة نجلاء في قلب الشعب التركي المسلم، تركتْه يتقلب على جمر الغضى؛ إذ أَدَّتْ إلى تجهيله بكثير من قضايا الإسلام: بعقيدته وشريعته وأخلاقه! وكيف لا تؤدي إلى تجهيله وقد كُتِبت مصادر الإسلام وكل ما يتعلق به بلسان عربي مبين؟! وكان من آثار تلك الدعوة الحاقدة الناقمة أن بيعت المخطوطات العربية التي صنفها العلماء المسلمون في أكثر من ألف سنة بثمن بخس إلى المستشرقين والمستعمرين في دول الغرب. وقد تنبّه كثيرٌ من مفكري العالم الإسلامي – آنذاك – إلى خطورة هذه المؤامرة؛ فأماطوا اللثام عن دوافعها، وحذّروا من خطورتها، لكن تلك التحذيرات لم تلقَ آذاناً صاغية من حكومة الكماليين التي ظلّت تهدم ما بناه الآباء والأجداد؛ فأثمر ذلك الهدم تلك الثمرات الخبيثة في إبعاد الشعب التركي المسلم عن فهم الإسلام الصحيح!

ولم تقف المؤامرة عند هذا الحد، فقد قام بإتمامها المستعمرون لمّا تمكنوا من الهيمنة على بلاد العرب والمسلمين. فدعوا إلى تشجيع اللهجات العامية، والكتابة بالحروف اللاتينية، وتغيير كثيرٍ من قواعد اللغة العربية. ووجدت هذه الدعوات الضالة المضلة آذاناً صاغية لها من قِبل قسم من المحسوبين على هذه الأمة، لكنّ المفكرين المسلمين من الغيورين على هذا الدين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الدعوات التي استهدفت القرآن أولاً، وتمزيق الأمة العربية والإسلامية بعد ذلك. بل كشفوا زيفها، وأظهروا خباياها، وأبانوا دوافعها، وحذروا من آثارها وأخطارها على القرآن ولغة القرآن ... وظن الناس أن هذه الدعوات قد أخفقت وذهبت إلى غير رجعة، ولم يعد لها عين ولا أثر، بعد أن أصبحت أخطارها أمام الناس مكشوفة عريانة. بيد أن الواقع قال غير ذلك: فمازالت لهذه الدعوات ذيول وأذناب هنا وهناك، ومازالت عقابيلها تعمل في خدعة أناس من المحسوبين على هذا الدين. ويدل على ذلك: إقدام المتحكمين في كردستان من شمال عراقنا الحبيب على ترك اللغة العربية في المدارس ودوائر الدولة كلها، والكتابة باللهجات الكردية، منذ عدة سنوات وإلى يوم الناس هذا. وهكذا صار طلاب المدارس يدرسون مناهجهم باللغة الكردية منذ الصف الأول الابتدائي وإلى الصف السادس الإعدادي. فيتخرج الطالب، ولا يكاد يفهم من العربية إلاّ النادر الأندر. بل وجد في شمال عراقنا الحبيب من يدعو إلى الكتابة بالحروف اللاتينية؛ لتستكمل المؤامرة أهدافها في فصل هذا الشعب المسلم الطيب الغيور على الإسلام عن الأمة العربية أولاً، ثم عن الأمة

الإسلامية بعد ذلك.

وقد قمت بكتابة هذا البحث المتواضع؛ لعل إخـوتي المسـلمين ينتبهـون إلى خطورة هذه الدعوات في كل مكان، وبخاصة إخواننا في كردستان العراق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

الإسلام واللغة العربية

هناك ارتباط وثيق بين الإسلام والعربية الفصحى. وكيف لا يكون ذلك الارتباط وثيقاً والقرآن هو كتاب الإسلام، والعربية هي لغة هذا الكتاب، والعالم كله في المشارق والمغارب لم يعرف إسلاماً بلا قرآن، ولا قرآناً بغير العربية! وظل القرآن الكريم بحروفه وكلماته نفسها باللغة العربية منذ نزوله على النبي ﷺ وإلى يوم الناس هذا لم يطرأ عليه شيء من التغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقصان، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنه تعالى هو الذي تكفل بحفظه فقال ﷻ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الحجر.

والقرآن الكريم لا تجوز ترجمته إلى أية لغة كانت من اللغات؛ لأن سرَّ إعجازه بالعربية: فلا يسمى القرآن قرآناً إلا بها. وإذا كان المسلمون في كل العصور قد اهتموا بلغة القرآن؛ فلأن تعلمها عبادة من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى. وكلما ازداد علماً بالعربية ازداد تقرباً إلى الله أكثر. يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

((فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيراً

له))[1].

ويشير – أيضاً – إلى أن الجهل الذي سرى في الناس كان بسبب تركهم للسان العرب، وميلهم إلى لسان ارسطا طاليس فيقول:

((وما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان ارسطا طاليس))[2].

ويقرر الإمام ابن تيمية أن تعلم العربية فرض واجب فيقول:

((...وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب))[3].

ويقول:

((فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله))[4].

ويؤكد هذه المعاني الإمام الثعالبي فيقول:

((...الإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي: ص ٤٨-٤٩، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، تأليف عبد العال سالم مكرم، ص:ي، المطبعة العصرية، الكويت.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية: ص ٢٠٧، الطبعة الثانية، بتحقيق محمد حامد الفقي.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ص٢٠٣.

والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين ... ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسنُ أثره، ويطيب في الدارين ثمره...))[1].

((والعربية هي لغة الإسلام الرسمية؛ إذ القرآن لا يسمى قرآناً إلا بالعربية الفصحى، والصلاة لا تجوز إلا بها كذلك. وهي من أوائل مقوِّمات أمتنا التي كانت – وما زالت كذلك – ركناً ركيناً في مجتمعنا، ورابطة متينة تربط أمتنا الإسلامية بعضها ببعض، حيث نجد الكاتب في الغرب يؤلف كتابه بالعربية، فيتلقاه أهل الشرق بالدرس والتمحيص لا يستعصي عليهم فهمه: فكان ذلك عاملاً من عوامل وحدة الفكر الإسلامي))[2].

وبناءاً على ما قرره الجهابذة من العلماء نقول:

إن تعلم اللغة العربية فرض واجب على كل مسلم في هذا الوجود؛ ذلك لأنها لغة الإسلام الرسمية، فيجب على المسلمين في أنحاء الدنيا كلها أن يتعلموها بقدر استطاعتهم؛ ذلك لأن الإسلام هو دين التوحيد، وقد جاء للبشرية كلها إلى أن تقوم الساعة؛ وإذا علمنا أن الإسلام لا يفهم الفهم الصحيح إلا بالعربية، فوجب على المسلمين أن يوحدوا لغتهم فيها. وقد فهم

---

(١) فقه اللغة للثعالبي: ص ٢-٣، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

(٢) يسألونك ليزدادوا إيماناً، للمؤلف، ص ٢٤٦، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، مطبعة الزهراء، الموصل.

هذه الحقيقة المسلمون قديماً في المشارق والمغارب؛ فآثروا العربية على لغاتهم. فلم تكن العربية إذن خاصة بالعرب وحدهم.

ولقد انصَبت جهود عدد كبير من علماء العربية تمحيصاً وشرحاً لكل ما يتعلق بهذه اللغة. وقد فعلوا ذلك تقرباً إلى الله، وخدمة للإسلام وحده؛ لأن خدمة القرآن بالاهتمام بلغته عبادة من أجلِّ العبادات.

ويكفي هذه اللغة فخراً أن القرآن الكريم نزل بها. وعند ذاك كانت العربية قد بلغت ذروة كمالها.

وقد أحب الناس العربية، وعكفوا على دراستها والحديث بها في غير البلاد العربية فضلاً عن العربية؛ لأنها لغة القرآن. وهذا الحب المنبعث عن الحب للإسلام يفوق كثيراً ما تقوم به المراكز الثقافية هنا وهناك في دول العالم في تعليم اللغات الفرنسية والإنكليزية والروسية ... إن أصحاب هذه المراكز ينفقون الكثير من الأموال من أجل نشر لغاتهم في العالم. أما المسلمون، فقد تعلموا العربية بأنفسهم من غير أن تؤسس لهم مراكز ثقافية لهذا الغرض.

لقد أحب الناس العربية لحبهم لهذا الدين. وبرز في العربية من غير العرب علماء، سارت بذكرهم الركبان، ومن هؤلاء (سيبويه)[1] والزمخشري،

---

(١) أراد سيبويه أن يتفقه في الإسلام، فعكف في دراسته على (حماد بن سلمة)؛ فأملى حماد حديث رسول الله ﷺ:

[ليس أحد من أصحابي إلاّ وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء].

فقال سيبويه: ((ليس أبو الدرداء)). فقال حماد: لحنت يا سيبويه! فقال سيبويه: لا جرم لأطلبنّ علماً لا تلحنني فيه أبداً، ثم انصرف إلى طلب النحو ودراسته، ولم يزل يلازم الخليل.

والتـفتازاني، والسكاكي، وعبد القاهر الجرجاني، والبيروني ... ومن شدة حـب (البيروني)[1] للعربية أنه كان يقول:

((والله لأَنْ أُهجى بالعربية، أحب إليَّ من أن أُمدح بالفارسية)).

ولقد اهتم أئمتنا العظام بالعربية، فروى ابن تيمية أن الأئمة الثلاثة: مالكـاً والشافعي وأحمد، ذهبوا إلى كراهة التخاطب بغير العربية إلاّ لحاجة.

لقد كان الإسلام –بحق– عاملاً من أقوى العوامل في انتشـار العربيـة بـين الأمم والشعوب، فهو الذي قام بنقلها من موطنهـا المحـدود إلى العـالم الفسـيح الرحيـب. خرجـت اللغـة العربيـة مـن الجزيـرة العربيـة متجهـة إلى (الشـام)، و(مصـــر)، و(فـارس)، و(الهنـد) وعـبرت البحـار، ووصـلت إلى (إفريقيـا) و(الأندلس). وقد كتب علماء هذه البلاد العلوم والفنون بهـا، وهجـروا لغـتهم التي كانوا يتحدثون بها ويكتبون. ويدل على حيويتهـا وقوتهـا أنهـا تمكنـت مـن إزاحة لغات البلاد الأخرى، وحلّت محلها، وأحكمـت سـيطرتها عـلى ثقافـات الأمم ((فقد انتصرت في مصر على اللغتين القبطية واليونانيـة، وفي المغـرب عـلى البربرية، وفي الشام على اليونانية، وفي إيران على الفارسـية))[2]. وظلّـت محتفظـة بفصاحتها من غير أن يصيبها الضعف عـلى الـرغم مـن اللغـات الكثـيرة التـي

---

(١) هو محمد بن أحمد أبو الريحان الخوارزمي صاحب المؤلفات المشهورة في التاريخ والرياضيات والفلك، توفي سنة ٤٤٠هـ.

(٢) ملامح من تاريخ اللغة العربية للدكتور أحمد نصيف الجنابي: ص ٦، دار الخلود، بيروت، ١٩٨١.

خالطتها.

وظلّت العربية فترة طويلة من الزمن لغة (العقيدة)، و(العلم)، و(الفكر)، و(الثقافة)، و(التجارة)... وقد أثرت في كثير من لغات العالم: كالتركية والفارسية والهندية واللغات الأوربية كافة. وقد غزت أكثر بقاع الدنيا فانتشرت فيها انتشاراً واسعاً، وكان من أسباب ذلك: دخول الناس في الإسلام.

لقد كانت العربية –وما زالت كذلك– تتسم بسعتها. وقد شهد بهذا كل المعنيين بأمر اللغات. فلا نستطيع أن نجد لغة تضاهي العربية في سعتها، فوق جمال صوتها، وما يسمى بالمترادفات فيها. فهي تتميز من بين ثلاثة آلاف لغة بجرس ألفاظها، وتراكيب عباراتها، وموسيقى كلماتها وجمالها، وسعة مفرداتها...

إن هذا – وغيره كثير – هو الذي جعل لغتنا هذه تستطيع أن تحمل كلمات الله إلى البشر كله بيسر ووضوح.

ولقد استطاع القرآن الكريم أن يؤثر بالعربية أيما تأثير في مجالات عديدة: فعمل أولاً على حفظها من الانقراض والزوال؛ إذ القرآن رباط روحي، ربط المسلمين –كلهم– بهذه اللغة، فكان وجوده سبباً مهماً من أسباب بقاء الفصحى.

وقد أثّر القرآن ثانياً بها، فهذّب من ألفاظها، وأبعدها عن الألفاظ الغريبة: وذلك بتلاوة المسلمين للقرآن الكريم في الصلاة وغيرها؛ فتأثروا بألفاظه، وتراكيبه، وجمله، واقتدوا بأساليبه؛ فصاروا يؤْثرون ألفاظه على غيرها من الألفاظ.

المؤامرة على العربية:

نظر العالم الغربي بما يحتجنه من حركات استشراقية وتنصيرية واستعمارية إلى العالم الإسلامي، فوجد أمراً عجباً أخذ بألباب الناس: رأى المسلمين تختلف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، لكنهم يتلون كتاباً واحداً بالعربية، ويقوم عدد كثير منهم بحفظه عن ظهر قلب – ولو لم يعرفوا شيئاً من لغة العرب – ومَنْ لم يتمكن من حفظ القرآن كله، حفظ نصفه أو ربعه أو أكثر أو أقل ...! إن ظاهرة الاهتمام بالقرآن حملت المستشرقين والمنصرين والمستعمرين على دراسة كل ما يتعلق بهذا الدين؛ ليقوموا هم بانتثال سهامهم، وتصويب قذائفهم نحو هذا الدين، مع دقة في التخطيط، ومهارة في الكيد والتآمر، بعد أن ثبت لهم أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة الجذور في قلوبهم، تمنعهم من السير وراء المستعمرين وأذنابهم؛ فعملوا على تغيير خططهم، ومنها: محاربة اللغة العربية بأساليب كثيرة.

فهذا (القس زويمر) يقول بكل صراحة:

((إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي، الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين، وبث في مائتي مليون!! من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية))[1].

وقال في كتابه (جزيرة العرب: مهد الإسلام):

((يوجد لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادي، ومجال

---

(١) أباطيل وأسمار تأليف محمود محمد شاكر: ١/ ١٨٨. الطبعة الثانية.

الدعوة إلى الله وهما: الإنجليزي والعربي، وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء، مستودع النفوذ والمال، يريد أن يلتهم كل منهما الآخر، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري: أعني النصرانية والإسلام))[1].

وقال (وليم جيفورد بلجراف):

((متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلاّ محمد وكتابه. ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته))[2].

وقد بلغت محاربة لغتنا الذروة لمّا هيمن المستعمرون على بلادنا، فعملوا في محاربة هذه اللغة – وبخاصة في القارة الإفريقية – فما أن تمكنوا من السيطرة على مرافق الحياة فيها، حتى عملوا على زحزحة اللغة العربية منها، وإحلال لغاته ولهجاته محلها. بيد أن أساليب المستعمرين كانت مختلفة في محاربتهم للغة العرب: ففي بعض الدول الإفريقية استعمل الفرنسيون قمة العنف من أجل أن ترحل العربية من البلاد إلى غير رجعة. وقد حدثني أهالي (إفريقيا الوسطى) يوم كنت أعمل بالدعوة إلى الإسلام فيها: أن ألواناً كثيرة اتبعها الفرنسيون في محاربة كل من يريد أن يتعلم اللغة العربية، ومَنْ يقوم على تعليمه أيضاً. فقد اعتبروا تعلمها

---

(١) الفصحى لغة القرآن تأليف أنور الجندي: ص ١١٩. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة.

(٢) الفصحى لغة القرآن: ص ١٦٦.

وتعليمها جريمة يعاقب عليها القانون. وكمثال على ذلك ما قاله لي مدير (مدرسة الفلاح) في (بانكي) عاصمة (إفريقيا الوسطى): إن الفرنسيين منعوا تدريس اللغة العربية في المدرسة، وشنوا حرباً لا هوادة فيها على لغة القرآن، ووظفوا بعض المفتشين ليقوموا بتفتيش مدرسته؛ خشية أن تدرس فيها اللغة العربية. فلم يكن لهذا المفتش وقت محدد يأتي إليه ليفتش المدرسة، بل كان يأتي في أيّ وقت شاء. فإذا علم الطلاب بقدومه، أخفوا ما كان معهم من كتب العربية تحت الحصير ثم جلسوا فوقها، ووضعوا أمامهم كتباً أخرى. وكان ذلك المفتش يأتي إلى مدير المدرسة في بيته، ويفتش حتى تحت سريره!!!

ولم يكتفِ الفرنسيون بهذا، بل جعلوا حراسة مشددة على الحدود السودانية والتشادية، خشية أن يتسرب منها كتاب في العربية. فإذا وجدوا مع واحدٍ من المسافرين كتاباً بالعربية، فتلك الطامة الكبرى التي ينال صاحبها جزاءه منها بالحبس في السجن، بعد أن يأخذوا منه الكتاب!![1]

على أن محاربة المستعمرين للغة العرب لم تكن قد اتخذت نهجاً واحداً، بل كانت تتفاوت في شدتها بين قطر وآخر بأساليبهم الملتوية التي يكتنفها الخداع والمواربة من كل جانب. ولم تكن معركة المستعمرين ضد لغتنا في دولة أو دولتين، بل شملت المشرق والمغرب في آن واحد: فقد أرادوا أن تكون العربية (لغة متحف) كاللاتينية، لا ينظر إليها إلاّ كما ينظر إلى الآثار والتحف، وأن

---

(١) أنظر كتابنا: الإسلام في إفريقيا الوسطى: ص ٢٢، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، مطبعة الزهراء، الموصل.

تشجع اللهجات المحلية ليقضى على العربية الأم؛ ثم ليقضي – بزعمهم – على القرآن الكريم، والتراث العربي الكبير، الذي اشترك في تكوينه آلاف العلماء والفلاسفة منذ بزوغ فجر الإسلام الأول.

وقد واجه الشمال الإفريقي معركة ضارية عنيفة ضد لغتنا العربية، وانحسرت دراسة العربية عن المدارس الرسمية، ولم يبقَ لها آثر إلاّ في حلقات المساجد والكتاتيب والمدارس الأهلية، وجامعتي الزيتونة والقرويين. أما في المشرق العربي، فكانت الحملات على العربية تتمثل بدعوات مستمرة في مهاجمتها. وقد حمل لواءها غربيون مقيمون في البلاد أولاً، ثم حمل دعوتهم وطنيون يحملون الفكر الغربي، فتارة يقوم هؤلاء بالتشكيك بصحة الأدب العربي القديم، وتارة بتشجيع اللهجات المحلية؛ لتتمزق الرابطة اللغوية بين العربي وأخيه العربي، وتارة تثور على القديم باسم التجديد، بل وجد مَنْ يدعو إلى الكتابة بالحرف اللاتيني وترك الحرف العربي. وهناك من دعا إلى تغيير القواعد العربية، وآخر إلى تشجيع اللهجات العامية! ولا ريب أن الغرض من ذلك كله هو محاربة القرآن الكريم: ((رأوا أنه لابد من محاصرة القرآن حصاراً شديداً وتطويقه بحيث لا يكون له منفذ ولا متنفس؛ فأقاموا عليه الرقباء والحراس اليقظين، وجردوا عليه الحملات التي لا تحصى))[1].

وكان لكل حملة من هذه الحملات متخصصون وأقطاب ودعاة، اتخذوا من

---

(١) الزحف على لغة القرآن للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار. وأنظر: مع القرآن الكريم إعداد: عبد الفتاح عساكر: ص ٤٤٧، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

المكر والخديعة أسلوباً يشككون به في القواعد العربية.

وكان للمدارس الأجنبية في البلاد العربية أثر كبير في إضعاف اللغة العربية والتهوين من شأنها. يقول الأستاذ (جرجس سلامة):

((إن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء قد أسهمت بنصيب كبير في إضعاف اللغة العربية. فهي تلقي في خضم الحياة المصرية كل عام من ينظرون إلى غيرهم من طبقات المتعلمين في المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة))[1].

وهكذا انطلت مؤامرة هؤلاء على قسم من أدعياء الثقافة، فسلكوا سلوك الحاقدين في محاربة الإسلام بلغته.

مصطفى كمال أتاتورك والعربية:

أما المؤامرة الكبرى التي تركت آثارها البعيدة المدى في تجهيل المسلمين الأتراك بدينهم، فتمثلت بما قام به (مصطفى كمال أتاتورك) وزمرته: فقد أقصوا اللغة العربية عن المدرسة والمحكمة ودوائر الدولة، وأحلوا محلها اللغة التركية وذلك سنة ١٩٢٣، وغيروا الكتابة من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، فقد ((أخرجوا من اللغة التركية ١٣٦٥٠ كلمة عربية، وأحلوا محلها كلمات تركية، واعتبروا تلك الكلمات العربية كلمات أجنبية))[2]. كل ذلك من أجل إلحاق تركيا بأوربا أولاً، ومن أجل الحيلولة بين الأتراك والإسلام ثانياً، ومن

---

(١) أباطيل وأسمار: ١/ ١٨٧.

(٢) المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري للمؤلف: ص ٣٩، مطبعة الزهراء، الموصل.

أجل أن ينقطع الشعب التركي عن المصادر الإسلامية التي دُوِّنت أكثرها باللغة العربية بعد ذلك.

إن هذا الأمر هو الذي جعل المستشرق الألماني (كامغماير) يقرر بشماتة رحيل الإسلام عن تركيا فيقول:

((إن قراءة القرآن العربي، وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية))[1].

ولم تكن دعوة (اتاتورك) هذه لضعف في اللغة العربية، أو عدم مسايرتها لتطور المجتمع، بل كان ذلك بسبب حقده على الإسلام أولاً، وكراهته للعنصر العربي بعد ذلك. ويدل على هذا أنه قام بإبطال قانون الأحوال الشخصية المستقى من الشريعة الإسلامية، وتبديله بالقانون السويسري، بل قام بمنع ارتداء الملابس العربية الإسلامية، وألزم الناس بارتداء الزي الأوربي.

لقد كانت مؤامرة كبرى، أوهنت الصلة بين الشعبين المسلمين: العربي والتركي، وكادت تنفصل.

المؤامرة مستمرة:

ولا يظننَّ أحد أن مؤامرة (مصطفى كمال أتاتورك) قد ذهبت وانقضت إلى غير رجعة، وصارت في متاحف التاريخ! لا، فقد خلّفَ (أتاتورك) أتباعاً يسلكون مسلكه، وينتهجون نهجه. وإذا كان (أتاتورك) لا يؤمن بالإسلام أصلاً، وقد أوقف نفسه لمحاربة هذا الدين، فإن كثيراً من الذين يسلكون سلوكه الآن في

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين: ١/ ١٦٣، ط ٢.

بلادنا، وينتزعون من شعبهم أهم ما يملك هم أُناس مسلمون خُدعوا بمكر الغرب، ووقعوا فريسة في حبائله. وكمثال على هذا ما يجري الآن في شمال العراق: فقد كانت الدراسة فيه إلى وقت قريب باللغة العربية. ونبغ في الأكراد علماء كانوا قرة عين الدنيا. كانوا أساتذة –بحق– في العلوم العربية والإسلامية العقلية منها والنقلية. أما الآن، فقد صار التدريس فيه باللغة الكردية. أما اللغة العربية، فأصبحت تُدرس هناك كما تُدرس الإنكليزية في مدارسنا. وبهذا النهج سينفصل الشعب الكردي المسلم عن تراثه الذي شيده الآباء والأجداد في أكثر من ١٤٠٠ سنة. وهذا يعني أن ينفصل عن الإسلام الصحيح الذي كُتب أكثره بلغة العرب.

قد يقول قائل: إن الإخوة الأكراد يقومون الآن بترجمة عدد كثير من المؤلفات المهمة من العربية إلى الكردية، وبهذا يتلافون النقص الذي قد يلحقهم من ذلك!

وهذا من أعجب العجب! فإن حركة الترجمة إلى اللغة الكردية مهما كانت دائبة في نشاطها، راغبة في ترجمة أكبر عدد من المصنفات إلى الكردية، فلا تستطيع أن تترجم إلاّ الأقل من القليل، وتبقى أكثر المصادر محجوبة عن الشعب الكردي المسلم، لا يعرف عنها شيئاً لأنه لم يعرف لغة العرب..!

ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إن حركة الترجمة هذه لا تستطيع أن تترجم كتاباً واحداً من كلّ مائة ألف كتاب مما دبجه يراع المسلمين، ومنهم علماء الأكراد الذين صنفوا المصنفات المهمة باللغة العربية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فما اللهجة التي تكتب بها هذه

الترجمات؟ أهي اللهجة (السورانية) التي يتحدث بها أهل السليمانية ومن حولهم، أم اللهجة (البهدنانية) التي يتحدث بها أهل (دهوك) وقسم من أهالي (أربيل)، والفرق بين اللهجتين كبير، فلا يفهم أهل كل من اللهجتين اللهجة الأخرى...!

على أن خسارة كبيرة لحقت الشعب الكردي المسلم في شمال العراق؛ نتيجة تركهم اللغة العربية فيه: ذلك أنّ الإخوة الأكراد كانوا يحسنون الكلام بلغتين في الغالب: اللغة الكردية التي يتحدثون بها في بيئاتهم، واللغة العربية. فهم يفوقون العرب الذين لا يحسنون إلاّ العربية في الغالب! وهكذا خسر الشعب الكردي لغة من اللغات العالمية، فهي خسارة أية خسارة!!

أنا لست ممن يحملون الفكر القومي، ويدعون إليه، ويتعصبون له؛ لأن التعصب إلى أية قومية كانت والدعوة إليها ليس من الإسلام في شيء، ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول:

[لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ](1).

ويقول:

[مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ](2).

---

(1) رواه أبو داوود في كتاب الأدب (باب: في العصبية)، حديث ٥١١٢ بترقيم عون المعبود.

(2) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ...)، حديث ١٨٥٠. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨.

لكني أنبه إخواني إلى المؤامرة الخطيرة التي تحاك ضد الشعب الكردي المسلم بغية سلخه من هذه الأمة، ليلاقي المصير الذي لاقاه الأتراك؛ إذ خسروا الكثير الكثير لمّا انساقوا وراء الغرب، ولم يربحوا أي شيءٍ كان!

إن على حملة الأقلام والمخلصين لهذه الأمة أن يرفعوا صوتهم عالياً، محذرين من كل ما يفتّ في عضد هذه الأمة، وأن يجاهدوا بكلمة الحق، فمتى يجاهد الغيور على أمته إن لم يجاهد الآن، وهو يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ما غُزينا به في عقر دارنا؟!!

إن جريمة (أتاتورك) الكبرى، لا يزال الأتراك يتجرعون غصصها، ولا يزال المسلمون يئنون من ويلاتها؛ إذ كاد الشعب التركي المسلم صاحب التاريخ العريق في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام في أوربا وغيرها ينفصم عن الأمة العربية، بل وعن الأمة الإسلامية أيضاً، ويصير صديقاً حميماً لليهود يعقدون معهم الأحلاف، ويتعاونون معهم في المجالات العسكرية والتجارية وغيرها...!!!

فهل تعاد مأساة الأتراك مرة أخرى، ولكن في المنطقة الشمالية الكردية هذه المرة، بصورة قريبة من صورة مأساة (أتاتورك) وأعوانه؟!

إنها أمانة أضعها في عنق كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يعمل على إعادة اللغة العربية إلى شمالنا الحبيب، وبخاصة الأخوة الأكراد ممن لهم الكلمة المسموعة هناك.

وبعد:

فإن لغتنا العربية لم تزل لغة حيّة؛ لأنها أخذت من منهل القرآن الصافي، ومائه الفرات ما يضمن لها البقاء إلى أبد الآباد، ودهر الدهارير، مادام في الأرض مسلمون يتلون كتاب الله. ولعل هذه اللغة يكتب لها أن تعيد سيرتها الأولى فتكون لغة الملايين من المسلمين ممن لا يتكلمون العربية إلى الآن: ككثير من مسلمي أفريقيا، والهند، والملايو والصين ...

وليس ذلك بالأمر الغريب، فقد عاشت لغتنا ١٥٠٠ سنة وطوّفت في أرجاء الدنيا من حدود الصين إلى شواطئ المحيط الأطلس، وما زالت حافلة بكل لون من ألوان القوة، فهي الجديرة بأن تكون اللغة العالمية التي يتحدث بها الناس كلهم.

اللهم أيقظ المسلمين من غفلتهم؛ ليميطوا اللثام عن كل مؤامرة تحاك ضدّ هذه الأمة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

المحتوى